

ڈكتور محمد عثمان نجاتی



دارالشروق

دارالشروق

القبر آنف سکلمن التفشن

الطبعة السابعة
٢٠٠١ - ١٤٢٩

الطبعات السابعة: ١٩٨٢، ١٩٨٣، ١٩٨٧، ١٩٨٩، ١٩٩٢، ١٩٩٧، ١٩٩٨

جيتين جيترين للطبع والتوزيع

© دار الشروق
أنتقاماً من العامل عام ١٩٩٨

القاهرة: ٨ شارع سعيد بوسويه المصري -
رابطة العصبية - مدينة نصر
من .ب: ٣٣ - البرازيل - تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٤٠٢٣٧٥٦٧
البريد الإلكتروني: dar@shorouk.com
email: dar@shorouk.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القرار في علم النفس

تأليف
الدكتور محمد عثمان نجاشي

أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة
وجامعة الكويت
وكلية الإمام محمد بن سعود الإسلامية
سابقاً

دار الشروق

تصدير الطبيعة الأولى

يرجع اهتمامي بموضوع «القرآن وعلم النفس» إلى حوالي أربعين سنة مضت ، وذلك حينما كنت أعد رسالتي للماجستير في موضوع «الإدراك الحسي عند ابن سينا» في الفترة من عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٤٢ . فلقد رأيت أنه من الضروري لفهم آراء ابن سينا في علم النفس الرجوع إلى جميع ما كان معروفاً قبل عصر ابن سينا من مفاهيم وأراء ودراسات نفسية مختلفة . ولذلك ترعرعت في مقدمة الرسالة إلى بعض المفاهيم النفسية التي وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف كمصدرين من المصادر التي أثرت في بعض آراء ابن سينا وخاصة في موضوع الإدراك الحسي واكتساب المعرفة والأحلام والرؤى .

ثم عدت إلى الاهتمام بهذا الموضوع مرة أخرى حينما قمت بالقاء محاضرة في موضوع «القرآن وعلم النفس» في جمعية المعلمين بالقاهرة في إحدى أسابيع رمضان في حوالي منتصف الخمسينيات على ما أستطيع أن أذكر . ثم أقيمت محاضرة أخرى في نفس الموضوع في الموسم الثقافي لمدرسة الشريخ الثانوية بالكويت في عام ١٩٦٦ ، ونشر ملخص هذه المحاضرة في كتاب «الجامعة والمجتمع» الذي أصدرته جامعة الكويت في العام الجامعي ١٩٦٦ / ١٩٦٧ .

وكلت طوال هذه المدة مشغولاً بالتدريس والبحث والتأليف والإشراف على بحوث تلاميذى للحصول على درجى الماجستير والدكتوراه في علم النفس ، ولم تتبسر لي الفرصة الكافية للتفرغ لدراسة المفاهيم النفسية في القرآن الكريم دراسة شاملة وعميقة . وحينما أوشك القرن الرابع عشر الهجري على الانتهاء ، ولأخذ العالم الإسلامي يستعد للاحتلال باستقبال القرن الخامس عشر الهجري بإعداد البحوث والدراسات ، وإقامة الندوات والاحتفالات ، شعرت بأنه قد آن الأوان لكي أتفرغ لدراسة المفاهيم النفسية في القرآن الكريم ، ولإعداد كتاب

في هذا الموضوع احتفالاً باستقبال القرن الخامس عشر الهجري . وقد حصلت على أجازة تفرغ علمي من جامعة الكويت خلال الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٩٨٠ / ١٩٨١ م ، استطعت فيها أن أجمع الجزء الأكبر من البيانات التي تضمنها هذا الكتاب . وإنني أتهز هذه المناسبة لكي أقدم جزيل شكري إلى جامعة الكويت التي هيأت لي فرصة التفرغ للإنجاز هذه الدراسة التي طالما كانت تراود اهتمامي في السنوات الماضية ، والتي طالما كنت أتمنى أن أقوم بإنجازها :

كما أتمنى أود أيضاً أن أقدم جزيل الشكر والامتنان إلى جميع السادة الكتاب الذين قرأت لهم واستفدت من آرائهم ، والذين أشرت إليهم في هوامش الكتاب وفي قائمة المراجع في آخر الكتاب .

وإنني لأحمد الله سبحانه وتعالى على أن مكنتي أخيراً من إعداد هذا الكتاب . وإنني لأرجو أن أكون قد وقفت في عرض المفاهيم النفسية التي وردت في القرآن الكريم ، وفي المقارنة بينها وبين مفاهيم علم النفس الحديث .

محمد سعيد نجاشي

١٣ من رمضان ١٤٠١ هـ
١٤ من يوليه ١٩٨١ م

تَصْدِيرُ الطِّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

أَهْدَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَا لَقِيَ هَذَا الْكِتَابُ فِي طِبْعَتِهِ الْأُولَى مِنْ اهْتِمَامٍ كَبِيرٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ الْمُهْتَمِمِينَ بِالْتِرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ بِعَامَةٍ ، وَبِعِلْمِ النَّفْسِ الْإِسْلَامِيِّ بِخَاصَّةٍ . وَقَدْ كَانَ مَا قُوِيلَ بِهِ هَذَا الْكِتَابُ مِنْ اهْتِمَامٍ حَافِزًا لِي لِمُواصِلَةِ الْبَحْثِ فِي هَذَا الْمَجَالِ ، وَدَافِعًا لِي إِلَى اسْتِكْمَالِ الْبَحْثِ فِي الْأَصْرُولِ الْإِسْلَامِيِّ لِعِلْمِ النَّفْسِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الْشَّرِيفِ ، وَلِلَّذِي الْمُفْكِرُونَ الْمُسْلِمُونَ . وَإِنِّي لَأُدْعُو اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوقِنَنِي فِي الْقِيَامِ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ ، وَأَنْ يُعِينَنِي بِمَدْدِهِ تَعَالَى عَلَى أَدَانَاهَا ، إِذَا شَاءَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ لِي فِي الْعُمَرِ بِقِيَةٍ تُمْكِنُنِي مِنِ الْقِيَامِ بِهَا .

وَقَدْ أُدْخِلَ فِي الطِّبْعَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ كَثِيرٌ مِنِ التَّنْقِيَحَاتِ وَالْإِضَافَاتِ . فَقَدْ أُضِيفَتْ بَعْضُ الْأَيَّاتِ الْقُرَآنِيَّةِ ، كَمَا أُضِيفَتْ تَعْلِيقَاتٍ وَتَحْمِيلَاتٍ وَمَقَارِنَاتٍ جَدِيدَةٍ فِي مُعْظَمِ فَصُولِ الْكِتَابِ .

وَقَدْ أَيْسَحَتْ مُؤْلِفُ هَذَا الْكِتَابِ فُرْصَةَ التَّحْدِيثِ عَنْ بَعْضِ الْمُوْضِعَاتِ الَّتِي تَناوَلَهَا هَذَا الْكِتَابُ فِي عَدَدٍ نَدْوَاتٍ . وَكَانَتِ التَّعْلِيقَاتُ وَالْمَتَافِسَاتُ الَّتِي أَعْقَبَتْ حَدِيثَيْ مُفَيِّدَةً لِي . وَإِنَّهُ لَيُسَرِّنِي أَنْ أَنْقُدَمْ بِجزِيلِ الشَّكْرِ لِكُلِّ مَنْ أَبْدَى مَلَاحِظَةً أَوْ تَعْلِيقًا أَفَدَتْ مِنْهُ ، مِنْ بَيْنِ السَّادَةِ الْزَّمَلَاءِ الْأَفَاضِلِ الَّذِينَ حَضَرُوا هَلَهُ النَّدْوَاتِ .

وَلَا يَفُوتُنِي أَيْضًا أَنْ أَنْقُدَمْ بِجزِيلِ الشَّكْرِ لِلْصَّدِيقِ الْعَزِيزِ الْأَسْتَاذِ الدَّكْتُورِ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَاملِ عَلَى مَا أَبْدَاهُ مِنْ مَلَاحِظَاتٍ قَبِيمَةٍ عَلَى بَعْضِ النَّقَاطِ الْوَارِدةِ فِي الْكِتَابِ . كَمَا أَنْقُدَمْ أَيْضًا بِجزِيلِ الشَّكْرِ لِمَوْسِيَةِ التَّقدِيمِ الْعَلَمِيِّ بِالْكُرْبَتِ عَلَى تَقْدِيرِهِ لِهَذَا الْكِتَابِ وَلِكتَابِيِّ السَّابِقِ « الْإِدْرَاكُ الْحَسِيُّ عِنْدَ أَبْنِ سِينَا : بَحْثٌ فِي عِلْمِ النَّفْسِ عِنْدَ

العرب ، إذ منحتني عليهما جائزتها لعام ١٩٨٣ م المخصصة لتحقيق التراث .
وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في تلقي بعض نواحي القصور التي وردت في الطبعة
الأولى من الكتاب ، وإن كنت أشعر أن الكتاب لازال في حاجة إلى مراجعة مستمرة ،
ولدى اضافات كثيرة أرجو أن أستطيع تحقيق بعضها في الطبعات التالية إن شاء الله .
وإن لأدعوك الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب فرية إليه تعالى ، وأن يجعله لي
يوم لقائه نوراً يشعل به ميزاني ، إنه سميع مجيب .

١٠ من شوال ١٤٠٤ هـ

٩ من يوليو ١٩٨٤ م

محمد حسنان شيخاوي

تصدير الطبعة الخامسة

أدخلت في الطبعة الخامسة تقييمات كثيرة ، وأضيفت أجزاء جديدة في معظم فصول الكتاب . ففي الفصل الأول الخاص بـ دوافع السلوك في القرآن أعيدت كتابة الأجزاء الخاصة بالدوافع النفسية والروحية ، ودافع التدين ، والسيطرة على الدوافع . وفي الفصل الثاني الخاص بالانفعالات في القرآن أعيدت كتابة الأجزاء الخاصة بالخوف ، والغضب ، وحب الذات ، وحب الله ، والحسد . وفي الفصل الرابع الخاص بالتفكير في القرآن أضيف جزء جديد عن البحث التجريبي . وفي الفصل الخامس الخاص بالتعلم في القرآن أعيدت كتابة الجزئين الخاصين بالتفكير ، وإثارة الدافع بالقصص . وقد أعيدت كتابة الفصل الثامن الخاص بالجهاز المعرفي والمخ في القرآن ، وأدخلت فيه بيانات جديدة . وفي الفصل التاسع الخاص بالشخصية في القرآن ، وأدخلت بعض الاضافات إلى الجزئين الخاصين بالشخصية السورية ، والجيل العقلية في القرآن ، وأعيدت كتابة الجزء الخاص بنمو الإنسان في القرآن ، وأدخلت فيه بيانات جديدة . هذا بالإضافة إلى تقييمات أخرى في معظم الكتاب . والله ولي التوفيق .

٨ جمادى ثانى ١٤١٣ هـ
٢ ديسمبر ١٩٩٢ م

محمد سعيد نجاشي

المحتويات

الصفحة

١٩	مقدمة
الفصل الأول : دافع السلوك في القرآن ٢٧	
الد الواقع القسيولوجي ٢٧	
أولاً : دافع حفظ الذات ٢٩	
ثانياً : دافعاً بقاء النوع ٣٨	
الدافع الجنسي ٣٨	
دافع الأمومة ٤٠	
الد الواقع النفسية والروحية ٤١	
دافع التملك ٤٣	
دافع العداون ٤٥	
دافع التنافس ٤٨	
دافع التدين ٤٩	
الد الواقع اللاشعورية ٥٢	
صراع بين الد الواقع ٥٣	
السيطرة على الد الواقع ٥٥	
انحراف الد الواقع ٦٧	

الصفحة

الفصل الثاني : الانفعالات في القرآن	٧١
الخوف	٧١
أنواع الخوف	٧٤
الغضب	٧٩
الحب	٨٢
حب الذات	٨٣
حب الناس	٨٤
الحب الجنسي	٨٦
الحب الأبوى	٨٧
حب الله	٩٠
حب الرسول	٩٣
الفرح	٩٤
الكره	٩٥
الغيرة	٩٨
المحسدة	٩٨
الحزن	١٠٠
الندم	١٠٣
انفعالات أخرى	١٠٥
التغيرات البدنية المصاحبة للانفعال	١٠٨
السيطرة على الانفعالات	١١٢
السيطرة على الخوف من الموت	١١٣
السيطرة على الخوف من الفقر	١١٧
السيطرة على الغضب	١١٧

الصفحة

السيطرة على الحب	١١٩
السيطرة على انفعالات أخرى	١٢٠
الفصل الثالث : الإدراك الحسي في القرآن	١٢٣
الحواس في القرآن	١٢٥
الحواس الجلدية	١٢٨
الإدراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس	١٢٩
الخداع البصري	١٣٢
تأثير الدوافع والقيم في الانتباه والإدراك الحسي	١٣٣
الفصل الرابع : التفكير في القرآن	١٣٧
خطوات التفكير في حل المشكلات	١٤٠
خطاء التفكير	١٤٦
أ- التمسك بالأفكار القديمة	١٤٨
ب- عدم كفاية البيانات	١٥٠
جـ- التحيز الانفعالي والعاطفي	١٥٣
الفصل الخامس : التعلم في القرآن	١٥٧
مصادر العلم	١٥٧
تعلم اللغة	١٥٨
تعلم آدم للغة	١٥٨
تعلم إرادة الاختيار واتخاذ القرار	١٦١
طرق التعلم في القرآن	١٦١

الصفحة

التقليد	١٦٢
التجربة العملية والمحاولة والخطأ	١٦٤
التفكير	١٦٦
مبادئ التعلم في القرآن	١٦٨
الدافع	١٧٩
أـ إثارة الدافع بالترغيب والترهيب	١٧٩
بـ إثارة الدافع بالقصص	١٧٤
جـ الاستعانة بالأحداث المأمة	١٧٥
التكرار	١٧٦
الانتباه	١٨١
المشاركة الفعالة	١٨٥
توزيع التعليم	١٨٧
التدرج في تعديل السلوك	١٨٧
 الفصل السادس : العلم الديني في القرآن	١٩٥
الإلهام والرؤيا	١٩٥
الأحلام والرؤى	٢٠٣
 الفصل السابع : التذكرة والنسيان في القرآن	٢٠٩
النسيان	٢١٠
النسيان والشيطان	٢١٣
علاج النسيان في القرآن	٢١٤

الصفحة

الفصل الثامن : الجهاز العصبي والمخ في القرآن	٢١٧
الفصل التاسع : الشخصية في القرآن	٢٢٣
تكوين الإنسان	٢٢٥
صراع النفسي	٢٢٧
التوازن في الشخصية	٢٣٥
الشخصية السوية	٢٣٦
أنماط الشخصية في القرآن	٢٣٧
المؤمنون	٢٣٩
الكافرون	٢٤٣
المنافقون	٢٤٥
الخيل العقلية في القرآن	٢٤٧
الإسقاط	٢٤٧
البرير	٢٤٨
تكوين رد الفعل	٢٤٩
الفروق الفردية في القرآن	٢٥١
نمو الإنسان في القرآن	٢٥٤
النمو قبل الميلاد	٢٥٤
النمو بعد الميلاد	٢٥٩
النمو الحسي للوليد	٢٦٢
الفصل العاشر : العلاج النفسي في القرآن	٢٦٥
الإيهان والشعور بالأمن	٢٧٠
الإيهان وشعور الانتهاء إلى الجماعة	٢٧٨
أسلوب القرآن في علاج النفس	٢٨٠
الإيهان بعقيدة التوحيد	٢٨٢
التقوى	٢٨٢
العبادات	٢٨٤

الصفحة

٢٨٥	أ- الصلاة
٢٩٣	ب- الصيام
٢٩٥	ج- الزكاة
٢٩٦	د- الحج
٢٩٧	الصبر
٣٠٠	الذكر
٣٠٣	النوبة
٣٠٧	المراجع :

مُقَدَّسَة

إن القرآن الكريم كتاب دين وهدية الله سبحانه وتعالى على النبي محمد صلوات الله عليه وسلم للناس كافة ، يخاطب فيه عقل الإنسان ووجدانه ، ويعلمه عقيدة التوحيد ، ويرزكه بالعبادات ، ويهديه إلى ما فيه خيره وصلاحه في حياته الفردية والاجتماعية ، ويرشهده إلى الطريق الأمثل لتحقيق ذاته ، ونمو شخصيته ، وترقي نفسه في مدارج الكمال الإنساني حتى يستطيع أن يتحقق لنفسه السعادة في الدنيا والآخرة .

« هَذَا بَصَرْتُكُمْ لِتَرَوُنَّ »^(١)

« يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرِشْفَةٌ إِنَّمَا فِي الصُّدُورِ
وَهُدُىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ »^(٢)

« وَرَزَقْنَا عَلَيْكُمْ بِكِتَابٍ مُّبِينٍ وَهُدُىٰ وَرَحْمَةٌ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ »^(٣)

« كَمَا أَرْسَلْنَا فِيْكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتَلَوَّ عَلَيْكُمْ « أَيَّتُهُ » وَرِزْكُهُ وَبِعِلْمِكُمْ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَبِعِلْمِكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ »^(٤)

« هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمَمِ رَسُولًا كُمْ نَهُمْ يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ « أَيَّتُهُ » وَرِزْكُهُمْ
وَبِعِلْمِهِمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْ مُنَاهِلِ مُبِينِ »^(٥)

(١) الحادى : ٢٠ .

(٢) يونس : ٥٧ .

(٣) النحل : ٨٩ .

(٤) الفرقة : ١٥١ .

(٥) الجمعة : ٤ .

وقد حث القرآن الكريم الناس على السير في الأرض وملاحظة ما في الكون من مخلوقات ، والنظر والتفكير في السماوات والأرض وما فيها من خلق الله حتى يستطيعوا أن يستدلوا مما يرونه من بديع الصنع والخلق على وجود المبدع الخالق سبحانه وتعالى .

«فَلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ يَدْأَمْلَقُ ..»^(١)

«أَوْ لَرْ يَنْظُرُوا فِي مَكَنُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَ ..»^(٢)

«فَلْ انظُرُوا مَا ذَرَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ..»^(٣)

وقد عنى القرآن الكريم عنابة كبيرة بحث الناس على التعلم وتحصيل العلم . ولا أدل على ذلك من أن أول آية نزلت من القرآن الكريم كانت تدعى إلى القراءة والتعلم ، وتشيد بشأن القلم وهو الأداة التي حلم بها الله سبحانه وتعالى الإنسان الكتابة ، وعلمه ما لم يكن يعلم من العلوم .

«أَفَرَأَيْسَمْ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ $\textcircled{۱}$ خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلَقٍ $\textcircled{۲}$ أَفَرَأَ وَرَبِّكَ الْأَغْرِمَ $\textcircled{۳}$ الَّذِي عَلِمَ $\textcircled{۴}$ بِالْقَلْمَ $\textcircled{۵}$ عَلِمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ..»^(٤)

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم أداة الكتابة تكريساً لشأن القلم والكتابة ، وتتويجاً بفضلها في عملية التعلم وتحصيل العلم .

«أَتْ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ ..»^(٥)

(١) الجنكبوت : ٤٠ .

(٢) الأعراف : ١٨٩ .

(٣) يونس : ١٠١ .

(٤) العنك : ١ - ٥ .

(٥) القلم : ١ .

وقد أشاد القرآن الكريم بفضل العلم ، وكرم العلماء ، ورفع من شأنهم ،
ووضع العلم في مرتبة عالية كمرتبة الإيمان .

«... يُرْفَعُ اللَّهُ أَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...»^(١)

«وَقَالَ الَّذِينَ أَتُوا الْعِلْمَ وَالَّذِينَ لَقِدْ لَيْلَتْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي يَوْمَ الْبَعْثَةِ
فَهُنَّا يَوْمَ الْبَعْثَةِ وَلَا يَرَكِنُكُمْ كُمْ لَا تَعْلَمُونَ»^(٢)

ولا أدل على تكريم القرآن للعلم والعلماء من ذكره «الذين أتوا العلم»
قبل «الذين أتوا الإيمان» في الآية السابقة ، ومن ذكره أيضاً «الأولى العلم» بعد
«الملائكة» في الإقرار بوحدانية الله تعالى وبعلمه وقدرته وحكمته في الآية التالية :

«سَيِّدَ اللَّهُ أَنْهُرُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمُلْكِيَّةُ وَأَوْلُوا الْعِلْمِ قَاهِمًا بِالْقُسْطِ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»^(٣)

ومن أدلة تكريم الله تعالى للعلم وإشادته بفضله أنه جل شأنه طلب من النبي
صلوات الله عليه وسلمه أن يدعوه بالاسترادة من العلم .

«... وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»^(٤)

فالعلم والحكمة نعمتان من نعم الله العظيمة على الإنسان يخص بهما من
يشاء من عباده المؤمنين الصالحين .

«يُؤْتَى الْحِكْمَةُ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ لَقَدْ أُفِيَ بِخَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْعُ
إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابُ»^(٥)

(١) المجادلة : ١١ .

(٢) الروم : ٥٦ .

(٣) آل عمران : ١٨ .

(٤) طه : ١١٤ .

(٥) البقرة : ٢٦٩ .

وكانت نعمة العلم والحكمة من أهم النعم التي أنعم الله تعالى بها على أصنفاته من الأنبياء والمرسلين كما أشارت إلى ذلك كثير من آيات القرآن الكريم^(١).

وتحث القرآن الكريم الإنسان أيضاً على التفكير في نفسه ، وفي عجيب خلقه ، ودقة تكوينه ، وهو بذلك يدفع الناس إلى دراسة تكوينهم البدنى ، وإلى البحث في علوم الطب والفيزيولوجيا والتشريح ، وإلى دراسة النفس ومعرفة أسرارها . وإن معرفة الإنسان لنفسه تؤدي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى .

«وَفِي الْأَرْضِ مَا يَتَكَبَّرُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ وَقَاتَلُوكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ؟»^(٢)

**«أَوَلَمْ يَتَكَبَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا
بِاطِقٌ وَأَجْلٌ مُسْعٍ...»^(٣)**

«سَفَرُوكُمْ مَا يَرَنَّ فِي الْأَفَاقِ وَقَاتَلُوكُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَخْنَقٌ...»^(٤)

**«فَلَمَّا نَظَرَ الْإِنْسَانُ مَمْحُوتًا ۝ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ
الْأَنْطِفَ وَالثَّرَآبِ»^(٥)**

وفي هذا المعنى جاء في الآخر : «من عرف نفسه فقد عرف ربها». وجاء أيضاً :

«أَنْعِرْكُمْ بِنَفْسِهِ أَنْعِرْكُمْ بِرَبِّهِ»^(٦).

وفضلاً عن ذلك ، فإن معرفة الإنسان لنفسه تساعده على ضبط أهوائها ، ووقايتها من الغواية والانحراف ، وتوجيهها إلى طريق الإيمان والعمل الصالح

(١) انظر مثلاً : البقرة : ٢٤٧ ، يوسف : ٢٢ و ٦٨ ، الأنبياء : ٧٤ ، النحل : ١٥ .

(٢) المزماريات : ٢١ ، ٢٠ .

(٣) الروم : ٨ .

(٤) قصص : ٩٣ .

(٥) الطارق : ٧ - ٦ .

(٦) أبو حامد محمد بن محمد الفرازى : مراجع القدس في مدارج معرفة النفس ، ط ٢ . بيروت : دار الأکافى الجديدة ، ١٩٧٥ ، ص ٦ .

والسلوك السليم مما يهبىء للإنسان الحياة الآمنة المطمئنة ، ويتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة .

وقد تضمن القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي تعرضت لطبيعة تكوين الإنسان ، ووصفت أحوال النفس المختلفة ، وبيّنت أسباب انحرافها ومرضاها ، وطرق تهذيبها وتربيتها وعلاجها . وذلك أمر طبيعي في كتاب أنزله الله تعالى لهدایة الإنسان وتوجيهه وتربيته وتعليمه . وكانت هذه الآيات الواردة في القرآن الكريم عن النفس بمثابة المعلم التي يسترشد بها الإنسان في فهم نفسه وخصائصها المختلفة ، وفي توجيهه إلى الطريق السليم في تهذيبها وتربيتها . ومن الممكن أن نترشد بما ورد في القرآن الكريم من حقائق عن الإنسان ، وصفاته وأحواله النفسية في تكوين صورة صحيحة عن شخصية الإنسان ، وعن الدوافع الأساسية التي تحرك سلوكه ، وعن العوامل الرئيسية لتوافق شخصيته وتكاملها ، ولتحقيق صحة النفسية ، مما يكون من شأنه أن يمهد الطريق لقيام « علم للنفس » تتفق نتائجه وحقائقه مع الحقائق الصحيحة عن الإنسان التي تستمدّها من كلام الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان ، وهو الأعلم بطبعه وأسرار تكوينه .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مِنْ خَلْقٍ وَهُوَ أَفْلَيْفُ الْخَلِيلِ ﴾⁽¹⁾

وليس هذا الكتاب الذي تقدمه الآن إلا محاولة جمع الحقائق والمفاهيم النفسية التي وردت في القرآن الكريم ، والاسترشاد بها في تكوين صورة واضحة عن شخصية الإنسان وسلوكه ، مما يمكن أن يمهد الطريق إلى نشوء دراسات جديدة في علم النفس تحاول أن تضع الأساس لنظريات جديدة في الشخصية تتفق حقائقها ومفاهيمها مع الحقائق والمفاهيم التي وردت في القرآن الكريم عن الإنسان .

إن علماء النفس المحدثين ، بتبيّنهم مناهج البحث في العلوم الطبيعية ، قد

(1) الملك : ١٤ .

حصروا أنفسهم في دراسة الفظواهر النفسية التي يمكن فقط ملاحظتها ودراستها دراسة موضوعية ، وتجنباً للبحث في كثير من الفظواهر النفسية الهامة التي يصعب إخضاعها للملاحظة أو البحث التجاري . وبذلك أبعدوا النفس ذاتها من دراساتهم ، لأن النفس شيء لا يمكن ملاحظته ، وقصروا دراساتهم على السلوك الذي يمكن ملاحظته وقياسه . وقد نادى بعضهم بتغيير اسم « علم النفس » وتسويقه « علم السلوك » ، لأن علم النفس الحديث يدرس السلوك ولا يدرس النفس . وكان من نتيجة هذا الاتجاه في تطبيق مناهج العلوم الطبيعية في بحوث علم النفس أن سادت في دراسته وجهة النظر المادية التي ترجع جميع الفظواهر النفسية إلى العمليات الفسيولوجية ، والتي تنظر إلى الإنسان كمنظرتهم إلى الحيوان ، بل إنهم جعلوا من دراستهم لسلوك الحيوان المدخل الطبيعي لهم لسلوك الإنسان ، مغفلين في كثير من الأحيان الاختلاف الكبير في طبيعة تكوين الإنسان الذي يتميز عن الحيوان بالروح ، وهو أمر يغفلونه في دراساتهم إغفالاً يكاد يكون تاماً .

وقد أدى ذلك إلى كثرة بحوث علم النفس التي تتناول كثيراً من أنواع السلوك الإنساني السطحي وغير الهام ، وإغفال دراسة كثير من الفظواهر السلوكية الهامة في الإنسان التي تناول التواهي الدينية والروحية ، والقيم الإنسانية العليا ، والحب في أنس صوره الإنسانية (بعيداً عن التواهي البخنسية التي تطلب على دراسة علماء النفس المحدثين للحب) ، وأثر العبادات في سلوك الإنسان ، والصراع النفسي بين التوافع البدنية والدوافع الروحية ، وتوافق الشخصية عن طريق تحقيق التوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي في الإنسان ، وغير ذلك من الموضوعات التي سوف تتناولها في هذا الكتاب . ولقد لاحظ بعض علماء النفس المحدثين قصور علم النفس الحديث في دراسة التواهي الروحية في الإنسان . فقال إريليك فروم Erich Fromm ، مثلاً ، وهو محلل نفسي معاصر ، إن اهتمام علم النفس الحديث « ينصب في أغلب الأحيان على مشكلات تافهة تتنمشي مع منزع علمي مزعم » ، وذلك بدلاً من أن يضع مناهج جديدة لدراسة مشكلات الإنسان الهامة . وهكذا أصبح علم النفس يفتقر إلى موضوعه الرئيسي وهو الروح . وكان معيناً بالميكانيزمات وتقويمات ردود الأفعال والغرائز ،

دون أن يعني بالظواهر الأساسية المميزة أشد التميز للإنسان : كالحب ، والعقل ، والشعور ، والقيم ^(١)

وقد فطن في السنوات الأخيرة عدد قليل جداً من علماء النفس إلى أهمية دراسة هذه الناحية الروحية من الإنسان ، وبدأت محاولات لدراسة بعض الظواهر الروحية مثل التخاطر ^(٢) والاستشفاف ^(٣) ، غير أن هذه المحاولات لا زالت في بدايتها ، ولم تصل بعد إلى نتائج دقيقة يمكن ضمها باطمئنان إلى مجموعة معلوماتنا الدقيقة عن الإنسان .

ولا شك أننا في حاجة إلى مزيد من الاهتمام بدراسة تراثنا الإسلامي ، مبتدئين بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ثم متبعين تطور التفكير في الدراسات النفسية لدى الفلاسفة والمفكرين المسلمين بهدف معرفة المفاهيم النفسية الإسلامية فيما صحيحاً يكون هادياً لنا في دراساتنا النفسية ، وعوناً لنا في تكوين نظرياتنا الخاصة عن الشخصية الإنسانية بحيث تجمع بين دقة البحث العلمي الأصيل ، والحقائق التي وردت في القرآن الكريم عن الإنسان ، وهي حقائق يقينية لأنها صدرت عن الله تعالى خالق الإنسان .

وَلَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَبَرِّئُ مِنْ حَكِيمٍ حَسِيدٍ^(٤)

(١) إريك فروم : الدين والتحليل النفسي ، ترجمة فؤاد كامل . القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٧٧ ، من ١١ .

(٢) التخاطر هو تبادل المعلومات والأفكار مع شخص آخر قد يكون موجوداً في مكان بعيد .

(٣) الاستشفاف هو إدراك الأشياء البعيدة الخارجة عن مجال المحسوس .

(٤) لعلت : ٤٢ .

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

دَوَافِعُ السُّلُوكِ فِي الْقُرْآنِ

الدَّوَافِعُ هِيَ الْقُوَىُ الْمُحْرَكَةُ الَّتِي تَبْعَثُ النَّشَاطَ فِي الْكَائِنِ الْحَيِّ وَتَبْدِئُ السُّلُوكَ وَتَوْجِهُهُ نَحْوَ هَدْفٍ أَوْ أَهْدَافٍ مُعَيَّنةٍ . وَالدَّوَافِعُ تَوْدِي وَظَانَفُ ضَرُورِيَّةً وَهَامَةً لِلْكَائِنِ الْحَيِّ ، فَهِيَ الَّتِي تَدْفَعُهُ إِلَى الْقِيَامِ يَا شَيْعَ حَاجَاتَهُ الْأَسَاسِيَّةِ الْفَرْضِيَّةِ لِحَيَاةِ وِبَقَاءِهِ ، كَمَا تَدْفَعُهُ إِلَى الْقِيَامِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَفْعَالِ الْأُخْرَى الْهَامَةِ وَالْمُفَيِّدَةِ لَهُ فِي تَوْافِقِهِ .

وَيَصُنُّ عُلَمَاءُ النُّفُسِ الْمُحَدِّثُونَ الدَّوَافِعَ إِلَى قَسْمَيْنِ رَئِيْسَيْنِ هُمَا :

أَوَّلًا : الدَّوَافِعُ الْفَيْزِيُّولَوْجِيَّةُ^(۱) ، وَهِيَ الدَّوَافِعُ الْفَطَرِيَّةُ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِحَاجَاتِ الْبَدْنِ الْفَيْزِيُّولَوْجِيَّةِ وَمَا يَحْدُثُ فِي أَنْسَجَةِ الْبَدْنِ مِنْ نَفْعٍ أَوْ اِحْتِلَالِ الْإِرْتَرَانِ . وَهِيَ تَقْوِيمٌ بِتَوْجِيهِ سُلُوكِ الْفَرَدِ إِلَى الْأَهْدَافِ الَّتِي تَشْبِعُ حَاجَاتِ بَدْنِهِ الْفَيْزِيُّولَوْجِيَّةِ ، أَوْ تَسْدِيْدَ النَّفْعِ الَّذِي يَطْرَأُ عَلَى أَنْسَجَةِ الْبَدْنِ وَتَعِيْدُهُ إِلَى حَالَتِهِ السَّابِقَةِ مِنَ الْإِرْتَرَانِ .

ثَانِيًّا : دَوَافِعُ نَفْسِيَّةٍ وَرُوْحِيَّةٍ^(۲) ، وَهِيَ دَوَافِعٌ تَعْلَقُ بِحَاجَاتِ الإِنْسَانِ النُّفُسِيَّةِ وَالرُّوْحِيَّةِ .

الدَّوَافِعُ الْفَيْزِيُّولَوْجِيَّةُ

لَقَدْ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي مَنَعَ نَعْمَةَ الْوِجْدَنِ لِكُلِّ مُخْلُوقٍ أَنْ يَوْدُعَ فِي مُخْلُوقَاهُ خَصَائِصَهَا وَصَفَاتُهَا الْخَاصَّةُ الَّتِي تَوَهِلُهَا لِأَدَاءِ الْوَظَائِفِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهَا .

(۱) وَتَسْمَى أَيْضًا بِالدَّوَافِعُ الْأُولَى .

(۲) وَتَسْمَى أَيْضًا دَوَافِعُ ثَانِيَةٍ ، أَوْ دَوَافِعُ نَفْسِيَّةٍ - اِجْتِمَاعِيَّةٍ ، أَوْ دَوَافِعُ اِجْتِمَاعِيَّةٍ .

«رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فَمُهَمَّهُ»^(١)

«سَيِّدُنَا الَّذِي أَعْلَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَرَ فَهَمَّهُ»^(٢)

ومن بين الخصائص الهامة التي أودعها الله تعالى في طبيعة تكوين الحيوان والإنسان الدوافع الفسيولوجية . والدوافع الفسيولوجية قسمان : أحدهما ضروري لبقاء الفرد ، والآخر ضروري لبقاء النوع .

وتؤدي الوظائف الفسيولوجية وظيفة بيولوجية هامة للحيوان والإنسان ، فهي تقوم بتلبية حاجات البدن ، وتسد كل ما يطرأ عليه من نقص عضوي أو كيميائي ، وتقاوم كل ما يطرأ عليه من خلل أو اضطراب أو فقدان الأتزان . وهي تعمل دائمةً على الاحتفاظ للبدن بقدر معين من الأتزان الحيوي اللازم لحفظ ذاته وبقائه . فإذا احتفل الأتزان في البدن بأن قل الغداء في الدم ، مثلاً ، أو قل الماء في أنسجة البدن ، أو زادت حرارة البدن أو برودته عن حد معين ، أو زاد التعب عن حد معين ابعت في البدن فوراً دوافع معينة تدفع الفرد إلى القيام بالنشاط اللازم لإعادة البدن إلى حالته السابقة من الأتزان . وقد بيّنت الدراسات الفسيولوجية الحديثة^(٣) وجود ميل طبيعي في بدن الإنسان والحيوان إلى الاحتفاظ بدرجة ثابتة من الأتزان ، بحيث إذا احتفل هذا الأتزان ابعت دافع إلى القيام بنشاط تواقي لإعادة البدن إلى حالة السابقة من الأتزان . وقد يتم هذا النشاط التواقي على أساس فسيولوجي يبحث لا إرادة للإنسان فيه ، كما يحدث مثلاً حينما يتصلب البدن عرقاً في درجات الحرارة العالية مما يؤدي إلى خفض درجة حرارة البدن نتيجة لتبخر العرق . أو كما يحدث حينما تدمع العين إذا دخل جسم غريب تحت الجفن ، وتؤدي الدموع إلى التخلص من هذا الجسم الغريب . وقد يتم هذا النشاط التواقي بقيام الفرد بنشاط إرادى معين كأن يقوم مثلاً بتناول الغداء في حالة الجوع ، أو بشرب الماء في حالة الظماء .

(١) ط : ٤٠ .

(٢) الأهل : ٤ - ١ .

(٣) قام بها دوكتر كارلون الفسيولوجي الأمريكي ونشرها في كتاب بعنوان «حكمة البدن» .

Cannon, W.B. *The Wisdom of the Body*. New York: Norton, 1932.

وَفِكْرَةُ الْأَتْرَازَنِ الْحِيُويِّ هُذِهِ الَّتِي اكْتَشَفَهَا الْعُلَمَاءُ حَدِيثًا قَدْ ذَكَرَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ قَبْلِ مِنْذَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنَاهُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

وَالْأَرْضَ مَدَدَنَاهَا وَالْقَيْنَاتِ فِيهَا رَوْسَى وَأَبْنَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَقْ وَمَوْزُونٍ^(١)

وَكُلُّ شَقْ وَعِنْدَهُ يَقْدَارُ^(٢)

هُنَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَسَوْنَكُمْ فَعَدَكُمْ^(٣)

فَالإِنْسَانُ - وَكَذَلِكَ الْحَيْوَانُ - مَخْلُوقٌ بِطَرِيقَةٍ مُعِيَّنةٍ مُقْدَرَةٍ تَقْدِيرًا بِحِيثُ يَكُونُ عَلَى قَدْرٍ مُعِينٍ مِنَ الْأَتْرَازَنِ . فَإِذَا اخْتَلَ هَذَا الْأَتْرَازَنَ تَبَعُثُ الدَّوَافِعُ الْفَسِيْلُوْجِيَّةُ الَّتِي تَدْفَعُ الإِنْسَانَ - وَكَذَلِكَ الْحَيْوَانَ - إِلَى الْقِيَامِ بِأَنْوَاعِ النَّشَاطِ التَّوَافِقِيِّ الْلَّازِمِ لِإِعَادَةِ الْبَدْنِ إِلَى حَالَتِهِ السَّابِقَةِ مِنَ الْأَتْرَازَنِ .

وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ إِلَى هَذِهِ الدَّوَافِعِ الْفَسِيْلُوْجِيَّةِ الْهَامَةِ ، وَسُوفَ نَتَأْوِلُ فِيمَا يَلِي مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مُتَعْلِقًا بِهَذِهِ الدَّوَافِعِ .

أُولَئِكَ دَوَافِعُ حَفْظِ الدَّلَائِلِ :

ذَكْرُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَنَعْمَلُ فِي بَعْضِ آيَاتِ الْقُرْآنِ أَهْمَ الدَّوَافِعِ الْفَسِيْلُوْجِيَّةِ

(١) الْجَهْرُ : ١٩ ، « مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ » ، أَيْ « مَوْزُونٌ بِمِيزَانِ الْحَكْمَةِ » ، وَيَقْدَرُ بِقَدْرِ مَا تَقْضِيهِ لَا تَصْلِحُ فِي زِيَادَةٍ وَلَا تَقْصِدُ ، تَفْسِيرُ النَّسْقِ ، جِدْ ٤ ، صِ ٢٧ ، أَيْ « مُقْدَرٌ بِقَدْرِ مُعِينٍ حَسِيبًا تَقْضِيهِ الْحَكْمَةِ » ، حَسِيبٌ مُعِيدٌ مُغْرِبٌ : صَفَرَةُ الْيَادِ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ ، الْقَاهْرَةُ ، دَارُ الْكِتَابِ الْعَالَمِيِّ ، ١٩٥٩ ، صِ ٤٠ .

(٢) الرَّدُّ : ٨ ، أَيْ بِقَدْرِ وَاحِدٍ لَا يَجْاوزُهُ ، تَفْسِيرُ الْجَلَالِيِّ ، صِ ٢٠٦ ، « بِقَدْرِ وَاحِدٍ لَا يَجْاوزُهُ وَلَا يَنْتَصِرُ عَنْهُ » ، تَفْسِيرُ النَّسْقِ ، جِدْ ٢ ، صِ ٢٤٣ ، وَأَيْ كُلُّ شَيْءٍ مَعْنَاهُ تَعَالَى بِقَدْرِ وَاحِدٍ لَا يَجْاوزُهُ وَلَا يَنْتَصِرُ عَنْهُ ، حَسِيبٌ مُعِيدٌ مُغْرِبٌ : صَفَرَةُ الْيَادِ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ ، مَرِيجُ سَابِقٍ ، صِ ٤٠٠ .

(٣) الْأَنْفُسُ : ٧ ، وَكَذَلِكَ أَيْ جَمِيلُكَ مُعْتَدِلًا سَرِيُّ الْخَلْقَ ، تَفْسِيرُ الْقَرْطَبِيِّ ، جِدْ ٩ ، صِ ٢٤٦ . وَيَقْتَلُهُمْ مِنْ مُعِينِ الْأَعْدَادِ وَالسُّواهِ فِي خَلْقِ الإِنْسَانِ أَنَّهُ يَضْسُدُ الْأَعْدَادَ وَالسُّواهَ بِصُورَةٍ شَامِلَةٍ بِجَمِيعِ تَكْرِيرِ الإِنْسَانِ سَوَاهُ فِي هِيَتِهِ الْخَارِجِيَّةِ أَوْ فِي تَكْرِيرِهِ الدَّاخِلِيِّ وَوَظَافَتِهِ الْمُخْلَفَةِ ، أَيْ أَنَّهُ يَضْسُدُ أَبْصَارَ مَفْهُومِ الْأَتْرَازَنِ الْحِيُويِّ الْلَّازِمِ لِحَفْظِ دَلَائِلِ الإِنْسَانِ وَبَقَائِهِ .

التي تقوم بحفظ الذات وبقاء الفرد مثل الجوع ، والعطش ، والتعب ، والحرارة والبرودة ، والألم ، والتنفس .

لقد خاطب الله تعالى آدم عليه السلام وهو في الجنة مذكراً له ما هو فيه من نعيم حيث لا يؤديه الشعور بالجوع أو العطش ، وحيث لا يعرى فيخدش حياؤه وتؤديه تقلبات الجو ، وحيث لا يشعر بحرارة الشمس حيث لا توجد شمس في الجنة ، ومحلياً له من الوقع في شرك الشيطان الذي يريد أن يخرجه من الجنة ليهبط إلى حياة الأرض التي سيشقى فيها هو وأبناؤه بالسعى والعمل المتواصل بالصيد والحرث والزرع لإشباع دافع الجوع ، وحفر الآبار والضرب في الأرض للوصول إلى عجاري الأنهر لإشباع دافع العطش ، وصنع الملابس لاتفاقه العري الذي يعرضه لتقلبات الجو ، والاتتجاه إلى ظلال الأشجار والكهوف وبناء المساكن لاتفاقه حرارة الشمس وبرودة الليل . قال تعالى :

« قَلْتَ يَا كَفَادُمْ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَرَزُوْجَكَ فَلَا يَمْرِجَنْكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَسْقَى ۝ إِنَّكَ أَلَا تَجْمُوعَ فِيهَا وَلَا تَغْرِي ۝ وَأَنْكَ لَا تَنْظَمُوا فِيهَا وَلَا تَضْخَنُ ۝ فَوَسَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَكْعَادُمْ هَلْ أَدْلُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخَلْدِ وَمَلَكَ لَا يَبْلِي ۝ »^(١)

في هذه الآيات إشارة إلى ثلاثة دوافع هامة من دوافع حفظ الذات وهي دوافع الجوع والعطش وتجنب الحرارة (وكذلك البرودة) المفرطة . كما تشير هذه الآيات أيضاً إلى دافع حب البقاء ودافع التملك . وتعمل دوافع حفظ الذات في خدمة دافع حب البقاء ، فهي بإشعاعها حاجات البدن الفسيولوجية إنما تعمل على بقاء الفرد واستمرار حياته . أما دافع التملك فهو من الدوافع النفسية والروحية التي ستناهياً عنها بعد . وقد كان دافع حب البقاء ودافع الثالث مدخل الشيطان إلى نفس آدم فوسوس له : « هل أدلوك على شجرة الخلد وملك لا يبلي » ، فensi آدم ما حذره الله تعالى منه وعمى أمر ربه فأكل من الشجرة .

(١) ط : ١١٧ - ١٢٠ .

ونجد في الآيات التالية من سورة النحل إشارة إلى بعض دوافع حفظ الذات وهي : الحرارة والبرودة ، والتعب ، والألم . قال تعالى :

« وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ يَوْمٍ نُكُوذُكَ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَمِ يَوْمًا تَسْتَخْرُقُوهَا يَوْمًا ظَغْنِيَّكُمْ وَيَوْمًا إِفَاقِيَّكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَانًا وَمَنْشَأًا إِلَى حِينٍ ① وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مَا خَلَقَ ظَلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِنَ الْجَبَلِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَرُ وَسَرِيلَ تَقِيكُمْ بِالْكَدَكَدِ ② يَمِنْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعْنَكُمْ تُشْبُوَنَ ③ »⁽¹⁾

في كهوف الجبال والخيام والبيوت يجد الإنسان سكناً يقي فيه نفسه من أذى الحيوانات الفقارية ، وشر الأعداء ، وتقلبات الجو من حرارة وبرودة ، كما يجد فيها الراحة والمكان الآمن الذي يستطيع فيه النوم بعد عناء العمل المتواصل أثناء النهار . كما أن في ظلال الأشجار والتلال والجبال يجد الإنسان ملجاً يقيه حرارة الشمس ، وبالملابس التي يصنعها الإنسان يقي نفسه شدة الحرارة والبرودة ، وبالدروع التي يصنعها من الحديد يقي نفسه أثناء الحروب من أذى الأعداء وألم المجرور .

ومن يشير إلى أن دوافع الجوع والعطش والتعب من الدوافع التي لا يستطيع أن يتحملها الإنسان عادة مدة طويلة لا تسييه له من ألم ، وما تلحقه به من ضرر ، ما وعده الله تعالى به المؤمنين من ثواب لتحملهم الجوع والظماء والتعب في سبيل الله . قال تعالى :

« مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْطَمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغِبُوا بِإِنْقِسَاعِهِمْ عَنْ نَفْسِهِمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ عَلَيْهَا وَلَا يَنْصَبُ وَلَا يُحْمَصَّةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَكُونُونَ مُوْطَّدِينَ يَغْنِطُ الْكُفَّارَ وَلَا يَتَأْلُونَ مِنْ

(1) النحل : ٨١ ، ٨٠ .

عَذَّرْتُمْ إِلَّا أَشْكَبْتُهُمْ بِهِ عَمَلَ صَالِحٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَمْرَ الْمُتَّحِدِينَ ①

و دوافع حفظ الذات موجودة لدى كل من الحيوان والإنسان . و تشير الآية التالية من سورة النمل إلى دوافع حفظ الذات عند النمل مما يجعلها تعجب ما يؤديها ويلحق بها الضرر ويفسدها بالهلاك والدمار .

وَخَيَرَ لِسَلِيمَنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَ وَالظَّبَرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ②
حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَاتَتْ نَمَلَةٌ يَتَابِيَّا النَّمْلُ أَدْخَلُوا مَسَكِنَكُرْ لَا
يَعْلَمُنَكُرْ سَلِيمَنٌ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَسْعُونَ ③

في هاتين الآيتين نجد إشارة واضحة إلى دوافع حفظ الذات عند النمل مما دفع نملة منها ، لعلها رئيسة مجتمع النمل أو حارسته ، إلى تنبية بقية النمل إلى الخطر المحدق بهم لكي يدخلوا مساكنهم لاتقاء هذا الخطر .

و تشير بعض آيات القرآن إلى الأهمية الخاصة لكل من دافع الجوع وانفعال الخوف في حياة الإنسان . فكل من الجوع والخوف يلعب دوراً هاماً في حياة الإنسان . فالإنسان عادة يجد كثيراً من العناية في سبيل الحصول على لقمة العيش لنفسه وزوجه وأولاده . كما أن الخوف ④ من الموت ، أو من المستقبل المجهول ، أو من الأعداء ، أو من غير ذلك من مصائب الدهر ، كثيراً ما يكون سبباً في شقاء الإنسان . ولذلك فقد ذكرت بعض آيات القرآن كلاماً من الجوع والخوف كعاملين لهما أثراً خطيراً في حياة الإنسان . قال تعالى :

**وَلَنْ يَلُوْتُكُمْ رُبْقَ وَمِنَ الْتَّرْفِ وَالْجُشُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْسَوَلِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّرَكَتِ وَتَرَكَ الصَّابِرِينَ ⑤**

(١) التربية : ١٢٠ .

(٢) النمل : ١٨ ، ١٧ .

(٣) مستناد فيما بعد الخوف في شيء من التفصيل في الفصل الثاني الخامس بالاتصالات .

(٤) البقرة : ١٥٥ .

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِفَرِيَةَ كَانَتْ كَامِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ شَفَرٍ
مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمَ اللَّهِ فَلَذَّافَهَا اللَّهُ بِسَاسَ الْجُرُوعِ وَالْحَوْرَفِ إِنَّ
كَانُوا يَصْنَعُونَ^(١)

فَلَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَهْمَمُهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنُهُمْ مِنْ
حَرْفٍ^(٢)

وما يبين أيضاً أهمية إشاع دافع الجوع في حياة الإنسان ، وكذلك أهمية
وقاية جسمه من الأذى الذي قد ينشأ عن تقلبات الجو من حرارة وبرودة أن الله
سبحانه وتعالى جعل كفارة اللغو في الأمان إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم .

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْغَوْرِ إِنَّمَا تَنْكِرُونَ وَلَكُنْ يُؤَاخِذُكُمْ إِنْ عَاهَدْتُمُ الْأَيْمَنَ
فَكَفَرُتُمُ بِإِطْعَامِ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُظْعِمُونَ أَفْلَيْكُمْ أَوْرُكُوكُمْ
أَوْ تَخْرِيرُ رَقْبَتِهِ فَنَّ لَزِيجَدْ فَيَسِيَّامُ فَلَلَّاهُ أَبَارِ ذَلِكَ كَفَرَةَ إِنَّمَا تَنْكِرُونَ إِذَا حَلَقْتُمُ
وَأَخْفَقْتُمُ إِنَّمَا تَنْكِرُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ هَا يَتِيمَهُ لَعَلَّكُمْ تَسْكُونَ^(٣)

وأشار القرآن إلى دافع الحرارة والبرودة في قوله تعالى :

وَبَرَّنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَرَحِيرًا ۞ مُشَكِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَأِيْكَ لَا
يَرَوْنَ فِيهَا نَخْسَا وَلَا زَمْهَرِيْرَا^(٤)

ليس في الجنة شمس تحمل الإنسان يشعر بالحرارة ، كما أنه ليست فيها برودة
شديدة .

(١) الصعل : ١١٢ .

(٢) فريش : ٤٤٣ .

(٣) المائدة : ٨٩ .

(٤) الإنسان : ١٣ ، ١٤ .

وأشار القرآن أيضاً إلى دافع التعب . قال تعالى عن لسان المؤمنين في الجنة .

«وَقَالُوا الْمُحْسِنُ إِلَهُ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْخَرَقَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ الَّذِي
أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَاتَلَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمْسَكُنَا فِيهَا نَعَصُ ۚ وَلَا يَمْسَكُنَا فِيهَا لَغُوبٌ ۝»^(١)

في الجنة دار الإقامة الدائمة لا يشعر الإنسان بالتعب والإعياء لعدم التكليف .

وقال تعالى أيضاً في وصف أهل الجنة :

«لَا يَمْسِهِمْ فِيهَا نَعَصُ ۖ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ ۝»^(٢)

أما في الحياة الدنيا حيث يشقى الإنسان في سبيل الحصول على رزقه ، وفي القيام بواجباته ومسؤولياته المختلفة فإنه يشعر بالتعب والإعياء ويحتاج إلى الراحة والنوم لكي يستعيد نشاطه وحيويته ويصبح قادراً على الاستمرار في القيام بمسؤولياته المعيشية .

«وَمِنْ عَابِثِيهِ مَنَامُكُمْ وَأَبْيَانُكُمْ وَأَتَهَارُكُمْ وَأَيْغَانُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝»^(٣)

فن آيات الله أن ينام الإنسان سواء بالليل أو بالنهار لإراحة بدنه من عناء العمل أثناء النهار ، وطلب الرزق من فضل الله الواسع ، وقيامه بمسؤولياته المعيشية المختلفة . وفي هذا المعنى قال الله تعالى أيضاً :

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الظَّلَلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝»^(٤)

(١) ناطر : ٣٤ ، ٣٥ ، لغوب : تعب وإعياء .

(٢) الحجر : ٤٨ .

(٣) الروم : ٢٣ .

(٤) يونس : ٧٧ .

«أَلَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الظَّلَلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ»^(١)

«أَلَّا يَرَوَا أَنَا جَعَلْنَا الظَّلَلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»^(٢)

«وَجَعَلْنَا لَنَا نَوْمًا كَسَابًا وَجَعَلْنَا الظَّلَلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا»^(٣)

«وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الظَّلَلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سَبَانًا وَجَعَلَ النَّهَارَ شُورَاً»^(٤)

وتشير هذه الآيات إلى أن الله سبحانه وتعالى جعل الليل ساتراً بساده ليستريح فيه الناس ويسكنوا ويناموا بعد عناء العمل وكثرة الحركة والنشاط أثناء النهار . وجعل النهار مضيئاً ليتمكنوا من السعي في الأرض طلباً للرزق وللقيام بمتطلبات معايشهم . وقال تعالى أيضاً عن دافع التعب وطلب الراحة :

«وَعَوْدُ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ بِالظَّلَلِ وَيَعْلَمُ مَا يَحْرَثُونَ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَعْشُرُكُمْ فِيهِ لِيَقْضِيَ أَجَلَ مَسْعِيٍّ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يَنْتَهِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»^(٥)

«وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الظَّلَلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»^(٦)

إن التعب هام يدفع الإنسان إلى الراحة والنوم بعد عناء العمل أثناء النهار فتسترد خلايا بدنها نشاطها وحيويتها ، ويستيقظ الإنسان بعد النوم قريباً

(١) خالر : ٦١ .

(٢) النحل : ٨٦ .

(٣) النسا : ٩ - ١١ .

(٤) الفرقان : ٤٧ .

(٥) الانعام : ٦٠ .

(٦) الرحمن : ٧٣ .

نشيطاً قادراً على مواصلة عمله في حيوية ونشاط . ويؤدي النوم أيضاً إلى التخلص من التوتر البدني الذي ينشأ عن المخاوف التي تنتاب الإنسان ، وعن كثيرون من المشكلات والصعاب التي يتعرض لها أثناء حياته اليومية . يتضح ذلك مما جاء في القرآن في وصف حال المسلمين أثناء موقعة بدر حينما استولى على بعضهم الخوف . قال تعالى :

﴿إِذْ يُقْبَلُ النَّاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنَزَّلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّمَاءِ مَا كُنْتُمْ تَرْغَبُونَ
وَيَدْهَبَ عَنْكُمْ رُحْزُ الشَّيْطَنِ وَلَيَرِيدَ عَلَىٰ فُلُوْزَكُمْ وَيُنَشِّئَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾^(١)

فقد أدى نعاسهم إلى إزالة خوفهم مما أعاد إليهم حالة الأمن والاطمئنان . ويشير الله تعالى إلى أهمية النوم في حياة الإنسان بقوله تعالى :

﴿فَلَمْ أَرَهُ يَنْمُتْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الظَّهَارَ سَرِيرًا إِلَّا يَرْوِمُ الْقَبَسَمَةَ مِنْ إِنْهِ
غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيْكُمْ بِلَمْلَمَ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تَنْسِرُونَ﴾^(٢)

فإذا كان النهار مستمراً لا نهاية له ، ولا يوجد هناك ليل يسكن فيه الإنسان ليراحة من التعب وينام ، فهل يستطيع الإنسان أن يعيش حياة هادئة خالية من العناء والشقاء . إن في ذلك دليلاً على فضل الله تعالى ونعمته على الإنسان ، بأن جعل النهار والليل متباينين على الدوام ، وبأن أودع في الإنسان دافع التعب الذي يدفعه إلى النوم والراحة ليسترد نشاطه وحيويته .

والآلم من الدوافع الفسيولوجية الفطرية ، وهو يدفع الإنسان إلى تجنب ما يؤذيه ويفقهه . وقد سبق أن أشرنا إلى دافع الآلم في الآية التي ذكرناها من قبل من سورة النحل (الآية رقم ٨١)^(٣) . وما يشير أيضاً إلى أن الآلم دافع قوي يدفع الناس إلى تجنب كل ما يؤلمهم ما جاء في كثير من آيات القرآن من تحذير الكفار والمنافقين مما يمكن أن يلحق بهم من آلم العذاب سواء في الدنيا

(١) الأنفال : ١١ .

(٢) القصص : ٧٢ .

(٣) انظر من ٣١ .

أو في الآخرة إنهم لم يتوبوا إلى الله ويؤمنوا به . ولو لم يكن الألم دافعاً قرابةً وفطرياً وعاماً بين جميع البشر لما استعان الله تعالى به في تحذير الناس وتحذيرهم مما يمكن أن يلحق بهم من عذاب أليم إذا كفروا بالله تعالى ولم يؤمنوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام . وقد وردت في القرآن آيات كثيرة تحذر الكافرين من عذاب جهنم ، نذكر فيما يلي أمثلة منها :

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِيهِمْ مَا فِي الْأَرْضِ بِعِيمًا وَمِثْلُهُ مَعَهُ لِيَقْتَدُوا بِهِمْ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا نُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَمْ يَمْلِمْ عَذَابُ الْيَمْنِ ۝ يُرِيدُونَ أَنْ يَمْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجٍ مِنْهَا وَلَمْ يَمْلِمْ عَذَابٌ مُفْعِلٌ ۝ ۱۱) »

« .. قَدْنَاهُ يَتُوبُوا إِلَكَ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُولُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ ۱۲) »

« يَسْقُونَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَمَاءِنُوا بِهِ يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُحِيرُ مِنْ عَذَابِ الْيَمْنِ ۝ ۱۳) »

ودافع التنفس من الدوافع الفسيولوجية الضرورية للحياة . فالإنسان - وكذلك الحيوان - يحتاج إلى نفس الأكسجين ليعيش . فإذا قلل الأكسجين شعر الإنسان بداعف قوي يدفعه إلى استنشاق الأكسجين . فإذا العدم الأكسجين نهاية مات الإنسان . وقد أشار الله تعالى إلى أهمية التنفس في حياة الإنسان في قوله تعالى :

« وَإِذَا هُمْ أَنَا حَلَقْنَا فِي الْفُلُكِ الْمَشْهُونِ ۝ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِمْ مَا يَرَكُبُونَ ۝ وَإِنْ أَنْشَأْنَا فِرْقَةً فَلَا صَرْبَعٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ بِنَفْدُونَ ۝ ۱۴) »

(۱) النساء : ۳۶ ، ۳۷ .

(۲) التوبة : ۷۴ .

(۳) الأحقاف : ۳۱ .

(۴) يس : ۴۱ - ۴۳ .

وَنِتْهُم مِّنْ خَسْقَاتِهِ الْأَرْضَ وَنِتْهُم مِّنْ أَغْرَقْنَا ..^(١)

وتتصبح أهمية دافع النفس كدافع فسيولوجي فطري يُؤدي وظيفة هامة في حفظ الذات وبقائها ما يشعر به الإنسان من خوف شديد إذا ما أحاط به خطر يهدده بالفرق . وقد أشار الله تعالى إلى حالة الذعر التي تصيب الإنسان إذا كان في الفلك في عرض البحر وهبت عليه عاصفة شديدة ، وأحاط به الموج من كل مكان ، وشعر بخطر الموت غرقاً .

هُوَ الَّذِي يُسِيرُ شَمْلَةً فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كَسَرْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرْتُمْ
بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ نَّاسِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
وَظَاهَرَ أَنَّهُمْ أَحْبَطُهُمْ دُعَوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ لَهُ الَّذِينَ لَهُنَّ الْمُحِيطُونَ مِنْ هَذِهِهِ
لَكَوْنَتْ مِنَ الشَّاكِرِينَ^(٢)

ثانياً - دافع بقاء النوع :

وكما اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يوجد في طبيعة تكوين الإنسان والحيوان دافع فسيولوجية فطرية تدفعهما إلى أنواع السلوك الفرورية لحفظ الذات ، فقد اقتضت حكمته كذلك أن يوجد في طبيعة تكوينها دافعين فسيولوجيين فطريين يدفعانهما إلى القيام بتنوع هامين من السلوك يتوقف عليهما بقاء النوع . هذان الدافعان هما الدافع الجنسي ، ودافع الأمومة .

الدافع الجنسي :

الدافع الجنسي يقوم بوظيفة هامة هي التناصل لبقاء النوع . وعن طريق الدافع الجنسي تتكون الأسرة ، ومن الأسر تتكون المجتمعات والشعوب ، فتمد الأرض ، وتتعارف الشعوب ، وتزدهر الحضارة ، وتتقدم العلوم والصناعات .

(١) الفتن الكبير : ٤٠ .

(٢) يوتس : ٢٢ .

«يَكُلُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَرَّةٍ وَأَنْشَأْنَاكُمْ شُعُورًا وَقَبَّلَتِكُمُ الْتَّعَارُفَوَا
إِنَّ أَنْجَكَمْ كُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُمْ كُمْ لَمَّا أَنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ حَمِيرٌ»^(١)

«يَكُلُّهَا النَّاسُ أَنْقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نُفُسٍ وَحْدَةً وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَنْقُوا اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلَ لَوْنَ يَوْهٰ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا»^(٢)

«وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْوَارِكُمْ بَرِينَ
وَحَدَّدَهُ»^(٣)

«فَاطَّرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَمِ أَزْوَاجًا
يَذْكُرُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كِتْلَاهُ شَنِيٌّ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(٤)

واقتضت مشيئة الله تعالى أن توجد وظيفة التناслед في النباتات أيضاً . كما اقتضت مشيته تعالى أن يوجد كل شيء في الكون أزواجاً .

«.. وَمِنْ كُلِّ الْثَمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ..»^(٥)

«وَمِنْ كُلِّ شَقْعٍ خَلَقْتَ زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»^(٦)

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) النساء : ١ .

(٣) التحل : ٧٢ .

(٤) الشرقي : ١١ . وفي تفسير ابن كثير : «(يلذ لكم فيه) أي يخلقكم فيه أي في ذلك الخلق على هذه الصفة . لا يزال يلذ لكم فيه ذكوراً وإنما خلقنا من بعد خلق وجيلاً بعد جيل» . ٤٣ ، ص ١٠٨ .

(٥) المرعد : ٣ .

(٦) الداريات : ٤٩ . وقد بيّنت البحوث الحديثة في علم الطبيعة أن كل ذرة من اللرات التي تتكون منها جميع الأشياء في الكون تتكون من إلكترون وبروتون ، وقد تمكّن العلماء من تعليمهما إلى كهرباء موجية وسائلية ، بخطب كل منها إلى الآخر .

**وَسَبَّحُنَّ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ لَهُمَا تَثْبِتُ الْأَرْضَ وَمِنَ النَّفِيسِمْ وَمَنْ
لَا يَعْلَمُونَ^(١)**

والداعم الجنسى أساس تكوين الأسرة حيث يسكن كل زوج إلى زوجه فيشعر بالراحة والأمن والطمأنينة ، وتنشأ بينهما عواطف المحبة والمودة والرحمة مما يؤدي إلى استمرار الحياة الزوجية في وفاق وتعاون مما يهيبى الجلو السليم لتنشئة الأطفال ورعايتهم وتكونهم شخصياتهم تكونينا سليماً .

**وَمِنْ عَابِثِيهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنَ النَّفِيسِكَ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ
مُودَةً وَرَحْمَةً إِنِّي فِي ذَلِكَ لَا كَيْنَتْ لِقَرْبِي بَتَفَكُّرِي^(٢)**

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَقْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِبَسْكُنَ إِلَيْهَا^(٣)

دافع الأمومة :

وشاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يوجد أيضاً في طبيعة تكوين الأم دافعاً فطرياً يهيئها للقيام برسالتها الهامة في الإنجاب لبقاء النوع . فهي تحمل مشاق العمل والولادة عن رضا ، و تقوم بإرضاع الطفل ورعايته والحنو عليه حتى ينمو ويصبح قادراً على العناية بنفسه . وقد أشار القرآن إلى ما تتحمله الأم من عناء في العمل والولادة .

**وَوَصَّيْتَ الْإِنْسَانَ بِوَالِدِيهِ إِحْسَنَا حَلَّتْهُ أُمُّهُ كُفْرَهَا وَوَضَعَتْهُ كُفْرَهَا وَحَلَّهُ
وَفَصَلَّهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا^(٤)**

(١) يس : ٣٦ . انظر في هذا الصدد أيضاً : محمد خطب : دراسات في النفس الإنسانية ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٧٩ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٢) الروم : ٢١ .

(٣) الأحراف : ١٨٩ .

(٤) الأسفاف : ١٥ . وحَلَّتْهُ أُمُّهُ كُفْرَهَا وَوَضَعَتْهُ كُفْرَهَا ؛ أى عل مثلك . وَفَصَلَّهُ ؛ أي فدامه .

﴿ وَوَصَّيْنَا إِلَيْكُمْ بِوَالدِّيَهِ حَلَتْهُ أَمْرٌ وَهَنَا عَلَىٰ وَهُنْ وَفِصَّلُهُ فِي عَامَيْنِ إِنْ أَشْكُرُ لِي وَبِرَادِيَكَ إِلَىٰ الْمُسِيرِ ﴾^(١)

ويصف القرآن حواطف الأم وحبها لأولادها ، وشغفها بهم ، وخوفها عليهم ، وحزنها لبعدهم عنها ، وفرحها لقربهم منها ، وذلك أثناء ذكره تعالى لقصة موسى عليه السلام .

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمَّ مُوسَى فَقِيرًا إِنْ كَادَتْ لَتُبَدِّي يَهُه لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهِ لِنَكُونَ مِنَ الْمُقْرِبِينَ ﴾^(٢)

أي أن قوادها أصبح خالياً من التفكير في أي شيء ما عدا ابنها . وكادت لفطرت خوفها عليه وحزنها لفراقه أن تدل عليه لولا أن ثبت الله تعالى قلبها وأنزل السكينة والطمأنينة في نفسها . وما رد إليها ابنها ذهب عنها الحزن ، وعادت إليها سعادتها .

﴿ فَرَدَدَكُهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقْرَءُ عَيْنَاهَا وَلَا تَخْرُنَ .. ﴾^(٣)

الدوافع النفسية والروحية

الدوافع النفسية والروحية هي الدوافع التي ترتبط بمحاجات الإنسان النفسية والروحية ، وليست لها علاقة مباشرة بمحاجات الإنسان الفسيولوجية . ويضم هذا القسم من الدوافع نوعين رئيسيين هما :

١ - الدوافع النفسية ، وهي ما يطلق عليه علماء النفس المحدثون اسم الدوافع النفسية - الاجتماعية ، لأنها تشيع حاجات نفسية للفرد من جهة ، ولأنها تظهر أثناء تنشئة الفرد الاجتماعية ، ونتيجة لتفاعله الاجتماعي مع غيره من الناس ، من جهة

(١) لسان : ١٤ . الرحمن هو الضفت . وـ وـ هنا مل وـ يعني الضفت في العمل والولادة .

(٢) الفصل : ١٠ .

(٣) الفصل : ١٣ .

أخرى . ويدعُب معظم علماء النفس المحدثين إلى أن الدوافع النفسية هي في الأغلب مكتسبة على أساس دوافعنا الفسيولوجية ، أي أنها يعتبرونها متفرعة أو مشتقة منها نتيجة تفاعلها مع خبرات الفرد وعوامل تنشئه الاجتماعية . وبناء على ذلك ، فهم لا ينكرون وجود عناصر فطرية فيها . بل يذهب بعضهم ، مثل إيريك فروم ، إلى القول بأن بعض الدوافع النفسية والتي يسمّيها فروم حاجات النفسية مثل الحاجة إلى الاتساع ، وال الحاجة إلى السمو ، وال الحاجة إلى هوية ، وال الحاجة إلى إطار للتوجيه هي حاجات فطرية أساسية في طبيعة الإنسان ، وهي ليست مكتسبة من المجتمع ^(١) .

٢ - الدوافع الروحية ، وهي دوافع ترتبط بالتأدية الروحية في الإنسان ، مثل دافع التدين ، والتمسك بالتفوي ، وحب الخير والحق والعدل ، وكراه الشر والباطل والظلم ، وقد أغفل معظم علماء النفس المحدثين في دراستهم للدفافع هذا النوع من الدوافع الروحية ، بالرغم من أنها أهم ما يميزه الإنسان عن الحيوان . وقد قلل أيراهام ماسلو A. Maslow إلى هذا القصور في دراسة علماء النفس المحدثين للدفافع ، فقام باقتراح تصنيف جديد للدوافع يشمل الدوافع الروحية ، فقال يوجد نوعين من الدوافع أو الحاجات على حد تعبير ماسلو : حاجات أساسية ، و حاجات روحية . الحاجات الأساسية تشمل ما يدرسه معظم علماء النفس عن الحاجات الأساسية لدى الإنسان مثل الجوع ، والعطش ، والجنس ، والأمن ، والإنجاز ، وغير ذلك من الدوافع . وتشمل الحاجات الروحية الحاجات المرتبطة بالتأدية الروحية في الإنسان مثل العدل ، والخير ، والجمال . ويرى ماسلو أن حاجات الإنسان الروحية حاجات فطرية يتوقف على إشباعها تكامل نمو شخصية الفرد ونضوجه ^(٢) .

ونحن نميل في هذا الكتاب إلى أن نضم تحت عنوان الدوافع النفسية والروحية جميع الدوافع النفسية والروحية التي يميز بها الإنسان عن الحيوان . كما نرى أيضاً أن كثيراً من هذه الدوافع ليس مكتسبة كليّة من المجتمع ، بل يوجد فيه أيضاً عناصر فطرية .
ومما تجلّر الإشارة إليه أن علماء النفس المحدثين قد عثروا عنّية فائقة بدراسة

Lindzey, G., Hall, C.S. and Thompson, R.F.: *Psychology*. New York: Worth (1) Publishers, Inc., 1976, p. 360

(١) الرجع السابق ، ص ٣٦١ .

حاجات الإنسان الفسيولوجية ، كما أن دراستهم للد الواقع النفسية هي في الأغلب بحاجات الإنسان المختلفة المتعلقة بتوافقه الشخصي والاجتماعي لمتطلبات البيئة الاجتماعية والثقافية الخاصة التي ينشأ فيها . ولم يُعن علماء النفس المحدثون بدراسة الناحية الروحية من الإنسان وما ينبع منها من حاجات إنسانية نبيلة وسامية ، هي في حقيقة الأمر أهم وأرقى الحاجات الإنسانية ، وأهم ما يميز الإنسان عن بقية الحيوان . إن التزام علماء النفس المحدثين بتطبيق المنهج العلمي الذي يطبق في العلوم الطبيعية على دراسة الإنسان دفعهم إلى حصر انتباهم على دراسة نواحي السلوك الإنساني التي يمكن فقط إلصاقها للسلاسل المعلنة وللبحث التجاري ، وجعلهم يتوجّبون البحث في كثير من نواحي السلوك الإنساني الهامة المتعلقة بالناحية الروحية في الإنسان . وبدلاً من محاولة ابتكار وسائل منهجية جديدة تصلح لبحث هذه النواحي الروحية في الإنسان ، فقد قاما بإغفال دراستها ككلية . غير أنه بدأت تظهر حديثاً انتقادات للاتجاه المادي الذي يغلب على دراسة علم النفس الحديث للإنسان ، ولإغفاله دراسة النواحي الروحية من سلوكه . فقد انتقد إريك فروم علم النفس الحديث لاحتقاره في أغلب الأحيان بدراسة نواحي ثاقفة وسطحية من سلوك الإنسان ، ولإغفاله دراسة مشكلات الإنسان الهامة وفيه العليا ونواحيه الروحية ، وهي أهم ما يتميز به الإنسان^(١) . وكانت مثل هذه الانتقادات هي ما حدا بعاصلو إلى وضع تصنيف لـ حاجات الإنسان إلى حاجات أساسية وحاجات روحية ، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً .

دافع الملك :

دافع الملك من الدوافع النفسية التي يعلمها الإنسان ، في الأغلب ، أثناء تنشئته الاجتماعية . فالإنسان يتعلم من الثقافة التي ينشأ فيها ، ومن خبراته الشخصية جهه لامتلاك المال والعقارات والأراضي والمتطلبات المختلفة التي تشعره بالأمن من الفقر ، وتهدى بالتفوز والنجاه والقوة في المجتمع . وقد أثار القرآن في كثير من المواقع إلى دافع الملك .

(١) إريك فروم : مرجع سابق ، ص ١١ .

وَرِزْقَنَ اللَّاتِي سُبِّ حُبُّ الْمُهَبَّةِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَتْيَنَ وَالْقَنْطَبِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ
الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْكَلْبِيلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْمَحْرَثِ ذَلِكَ مَشْعُ
الْحَيْزَرَةِ الْدُّنْيَا وَاللَّهُ يُحَمِّلُ مَنْ حُسْنَ الْمَعَابِ »^(١)

وَتَجْبِيُونَ الْمَالَ حُبَّاً بَهَّا »^(٢)

« الْمَلَكُ وَالْبَيْنُونَ زَيْنَةُ الْحَيْزَرَةِ الْدُّنْيَا .. »^(٣)

« أَعْلَمُوا أَمَّا الْحَيْزَرَةُ الْدُّنْيَا لَعْبٌ وَمَقْوِيَّةٌ وَتَفَاعُرٌ يَنْسَكُ وَتَكَافُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْكَدِ .. »^(٤)

وكان دافع التملك أحد الدافعين الهامين للذين أثارها إيليس في نفس
آدم عليه السلام مما جعله يقع في المعصية بأكله من الشجرة التي نهاد الله تعالى
عن الاقرابة منها .

« فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَكْفَادُمْ هَلْ أَدْلَكَ عَلَى شَجَرَةِ الْحَلْدِ وَمَلِكِ
لَا يَبْلِي »^(٥)

وقد ذهب بعض علماء النفس مثل ماكدوجال إلى اعتبار التملك غريزة ،
غير أن الدراسات الأنثروبولوجية والسيكولوجية الحديثة لا تؤيد الرأي القائل
 بأن التملك غريزة ، وهي تميل إلى اعتباره دافعاً نفسياً مكتسباً^(٦) .. وليس من
الضروري أن تستنتج من وسوسة الشيطان لأدم بأنه سيدله على « ملك لا يبل »

(١) آل عمران : ١٤ .

(٢) الفجر : ٢٠ .

(٣) الكهف : ٤٤ .

(٤) الحمد़ : ٢٠ .

(٥) طه : ١٢١ .

(٦) انظر مذكرة ملسا الموضع في : محمد هشام نجمان : علم النفس في حياتها اليومية ، ٦٦ ، الكويت : دار القلم ، ١٩٨٤ .

إن دافع التملك فطري أو غيره عند آدم وإيناته . فمن الممكن أن تفهم أيضاً من ذلك أن إيليس حاول أن يشر في نفس آدم دافعاً لم يكن موجوداً لديه بالفعل في ذلك الوقت . وبذلك يكون آدم قد تعلم دافع التملك عن طريق إيهام إيليس له وتأثيره فيه .

دافع العداون :

يظهر دافع العداون في سلوك الإنسان العدوانى تجاه الآخرين بهدف إلحاق الأذى بهم سواء كان ذلك في صورة عداون بدني ، أو في صورة عداون لفظي . وقد أشار القرآن إلى دافع العداون أثناء ذكره لقصة آدم وحواء وإغواء الشيطان لهما لابراجهما من الجنة .

«فَلَزِمُوا الشَّيْطَنَ عَنْهَا فَأَنْتَرَجُوهَا مَا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا أَهْبِطُكُمْ بَعْضُكُمْ لِيَعْصِي

عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمُنْتَهٌ إِلَى جِينِنَ»^(١)

«فَالْأَهْبِطُكُمْ مِنْهَا بِجَمِيعِكُمْ بَعْضُكُمْ لِيَعْصِي عَدُوٌّ ..»^(٢)

وتشير هاتان الآياتان إلى ما سيفعله الناس من ظلم بعضهم البعض ، واعتداء بعضهم على بعض بسبب المنافسة ، والانسياق وراء شهواتهم ، وإغواء الشيطان لهم . ويشير القرآن أيضاً إلى دافع العداون في الآية التالية من سورة البقرة .

«وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمُكْتَبَرِكَ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَنْجَعُلُ فِيهَا مَنْ

يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسْرِخُ بِحَمِيلِكَ وَنُقْدِسُ لَكَ قَالَ إِنِّي

أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(٣)

(١) البقرة : ٣٦ .

(٢) مٰد : ١٢٣ .

(٣) البقرة : ٤٠ .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في شرحه لهذه الآية : « ولَا أُوحى الله إِلَى
الملائكة : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا)
وَمَعَنِاهُ إِذَا جَمِعَتْ بَيْنَ الشَّهْوَةِ وَالْفَحْشَةِ وَبَيْنَ الْعُقْلِ صَارَ مُشْتَمِلًا فِي الْهَيْثَةِ قَضَاءَ
الشَّهْوَةِ وَإِمْضَاءَ الْفَحْشَةِ ، وَذَلِكَ يُوجِبُ وَقْعَةَ الْفَسَادِ مِنَ الشَّهْوَةِ . وَقَوْلُهُ :
(يَسْفِلُ الدَّمَاءَ) مِنْ اسْتِعْمَالِ الْفَحْشَةِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ أُوحى الله تَعَالَى إِلَيْهِمْ :
(إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) »^(١) .

وَإِنْ أُولَئِكُمْ عَدُوَانٌ حَصَلَ فِي حَيَاةِ الْبَشَرِ هُوَ عَدُوَانُ ابْنِ آدَمَ قَابِيلَ عَلَى أَخِيهِ
هَابِيلَ حِينَما تَقْبِلُ اللَّهُ تَعَالَى قَرْبَانِ أَخِيهِ وَلَمْ يَتَقْبِلْ قَرْبَانَهُ ، فَتَمَلِكَهُ الْغَيْرَةُ قَتْلُ
أَخِيهِ .

« وَاتَّلَعَ عَلَيْهِمْ نَبَأً أَبْيَقَ عَادَمَ بِالْحَقِيقَ إِذَا قَرَبَا قُرْبَانَهَا فَتَقْتَلُ مِنْ أَهْدِهِمَا وَلَا
يُتَقْتَلُ مِنْ الْأَكْثَرِ كَمَّا لَا يُقْتَلُنَّكَ كَمَّا إِنَّمَا يُتَقْتَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَقْتَلِينَ ۝ لَهُنَّ
بَسْطَتْ يَدَيْهِ لِيُقْتَلُنَّ مَا أَنْتَ أَيْسَطْ يَدَيِّ إِلَيْكَ لِيُقْتَلُكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ إِنِّي أَرِيدُ أَنْ تَبْرُأَ يَمَنِي وَإِنِّي أَكُوْكُونَ مِنْ أَخْبَرِ
النَّارِ وَذَلِكَ بِزَرْعِهِ الظَّلَمِيَّةِ ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ
فَأَصْبَحَ مِنَ الظَّاهِرِينَ »^(٢) .

ويشير القرآن أيضًا إلى السلوك العدوانى الذى يظهر في تعبيرات لفظية من
من غريبة وواقعة ، أو سبب وتهكم وسخرية ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في الآيات
التالية :

« يَكَايِهُ الَّذِينَ قَاتَلُوا لَا تَحِدُّوا بِطَائِفَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤُوا

(١) الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي : كتاب النفس والروح وشرح قوامها ، تحقيق محمد صفیر حسن المصوبي ، من منشورات معهد الأبحاث الإسلامية بكراتشي (د. ت) ، ص ٤ .

(٢) المائدة : ٢٧ - ٣٠ .

مَاعِنْتُمْ قَدْ بَدَأْتُ الْبَغْضَاءَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُحْكِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَتِ الْكُرْكُرَ
الْأَبْيَتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ١١

إِنْ يَشْقُفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْذَادًا وَيَسْعُكُمْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللِّسَانُهُمْ بِالسُّوءِ
وَوَدُوا لِلْمُؤْمِنِينَ كُفَّارُونَ ١٢

وَرُبِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ١٣

الَّذِينَ يَتَمَرِّزُونَ الْمُعْلُوْعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يُجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ١٤

وقد اختلف علماء النفس والمحللون التفسيرون في أمر العداون ، هل هو دافع فطري أم مكتسب ؟ قد يذهب بعضهم مثل فرويد Freud ولورنز Lorenz إلى اعتباره دافعاً فطرياً . ولم يوافق كثير من علماء النفس الآخرين على اعتبار العداون دافعاً فطرياً في الإنسان ، إذ أن ذلك يعطي فكرة سلبية ومتناشئة عن الطبيعة الإنسانية ، حيث يبدو الإنسان ، من وجهة النظر هذه ، ميالاً بفطرته إلى الشر والعداون وإيذاء الآخرين . ولذلك يميل بعض علماء النفس الآخرين مثل فروم وماسلو إلى تأكيد التواحي الإيجابية والتعاونية والخبرة في الطبيعة الإنسانية .

وبيّنت الدراسات التجريبية الحديثة أن السلوك العداوني يظهر عند الأطفال الصغار إذا قيدت حركاتهم البدنية مما يسبب لهم حالة إحباط ، فيظهر نتائجة لذلك السلوك العداوني . ثم تعدد فيما بعد أثناء نمو الطفل أنواع العواقب التي تحدث له حالات إحباط ، مثل العواقب الاجتماعية والقانونية والاقتصادية

(١) آن میران : ١١٨ .

(٢) المجموعة : ٤ .

(٣) البرقة : ٢١٢ .

(٤) التوبة : ٧٩ . بلغزون يعني بغيون .

والسياسية والنفسية . وبيّنت بعض الدراسات الأخرى أن الإحباط لا يؤدي بالضرورة إلى السلوك العدوي ، بل قد تظهر أنواع أخرى من السلوك مثل طلب العون والمساعدة من الآخرين ، والانسحاب ، والالتجاء إلى تعاطي المخمر والمخدرات . ويتدخل في هذا الموقف كثير من العوامل الخاصة بتربيّة الطفل وعلاقته بوالديه وخبراته الشخصية السابقة التي تجعل الطفل يتعلم أن يستجيب للإحباط بالسلوك العدوي . وبناءً على ذلك ، فإن كثيراً من علماء النفس المحدثين يميلون إلى اعتبار أن السلوك العدوي هو ، في جزء منه ، سلوك مكتسب^(١) .

وهذا الرأي الذي يقول به كثير من علماء النفس المحدثين يتفق مع ما جاء في القرآن من أن في طبيعة الإنسان استعداداً لكل من الخير والشر .

﴿وَهُدِّيَتِهُ النَّجْدَيْن﴾^(٢)

إن اختيار الإنسان لطريق المخدر والإحسان ومعاملة الناس بالحسنى ، أو لطريق الشر والظلم والعدوان إنما يرجع إلى كثير من العوامل كنوع التربية التي يتلقاها الفرد ، والتظروف الاجتماعية والثقافية التي ينشأ فيها ، وخبراته وتجاربه الشخصية . فقد يتعلم الإنسان أن يستجيب للإحباط بالسلوك العدوي ، أو بالانسحاب والانطواء ، أو قد يتعلم أن يستجيب له بالتفكير فيما يعترضه من عقبات محارلاً للتغلب عليها بتعلم استجابات جديدة تكون أكثر ملائمة للتغلب على هذه العقبات .

دافع التنافس :

والتنافس من الدوافع النفسية التي يتعلمها الإنسان من التقاليد التي ينشأ فيها . وتقوم التربية التي يتلقاها الفرد بتوجيهه إلى التواهي التي يستحسن فيها التنافس

Morris, Charles G.: *Psychology, An Introduction*. 3rd ed., Englewood Cliffs, New Jersey, 1979, PP. 368-370.

(١) اليه : ١٠ . أي بني له طريق المخدر وطريق الشر ، وهياكله للاختيار . انظر : المنشب في تفسير القرآن الكريم ، ص ٩٠٨ ، وفسر الجلالين ، ص ٥١١ .

من أجل تقدمه ورقمه وفقاً لقيم التي يمتلك بها المجتمع الذي ينشأ فيه الفرد .
فقد يتعلم الفرد من الثقافة التي ينشأ فيها التناقض الاقتصادي ، أو التناقض السياسي ، أو التناقض العلمي ، أو غير ذلك من أنواع التناقض الشائعة بين الناس في مختلف الثقافات الإنسانية . وقد حث القرآن الناس على التناقض في تقوى الله ، وعمل الخيرات ، والتمسك بالقيم الإنسانية العليا ، واتباع النهج الرباني في الحياة سواه في علاقتهم بالله سبحانه وتعالى ، أو في علاقتهم الأممية ، أو في علاقتهم مع المجتمع حتى يحظوا بمحنة الله ورضوانه ، وينعموا بدخول الجنة . قال تعالى :

«إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنَفِعُهُمْ عَلَى الْأَرَأَيِّكُمْ يَنْتَظِرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نُصْرَةَ الْنَّعِيمِ ۝ يَسْقُونَ مِنْ رَحْمَنِنَا مَحْمُومٌ ۝ يَخْتَمُرُ مِنْكُمْ وَفِي ذَلِكَ فَلَيَبْتَدَأُنَاسٌ الْمُتَنَاهِرُونَ»^(١)

«وَلِكُلِّ وِجْهٍ هُوَ مُوْلَيهَا فَاسْتَقِرُوا أَنْتُمْ كُلُّكُمْ ..»^(٢)

«سَاقُوا إِلَيْنَا مَغْفِرَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةً عَرْضًا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْدَتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمُ»^(٣)

«.. فَاسْتَقِرُوا أَنْتُمْ كُلُّكُمْ جِئْنَاكُمْ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ تَعْتَقِلُونَ»^(٤)

دافع الدين :

إن دافع الدين دافع نفسي له أساس فطري في طبيعة تكوين الإنسان . فالإنسان يشعر في أعماق نفسه بدافع يدفعه إلى البحث والتفكير لمعرفة خالقه وخالق الكون ، وإلى عبادته والتوصل إليه والاتجاه إليه طالباً منه العون كلما اشتاقت به مصالبه الحياة وكروبيها ، وهو يجد في حمايته ورعايته الأمان والطمأنينة . نجد

(١) العنكبوت : ٢٢ - ٢٣ .

(٢) المائدة : ٤٨ .

(٣) العنكبوت : ٢٢ - ٢٣ .

(٤) البقرة : ١٤٨ .

ذلك واضحًا في سلوك الإنسان في جميع عصور التاريخ ، وفي مختلف المجتمعات الإنسانية . غير أن تصور الإنسان في المجتمعات المختلفة خلال عصور التاريخ المختلفة لطبيعة الإله ، والطريقة التي يسلكها في عبادته له قد تختلف تبعًا لمستوى تفكيره ودرجة تطوره الثقافي . غير أن هذه الاختلافات في تصور الإنسان لطبيعة الإله أو طريقة عبادته إنما هي اختلافات في طريقة التعبير عن ذلك الدافع القاطري للدين الموجود في أعماق النفس البشرية . وتبين بعض آيات القرآن الكريم أن دافع الدين دافع فطري . قال تعالى :

« فَلَمْ يَجِدُوكُمْ حَنِيفًا قَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَنْدِيلَ
لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ أَقْرَبُوا إِلَيْهِمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »^(١)

في هذه الآية يذكر الله تعالى أن في فطرة الإنسان ، أي في خلقه وطبيعة تكوينه استعداداً فطرياً على إدراكه بديع مخلوقات الله والاستدلال بها على وجود الله وتوحيده^(٢) . وقال تعالى أيضًا :

« وَإِذَا أَخْسَدَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ فَرِيَتْهُمْ وَأَشَهَدُهُمْ عَنْ
أَنفُسِهِمْ أَلَّا تُرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ
هَذَا غَافِلِينَ »^(٣)

وفي هذه الآية يبين الله تعالى أنه أخرج من صلب آدم عليه السلام وبنيه ذريتهم نسلًا بعد نسل على هيئة ذر ، وذلك قبل خلقهم في الدنيا ، وأشهادهم على أنفسهم قالاً لهم : « أَلَست بِرَبِّكُمْ » فأجابوا : « بَلَى شَهِدْنَا » بذلك ، وقال تعالى إيه أشهادهم على ربوبيته حتى لا تقولوا يوم القيمة إننا كنا عن هذا التوحيد غافلين أو غير عالمين^(٤) . ومن هذا يتبين أنه يوجد في طبيعة تكوين الإنسان استعداد

(١) الروم : ٣٠ .

(٢) تفسير القرطبي : ج ١٢ ، ص ٢٩ ، تفسير البهاللاني : ص ٣٤١ ، ٣٤٠ .

(٣) الأمراض : ١٧٤ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٢٤ ، ص ٢٦٢ ، تفسير البهاللاني : ص ١١٤ .

فطري لمعرفة الله وتوحيده . فالاعتراف بربوبيه الله متصل في فطرته ، موجود منذ الأزل في أعماق روحه . غير أن امتراج الروح بالجسد ، وانشغال الإنسان بمتطلبات جسده ، وبمتطلبات المختلفة التي تستلزمها حياته في الدنيا وعمارة الأرض ، قد جعل هذه المعرفة بربوبيه الله ، وهذا الاستعداد الفطري للتوجه عرضة لأن تضمره الغفلة ، ويغمره التسیان ، ويطويه اللاشعور في أعماقه . ويصبح الإنسان في حاجة إلى ما يوقظ هذا الاستعداد الفطري ، وينقض عنه غبار التسیان ، ويعشه من أعماق اللاشعور ليظهر واضحاً جلباً في الإدراك والشعور . ويتم ذلك عن طريق تفاعل الإنسان مع الكون ، ونظره إلى عجيب خلق الله في نفسه ، وفي سائر مخلوقات الله ، وفي الكون بأسره .

وفي الحديث النبوي أيضاً ما يدل على أن في الإنسان استعداداً فطرياً لمعرفة الله سبحانه وتعالى وعبادته . فعن أبي هريرة أن الرسول صل الله عليه وسلم قال :

« مامن مولود إلا يولد على الفطرة فآباؤه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تُشَجِّع البهيمة بهيمة جماء ، هل تحسون فيها من جذعاء » . ثم قال أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم : فطرت الله التي فطر الناس عليها » (١) .

ففي هذا الحديث بين الرسول صل الله عليه وسلم أن الإنسان يولد ولديه استعداد فطري للدين الخالق . لكنها تولد البهيمة سليمة بلا تشويه أو نقص ، فكذلك يولد الطفل على الفطرة السمحاء ، وعلى الدين الخالق ، بلا زيف أو انحراف . ويشبه الرسول صل الله عليه وسلم ما يحدّثه تأثير الوالدين البهيمة الاجتماعية والثقافية التي ينشأ فيها الطفل من تأثير في فطرته ، فتشتت به إلى دين آخر غير الدين الخالق ، بما يحدّثه صاحب البهيمة من تشويه في بيته حينما يشق أذتها أو أنفها .

ومن العوامل التي تساعد على إيقاظ وبعث دافع التدين في الإنسان ما يحيط به في بعض الحالات من أحطار تهدّد حياته ، وتندّد أمامه جميع سبل النجاة ، فلا يجد منها مهرباً إلا الالتجاء إلى الله فيتجه إليه سبحانه وتعالى بداع فطري

(١) رواه الشيخان وأبو داود والترمذى . انظر أيضاً مناقشتنا لداع الدين في كتابنا « الحديث النبوي وعلم النفس » ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٩ ، من ٣٣ . جملة : كماله الحلق لمجموع أعضائنا ، جذعاء . ناقصة .

طالباً منه المغونة والنجدة مما يحيط به من أحذار^(١) قال تعالى :

هُوَ الَّذِي يُسَيِّدُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَقٌّ إِذَا حَكَمْتُمْ فِي الْفَلْكِ وَجَرَنْ
وَلَمْ يَرْجِعْ مَكِيرَةً وَفَرَخُوا بِهَا جَاءُوكُمْ عَاصِفٌ وَجَاءُوكُمْ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
وَظَاهَرَ أَنَّهُمْ أَحْيَكُمْ رَبِّكُمْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَهُنَّ الْمُهْتَسَنُونَ مِنْ هَذِهِ
الشَّكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ^(٢)

قُلْ مَنْ يَنْجِيْكُمْ مِنْ قُلْمَسَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُنَّ تَضْرِبُهُنَّ وَخُبْثَهُنَّ لَهُنَّ الْمَهْتَسَنُونَ
مِنْ هَذِهِهِ، لَشَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ^(٣)

وكون الإنسان ، في كل مكان ، وفي جميع عصور التاريخ ، منه بهذه الخلقة حتى
الآن ، إنها يشر في حالات الخطر التي تحدق به ، بحافظ إلى الاستجاد بقوة أسمى
وأقوى وأعظم منه ، إنها يدل على أن الدين فطري في طبيعة الإنسان^(٤).

الدّوافع اللاشعورية

قد يشعر الإنسان أحياناً بعض الرغبات أو الدوافع غير المقبولة أو المثيرة
لقلقه فيعمل على إبعادها من دائرة وعيه أو شعوره مما يؤدي في النهاية إلى كبتها
في اللاشعور . غير أنه كثيراً ما يحدث أن يقوم الإنسان بالتعبير عن هذه الرغبات
والدوافع بطريقة لا شعورية في صورة ثلاثات اللسان وأنخطاء الكلام .

وقد أشار القرآن إلى التعبر اللاشعوري عن طريق ثلاثات اللسان بما يجيئ

(١) الياس المخول : آدم عليه السلام . قسمة نورم الإنسان وخلقه ، ط ٤ ، القاهرة : مكتبة وعبد ، ١٩٧٤ ،
ص ١٧٦ .

(٢) بورنس : ٢٢ .

(٣) الأنعام : ٦٣ .

(٤) كرسى جورجسون : العلم يشعر إلى الإيمان . ترجمة محمود صالح الفلكي ، الطبعة الخامسة ، القاهرة :
مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٥ ، ص ٢٠٢ .

في النفس من دوافع يحاول الإنسان كتمانها وإخفاءها ، وذلك في قوله تعالى :

« أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنَّ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْفَانَهُمْ ۝ وَلَوْ
كَاهَ لَا رَيْتَكُمْ فَلَمَعْرَفَتُهُمْ بِإِيمَانِهِمْ وَلَمَعْرَفَتُهُمْ فِي سَنِ الْقُولِ وَاللهُ
يَعْلَمُ أَعْنَلَكُمْ »^(١)

ويروى عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال في هذا المعنى : « ما أسر أحد سريرة إلا أبدأها الله على صفحات وجهه وقلبات لسانه »^(٢) . وفي الحديث الشريف : « ما أسر أحد سريرة إلا كساه الله جلبابها إن خيراً فخير ، وإن شرًا فشر »^(٣) .

وسوف نرى فيما بعد أنباء كلامنا عن الشخصية في الفصل التاسع أن القرآن قد أشار أيضاً إلى بعض العيوب العقلية اللاشعورية كالتبير ، والإسقاط ، وتكونين رد الفعل . ويتصبح من ذلك أن القرآن قد تعرّض للناحية اللاشعورية من سلوك الإنسان قبل دراسة فرويد مؤسس نظرية التحليل النفسي لها بأربعة عشر قرناً من الزمان .

الصراع بين الدوافع

إذا تعارضت بعض دوافع الإنسان بأن يجده ، مثلاً ، دافع ما إلى اتجاه معين ، ويجد به دافع آخر إلى اتجاه مضاد ، أحسن الإنسان بحالة من المحيرة والتردد والعجز عن اتخاذ قرار في أي اتجاه يسير . وتعرف هذه الحالة بالصراع النفسي . وقد صور القرآن حالة الصراع النفسي التي يعانيها بعض الأفراد الذين

(١) محمد : ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) تفسير ابن كثير : ، ص ١٨١ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٨٠ .

يَقْفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ مَوْقِفَ تَرْدُدٍ وَرِيَةً ، فَلَا هُمْ يَتَجَهُونَ اتِّجَاهًا تَامًا إِلَى نَاحِيَةِ
الْإِيمَانِ ، وَلَا هُمْ يَتَجَهُونَ اتِّجَاهًا تَامًا إِلَى نَاحِيَةِ الْكُفْرِ ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْفُونَ بَيْنَ
الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ مَوْقِفَ التَّرْدُدِ الْعَاجِزِ عَنِ اتِّخَادِ قَرْأَنِيَّةِ نِهَايَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ .

قَالَ تَعَالَى :

**وَقُلْ أَنْدُعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَرَدَ عَلَيْنَا أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ
هَدَنَا اللَّهُ كَائِنِي أَسْتَهْوِهُ الشَّبَّاعِينَ فِي الْأَرْضِ حَسِيرَانَ لَهُ وَأَخْبَثَ
يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىِ أَفْنَانَ^(١)**

فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَصَفَ دَقِيقَ لِحَالَةِ الصراعِ النَّفْسِيِّ وَمَا نَسْبِيهِ لِلْفَرَدِ مِنْ حِيرَةٍ
وَتَرْدُدٍ . فَالشَّيَاطِينُ مِنْ جَهَةِ تَسْتَهْوِيُ الْفَرَدَ وَتَجْلِيهِ إِلَى نَاحِيَةِ الضَّلَالِ وَالْكُفْرِ ،
وَأَصْحَابُ الْمُؤْمِنَوْنَ مِنْ جَهَةِ أُخْرَى يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىِ وَالْإِيمَانِ ، وَهُوَ وَاقِفٌ
بَيْنَ هَاتِينِ الدَّعَوْنَيْنِ فِي حِيرَةٍ وَبَلْبلَةٍ وَتَرْدُدٍ . وَيَصِفُ الْقُرْآنُ أَيْضًا حَالَةَ التَّرْدُدِ
وَالْحِيرَةِ وَالرِّيَةِ وَالاضْطِرَابِ الَّتِي تَصَاحِبُ الصراعِ النَّفْسِيِّ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

**إِنَّمَا يَسْتَغْلِظُنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ
فِيهِمْ فِي رَيْبٍ مُّتَرَدِّدُونَ^(٢)**

**إِنَّ الْمُنْتَفِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَذِيلُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا
كُلَّمَا يُرَاوِنُ النَّاسُ وَلَا يَذَرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا^(٣) مُذَبَّذِيَّنَ بَيْنَ
ذَلِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سَبِيلًا^(٤)**

(١) الأنعام : ٧١ .

(٢) التوبة : ٤٥ .

(٣) النساء : ١٤٢ ، ١٤٣ .

ويصف القرآن أيضاً حالة الصراع النفسي التي يعانيها بعض الأفراد الذين يقفون موقف الحيرة والتردد بين أن يقاتلوا المسلمين من جهة ، وأن يقاتلوا قومهم من المشركين من جهة أخرى ، وما يسببه لهم هذا الصراع من حيرة وضيق وخرج . قال تعالى :

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصْلُوْنَ إِلَيْنَا فَوْرَمْ بَسْتَكُمْ وَبِنَهْمَ مِيشَنْ أَوْ جَاهَدُوكْ حَصَرَتْ
صُدُورَهُمْ أَنْ يُقْتَلُوكْ أَوْ يُقْتَلُوا قَوْمَهُمْ...﴾^(١)

السيطرة على الدوافع

يبين لنا مما سبق أن مشيئة الله سبحانه وتعالى قد اقتضت وجود الدوافع الفسيولوجية في فطرة كل من الحيوان والإنسان لتحقيق الأهداف التي أرادها الله تعالى منها وهي حفظ الذات وبقاء النوع . ومن الطبيعي أن يكون إشباع هذه الدوافع أمر ضروري لتفطيره الفطرة ، وتسلمه طبيعة تكوين كل من الحيوان والإنسان ، إذ يتوقف على إشباعها استمرار الحياة وبقاء النوع . ولذلك جاءت أحكام القرآن وأوامره في شأن هذه الدوافع متفقة مع فطرة الإنسان ، فهي تعرف بها وتقرها وتدعى إلى إشباعها في الحدود التي يتها الشرع . وليس في القرآن ولا في السنة ما يشير إلى استغلال هذه الدوافع أو إنكارها أو يدعى إلى كبتها ، وإنما يدعو القرآن ، وكذلك تدعو السنة ، إلى السيطرة على الدوافع والتحكم فيها ، وإشباعها فقط في الحدود التي يسمح بها الشرع ، دون إسراف أو تجاوز لهذه الحدود ، وذلك لمصلحة الفرد والجماعة .

ويجب أن نفرق بين القمع والكمب . القمع هو الكف الإرادي للدافع أو رغبة ما ومقاومة إشباعها أو التعبير عنها في ظروف لا تسمح بإشباعها . ولكنه لا يتضمن إنكار هذه الرغبة على وجه الإطلاق ، حيث أنه من الممكن إشباعها في ظروف أخرى ملائمة وسموح بها . أما الكمب فهو إنكار الرغبة واستغلالها

^(١) النساء : ٩٠ .

أو الخوف منها ، ومحاوله إبعادها نهائياً عن دائرة الوعي تخلصاً مما تسبه من شعور بالإثم أو القلق ، بحيث ينتهي الأمر إلى كبت هذه الرغبة في اللاشعور . ففهم الكبت يتضمن أن الرغبة أصبحت بعيدة عن دائرة الوعي أو الشعور ، وأصبحت مطمورة في أعماق اللاشعور . وجود الرغبة في اللاشعور لا يفني عليها نهائياً ، بل تظل تحاول التعبير عن نفسها ، ولكن بطرق وحيل لا شعورية ، مما يسبب نشوء كبير من الأعراض المختلفة لاضطرابات السلوك .

والقرآن لا يدعو إلى كبت دوافعنا الفطرية بالمعنى الذي يتباه سابقاً ، ولكنه يدعو إلى تنظيم إشباعها ، والتحكم فيها ، وتوجيهها توجيهًا سليماً تراعى فيه مصلحة الفرد والجماعة ، بحيث يصبح الفرد هو المسيطر على دوافعه ، والوجه لها ، ولا تكون دوافعه هي السيطرة عليه والموجهة له . ويتبين رأي القرآن بوضوح في اعتقاده بمشروعية إشباع الدوافع الفسيولوجية من الآيات التالية :

«يَكْتُبُهَا النَّاسُ كُلُّهُمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَنْهَا عَنْ خُطُوبِ الْشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكَ عَذُولٌ مِّنْهُنَّ» ^(١)

«يَكْتُبُهَا الَّذِينَ أَمْنَوا كُلُّهُمَا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقَنَّكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانُ
تَعْبُدُونَ» ^(٢)

«يَكْتُبُهَا الَّذِينَ أَمْنَوا لَا يُخْرِمُونَا طَيِّبَاتِ مَا أَحْلَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» ^(٣) وَكُلُّهُمَا رَازَقَنَّكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَنْقُوا اللَّهُ الَّذِي
أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ» ^(٤)

«... كُلُّهُمَا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ...» ^(٥)

(١) البقرة : ١٦٨ .

(٢) البقرة : ١٧٢ .

(٣) المائدة : ٨٧ ، ٨٨ .

(٤) البقرة : ٦٠ .

وَيَنْبَغِيْ^١، اَدَمَ خَلُوْا زَيْنَكُرَّ عَنْهُ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا اَفْرَوْا وَلَا تُنْرُفُوا اَمْهُرَ
لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ① قُلْ مَنْ حَرَمَ زِيَّةَ اللَّهِ الْأَنْجَى اُخْرَجَ لِعِبَادَهُ
وَالْكَطِيبَتِينَ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هُنَّ الظَّرِينَ اَمْسَوْا فِي الْحَيَاةِ الْذَّيْنَ حَالَصَّةَ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَضِّلُ الْآتِيَتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ②

وَأَكْحُوا الْأَيْمَنَ مِنْكُرَّ وَالصَّلِيمَنَ مِنْ عَبَادِكُرَّ وَلَمَّا يُكْرُرَ إِنْ يَكُونُوا
فُقَرَاءَ يُقْتَيِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ③

وَإِنْ خَفْتُمُ الْأَنْقِطُوا فِي الْبَشَّمِ فَانْكِسْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ
شَقَّنَ وَلَكَثَرَ وَرَبَعَ هَنَّ خَفْتُمُ الْأَنْقِطُوا فَوَحْدَةً أَوْ مَمْكَرَتْ أَيْمَنَكُرَ ذَلِكَ
أَدْقَنَ الْأَنْسُولُوا ④

وَإِنَّا نُؤْكِرُ حَرَثَ لَكُرَ فَأَتُوا سَرَقَرَ أَنْ شَقَّتْ .. ⑤

يتضح من هذه الآيات التي ذكرناها أن القرآن لا يدعو الإنسان إلى إنكار دوافعه الفطرية وكتتها ، وهو بذلك يحبه الواقع في الصراع النفسي الذي ينشأ من إنكار الإنسان لدافعه الجنسي وقيامه بكتبه مما يؤدي إلى نشوء أعراض اضطرابات السلوك . ولكن القرآن مع ذلك لا يطلق العنوان للإنسان لإشباع دوافعه الفطرية بلا حدود ، ولكننه يدعوه إلى تنظيم إشباعها ، والسيطرة على زمامها ⑥ .

(١) الأعراف : ٣٢ ، ٣١ .

(٢) التور : ٣٢ .

(٣) النساء : ٣ .

(٤) البقرة : ٢٤٤ .

(٥) انظر أيضاً في هذا الصدد : محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام ، ط ٣ ، القاهرة : عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٦٠ ، ص ٨٤ - ٩١ ، محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، ط ٤ .
بيروت : دار الشروق ، (د. ت) ، ص ١٢٨ - ١٢٩ - ١٤٠ .

ولا حرج على الإنسان من التمتع بإشباع دوافعه الفطرية ما دام يشعرها عن الطريق الحلال والمسروح به شرعاً . غير أن القرآن يدعو إلى نوعين من التنظيم فيما يتعلق بإشباع الدوافع الفطرية . الأول هو إشباعها فقط عن الطريق الحلال المسروح به شرعاً . والثاني هو عدم الإسراف في إشباعها .

وفيما يتعلق بالتنظيم الأول لإشباع دوافعنا الفسيولوجية وهو إشباعها فقط عن الطريق الحلال ، فالقرآن ينهانا عن إشباع دافع الجوع عن طريق الكسب الحرام ، كما ينهانا عن أكل أنواع معينة من المأكولات لما فيها من أضرار بصحة الإنسان ، كما ينهانا عن شرب الخمر لما فيها أيضاً من أضرار بصحة الإنسان البدنية والعقلية ، كما ينهانا عن إشباع الدافع الجنسي عن غير طريق الزواج لما في ذلك أيضاً من أضرار كبيرة صحية واجتماعية . وقد نظم الله تعالى للإنسان طريقة إشباع الدافع الجنسي بأن خلق الذكر والأنثى ، وجعل من حياتهما معاً في الأسرة وسيلة لإشباع الدافع الجنسي ، ولتحقيق الأمان والطمأنينة لهما بما تضمن الحياة الأسرية للإنسان من سلامة ومودة وتعاون وإيثار .

«وَمِنْ ذَايَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا تَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ لِيَنْسُكُمْ

مُوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّاتٍ لِقَرْمَرٍ يَتَفَكَّرُونَ»^(١)

«.. هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ»^(٢)

أما إذا لم تسع ظروف الإنسان بالزواج ، فعليه أن يستخفف وأن يسيطر على دافعه الجنسي ويقمعه حتى تسع له الظروف بالزواج^(٣) .

(١) طه : ٢١ .

(٢) البقرة : ١٨٧ .

(٣) يلاحظ أن المرض العصبيين الذين كان يعانيهم ميسيلد فرويد شائعاً في الأغلب في مجتمعات أوروبا المسيحية التي كانت في ذلك الوقت تنظر إلى الجنس باعتباره دافعاً غير مقبول وغير كريم ، ولذلك لم يكن غريباً أن يلاحظ فرويد وجود علاقة بين كبت الدافع الجنسي وبين الأمراض العصبية . ومع أن بعض تلاميذ فرويد مثل أدلر وبرونز وغيرهما من المعلميين الفحصيين الآخرين مثل كارل هورلي وباريت فروم لم يوافقوا فرويد على اعتقاده الرائد بالفكرة الجنسية وب Tessier للأعراض العصبية على -

وَلَيَسْتَعِفَ الَّذِينَ لَا يَحْسُدُونَ إِنَّمَا هُنَّ قُنْدِقُهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...»^(١)

وقام الرسول - صلى الله عليه وسلم - أيضاً ببحث الشباب على الزواج ، فهو الوسيلة المثل للتغلب على الدافع الجنسي ، ومن لم يستطع منهم الزواج فقد حثهم على السيطرة على الدافع الجنسي عن طريق الصوم ، فعن عبد الله بن مسعود أن الرسول - صلى الله عليه وسلم وقال : « يَا عَشِيرَ الشَّيْبَابِ ، مِنْ أَسْطَاعَكُمْ الْبَاءَةَ فَلِيَشْرُكُوا ، فَإِنَّ أَغْنَى لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنَ لِلْفَرْجِ . وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاهٌ »^(٢).

وقد حرص القرآن على أن يعيش الشباب المسلم في مجتمع يساعد على السيطرة على دافعه الجنسي ، ولا يعرضهم إلى مأمن شأنه أن يثير هذا الدافع ويبجه ، ولذلك طالب القرآن المسلمين بغض النظر ، كما طالب النساء بالخفاء زيتها ومحاسنه الخلقية التي قد تفتت الرجال كالشعر والعنق والصدر . وحث القرآن المؤمنين على غض أبصارهم لروقائهم من رؤية ما يثير فيهم الدافع الجنسي مما قد يودي بهم إلى الانزلاق في تبار الشهوات التي تدفع بهم إلى هاوية المعصية . قال الله تعالى :

= أساس أنها ناثنة عن كتبها ، إلا أنه يجدر بنا أن نلاحظ أنه حتى ولو كانت النتائج التي وصل إليها فرويد صحيحة بالنسبة لبعض الحالات في ذلك المجتمع الذي عاش فيه فرويد ، طبع من الفرويدي أن تكون صحيحة أيضاً في مجتمعات أخرى تختلف في ثقافتها عن المجتمع الذي عاش فيه فرويد . وبพض من عرضنا لمعنى الإسلام من الدافع الجنسي ، وعدم إنكاره له ، وعدم النظر إليه باعتباره شيئاً مستقلأً يجب كبه ، إننا لا نتوقع أن نجد في المجتمع الإسلامي الذي يربى أطفاله تربية إسلامية سليمة ، ويشجع شبابه على الزواج المبكر ، ويخلص من العادات والتقاليد التي تحول دون تحقيق ذلك ، إننا لا نتوقع أن نجد في مثل هذا المجتمع ضرورة لكتب الدافع الجنسي ، كما لا نتوقع أن نجد في تربية الشباب على التحكم في الدافع الجنسي والسيطرة عليه وكفه عن الإشباع حتى يحن الرقت المناسب للزواج أثراً ضاراً بالصحة النفسية إذا ما أقبل الشباب على العادات وخاصة الصيام كوسيلة تساعد على السيطرة على الطاقة التفريزية وإعلاتها ، وإذا ما تواترت لديه أيضاً وسائل الإعلاء الأخرى كالرياضة البدنية ، والإسهام في كثير من أنواع النشاط الاجتماعي المختلفة ، والإقبال على تحصيل المعلوم والأدلة والفنون .

(١) التور : ٤٣ .

(٢) رواه البخاري ، ج ١٩ ، ص ١٢٩ - ١٣٢ ، الحديث رقم ٥٠٦٥ ، وسلم ، ج ٩ ، ص ١٢٢ ؛ وأبو دارد ، ج ٢ ، الحديث رقم ٢٠٤٦ ، كما رواه الترمذى والنسائي والدارمى وأحمد . الباقة : مؤن الزواج . وجاه : صيانة ووقاية .

«قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْصُمُونَ مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَعْصِمُهُمْ فُرُوجُهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِذْ
اللهُ خَيْرٌ عِنْدَهُمْ يَصْنَعُونَ ① وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْصُمُنَّ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ
وَيَعْصِمُنَّ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يَرَدِنَ زِينَتَنَ إِلَّا مَا ظَاهَرَ مِنْهَا وَلَيَضِيرَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى
جُبُورِهِنَّ وَلَا يَرَدِنَ زِينَتَنَ إِلَّا لِبَعْلَتَهِنَّ أَوْ إِبَابَتَهِنَّ أَوْ إِبَاءَتَهِنَّ أَوْ
إِبَاءَتَهِنَّ أَوْ إِبَاءَتَهِنَّ بِعَوْنَتِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْرَجِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَتِهِنَّ أَوْ
نِسَاءَتِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانَهِنَّ أَوْ أَثْيَرَنَ غَيْرَ أُولَئِكَ مِنَ الْأَرْجَالِ أَوْ
الْعِظَمِ الَّذِينَ لَا يَظْهَرُوا عَلَى حَوْرَاتِ الْفِسَاءِ وَلَا يَضِيرَنَ يَارِجُلِهِنَ لِيَعْلَمَ مَا
يَعْلَمُنَّ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوَبُوا إِلَى اللهِ بِحِلْمٍ أَيُّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ كَعَلَكُمْ تُفْلِحُونَ ②»

ونهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن المخلوة بين الرجل والمرأة لأن فيها
متلقاً إلى إثارة الدافع الجنسي . كما وجه القرآن الناس إلى ضرورة النية على
الخدم والأطفال الذين لم يصلوا إلى مرحلة البلوغ بعدم الدخول بدون استدانته
على أماكن تواجد الرجال والنساء في ثلاثة أوقات من اليوم هي : قبل صلاة
الفجر ، ووقفة العيلولة في الظهر ، وبعد صلاة العشاء عند الاستعداد للنوم .

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ مِنَ الْأَنْبَيْرِ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَعْفُوا
الْحَلْمُ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الظَّهِيرَةِ وَحِينَ تَصْنَعُونَ لِيَابَسَكُمْ مِنَ
الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَبِسٌ طَيِّبٌ وَلَا عَلَيْهِمْ
جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَتِ
وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ③»

(1) النور: ٣١، ٣٠.

(2) النور: ٥٨.

ففي هذه الأوقات الثلاثة المذكورة في الآية يتصرّر الإنسان عادةً من ملابسه التي يقابل بها الناس عادةً ، ويرتدي ملابس النوم والراحة مما يمكن أن يظهر من عورات الجسم ما لا يبني أن يراه الناس . والحكمة من تحذير القرآن من دخول الخدم والأطفال بدون استئذان على الرجال والنساء في هذه الأوقات إنها هو للوقاية من اطلاعهم على ما لا يبني اطلاعهم عليه من عورات الرجال والنساء مما قد يؤدي ، فضلاً عن خدش حياء الرجال والنساء ، إلى إثارة الدافع الجنسي لدى الخدم ، واحتلال اطلاع الأطفال على عورات آبائهم وأمهاتهم ، وعلى بعض نواحي المباشرة الجنسية بينهم . وقد بينت دراسات التحليل النفسي الآثار السيئة التي تتركها في نفوس الأطفال رؤية مثل هذه الأمور^(١) . كما تطالعنا الصحف من وقت إلى آخر بالتأميم التي تتحقق بعض الأسر من اختلاط الخدم بالفتيات والنساء فيها بدون قيود منتظمة ، ورقابة واعية . وهكذا نرى أن الإسلام يحرّض على القضاء على أسباب الفتنة والغواية ، وعلى الوقاية من الوضع في المحظور ، ويسد جميع الطرق التي قد تؤدي إلى الواقع في المحرمات .

أما فيما يتعلق بالتنظيم الثاني للدowافع الفسيولوجية وهو عدم الإسراف في إشباعها ، فإننا نعلم من خبرتنا الشخصية ومن الدراسات الطبية أنَّ الإسراف في الأكل مضرة بصحة الإنسان إذ يصيبه بالتخمة ويبيِّن أمراض الجهاز الهضمي ، ويسبب له السمنة التي لها أضرار كثيرة على صحة الإنسان . وكذلك فإن الإسراف في شرب الماء ، والإسراف في الراحة والكسل والنوم أمر يضر بالصحة . ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى عن الإسراف في الأكل والشرب .

**« يَنْبئُنَا آدَمُ خُلُقًا زَيْنَشَكُرْ عَنْهُ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوَا وَأَشْرَبُوا وَكُلُّا تُسْرِفُوا
إِنَّمَا لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ »^(٢)**

ومن الطبيعي أن نفهم أن هذا النهي عن الإسراف ليس مقصوراً فقط على دافعي الجوع والعطش بالذات ، وإنما هو ينطبِّع أيضاً إلى باقي الدوافع الفسيولوجية الأخرى . وما ذكر القرآن دافعي الجوع والعطش في معرض النهي

(١) عبد محمد جمال : لمحات في التربية الإسلامية . جدة : همام ، ١٩٨٠ ، ص ٧٩ ، ٧٨ .

(٢) الأطراف : ٣٦ .

عن الإسراف إلا على سبيل المثال أو الإشارة فقط إلى الضرر الذي يلحق الإنسان من الإسراف في إثبات دوافعه الفطرية بعامة . وهذه هي إحدى خصائص أسلوب القرآن الذي يكتسي في كثير من آياته بالإيجاز والإشارة والتلميح . ولعل الاكتفاء بذكر الجوع والعطش في معرض النهي عن الإسراف في إثبات الدوافع الفطرية يرجع أيضاً إلى وضوح أهمية هذين الدافعين في حفظ الذات ، وإلى ميل الإنسان عادة إلى الإسراف في إشباعهما .

ولا يعني القرآن بتوجيه الإنسان إلى السيطرة على دوافعه الفسيولوجية فقط ، وإنما هو يعني كذلك بتوجيهه إلى السيطرة على دوافعه النفسية أيضاً . ففي كثير من الموضع يبحث القرآن عن السيطرة على دافع العداوة ودافع التملك . ففضيل النفس ، والتحكم في أحواتها وشهواتها سواء كانت بدنية أو نفسية من الخصال التي يجب أن يتخلّى بها المؤمن السوي الشخصية .

ففيما يتعلّق بداعي العداوة فإن القرآن ينهى الناس عن ظلم الآخرين والعداوة عليهم سواء بدنياً أو نفطياً ، ويأمرهم بمعاملة الناس بالحسنى وبالبن والمعروف .

**وَالَّذِينَ يُؤْذُنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يُغَيِّرُ مَا أَكْسَبُوا فَقَدْ أَحْمَلُوا بِهِنَّا
وَإِنَّمَا مُبِينًا^(١)**

**وَبَنَاثِيرَ الَّذِينَ أَمْشَوْا إِذَا تَنَجَّيُتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا إِلَيْهِمْ وَالْعَذَوْنَ وَمَعْصِيَتِ
الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبَرِّ وَالْقَوْمِ وَأَتَقْرَأُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تَخْشَوْنَ^(٢)**

**وَلَا يَجِدُ مَنْ كُرْشَانٌ قَوْمٌ أَنْ صَدُوْرَكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالْقَوْمِ وَلَا تَعْسَأُونُوا عَلَى الْأَعْمَمِ وَالْعَنَّوْنِ ..^(٣)**

(١) الأسراب : ٥٨ .

(٢) المائدة : ٤ .

(٣) المجادلة : ٩ .

«... وَلَا تَعْنِدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ»^(١)

«... وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِيقَ...»^(٢)

وَإِنْ طَاهَفْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَنْفِي هَذَا أَمْرُ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعُدْلِ وَلَا فِطْرُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الظَّفَرِينَ ۝ إِنَّ الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَاجَهُ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْرَيْكُمْ وَآتُوهُمَا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ يَسْأَلُهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يَسْأَلُهُمْ مِنْ إِيمَانِهِمْ أَنْ يَكُنْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَسْأَلُوا بِالْأَقْبَابِ يَسْأَلُهُمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَرَبِّكَ فَلَا يُنْكِبَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^(٣)

ويدعو القرآن الناس أيضاً إلى ضبط دافع التملك ، فينهى عن الشُّحَ ، واكتناز الأموال ، والربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والسرقة ، كما يأمرهم بالإإنفاق في سبيل الله ، وبالتصدق على الفقراء والمساكين ، وبيانه الزكاة .

«... وَالَّذِينَ يَسْكِنُونَ الْدَّهْبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُمْ بِعِدَابِ الْيَوْمِ ۝ يَوْمَ يُجْعَلُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ شَكُورًا وَهَا جَهَنَّمُ وَجْهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَسَبْتُمْ لَا تُفْسِكُمْ فَلَدُوكُمَا مَا كُنْتمْ تَكْرِزُونَ»^(٤)

«... وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَسْعَلُونَ إِيمَانًا إِنَّهُمْ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ

(١) تلاوة : ٨٧ .

(٢) الأنعام : ١٥١ .

(٣) المسجيات : ١١ - ٩ .

(٤) التوبه : ٣٥ ، ٣٢ .

هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطْهَرُونَ مَا تَبْخَلُوا بِهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ مِيرَكُ الْسَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ إِنَّمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ١١

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَنْتُمْ كُفَّارٌ وَّأَتَمْعَنُوا وَلَطِيعُوا وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ
وَمَنْ يُوقَنُ بِحَقِّ تَقْرِيبِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُمْلِحُونَ ١٢

وَأَنْفَقُوا مِنْ مَارْزَقَنَّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ
لَوْلَا أَنْتَ نَحْنِ إِلَّا أَجَلُ قَرِيبٍ فَأَمْدُقُ وَأَكْنُ مِنَ الظَّالِمِينَ ١٣

إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَفْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَتَّى يُضْعَفَ هُنْمٌ وَهُنْمٌ
أَبْرَكِيمٌ ١٤

فُلِلْ عِبَادَى الَّذِينَ آمَنُوا يُقْسِمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مَا رَزَقَنَّهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ الْأَيْمَنِ فِيهِ وَلَا يُخْلِلُ ١٥

إن من المبادئ التي يقررها الإسلام أن المال هو مال الله تعالى ، وأن كل ما يرزقنا الله
تعالى من مال ، فإنما يستخلفنا الله تعالى فيه . إن التسلیم بهذا المبدأ الإسلامي كفيل
بمقاومة شح الإنسان وحرصه على اكتناز المال ، وكفيل بتشجيعه على الجود والكرم وسد
 حاجات المحتاجين والفقراء والمساكين ، والإتفاق في سبيل الله من مال الله تعالى الذي
استخلفنا فيه .

وَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مَا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَبْرَكِيمٌ ١٦

(١) إبراهيم : ٢١.

(٢) الحديدة : ٧.

(٣) صوران : ١٨٠.

(٤) العنكبوت : ١٦.

(٥) الناطقون : ١٠.

(٦) الحديدة : ٧.

وعلى وجه عام ، فإن القرآن يدعو الإنسان إلى ضبط دوافعه والتحكم فيها وتوجيه إشباعها في إطار الحدود المشروعة دون إسراف ، فلا يكون عبداً لأهوائه وشهواته ، وإنما يكون هو المسيطر عليها والتحكم فيها والوجه خاتمة

﴿فَأَمَّا مَنْ مَلَئَ قَوْمًا وَهُنَّ أَخْيَرُ الْجِنِّينَ فَإِنَّ أَبْعَدَهُمْ هِيَ الْمَلَوَى﴾
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهُنَّ أَنفُسَهُمْ عَنِ الْمَلَوَى ﴿فَإِنَّ أَحَدَهُمْ هِيَ الْمَلَوَى﴾^(١)

ونهي النفس عن الهوى هو ضبط الإنسان لذواته ، وكفه لشهوته ، وسيطرته عليها .

ويذعن القرآن الإنسان إلى أن يوازن بين متطلبات بدنه في حياته اليومية التي تلح عليه لإشباعها ، ومتطلبات روحه المتشوقة إلى الله تعالى ، والمتطلبة إلى النعيم في الحياة الآخرة . فهل الإنسان أن يلبى حاجاته البدنية ويشبع دوافعه الفطرية لكي يعيش ويقى ويصر الأرض ويؤدي رسالته في الحياة التي خلقه الله تعالى لها . ولكن يجب على الإنسان أيضاً أن يلبى متطلباته الروحية من الاعتراف بربوبيته الله وعبادته واتباع المنهج الذي رسمه الله تعالى له في الحياة لكي ينعم بمغفرته ورضوانه في الحياة الآخرة . إن الإنسان مطالب بأن يجد ويتحدد في تحقيق هذا التوازن بين متطلبات الجسم ومتطلبات الروح ، بين متطلبات الحياة الدنيا ومتطلبات الحياة الآخرة ، لأن في ذلك خلاصاً من الصراع النفسي الذي يصيب الإنسان بالقلق ، ويحرمه من نعمة الأمن والطمأنينة والسعادة .

وَلَا يَنْهَىٰ فِيمَاٰءَ إِنَّكَ اللَّهُ الْمَالِكُ الْأَكْبَرُ وَلَا يَكُنْ لَّكَ نَصِيبٌ مِّنَ الدُّنْيَا .. *

وَيَأْتِيهَا الَّذِينَ هَامُوا لَا تُلْهِكُ أَمْوَالُكُو وَلَا أَوْلَادُكُو عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ بَشِّرَىٰ كُو سُمُّ الْجَنَّةِ رَوَىٰ^(٣)

٤٩ : (٢) تفاصيل

ANSWER : $\frac{1}{2} \ln(1+e^{-x})$

(٢) التعميم: ٧٧

وتتضح دعوة القرآن للإنسان إلى ضبط دوافعه والتحكم فيها والعمل على إعلانها والتسامي بها وتوجيئها إلى ما يرضي الله تعالى وما فيه خير الفرد والمجتمع والإنسانية ، من أن القرآن حينما ذكر في سورة آل عمران بعض الدوافع التي تهم الناس عادة يأشباعها في حياتهم الدنيوية ، ذكر بعدها مباشرةً أن تقوى الله أفضل للإنسان من الانغماس في إشباع هذه الدوافع في الحياة الدنيوية لأن التقوى ستحقق لهم التمتع برضوان الله ونعمته في الآخرة .

﴿أَرْزِقُنَا لِلنَّاسِ حُبَّ الْشَّهَوَاتِ مِنَ النَّسَاءِ وَالْتِينَ وَالْفَنَطِيلِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ الْأَذْهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرَثِ ذَلِكَ مَنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُكْمُ الْمَلَكِ ﴾ قُلْ أَوْنِسْكُمْ بِمَا حَيَّرْتُمْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ آتَقْوَا عِنْدَ رَبِّيهِمْ جَنَاحَتْ تَجْهِيْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ عَلَيْهِنَّ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّلْهَسَّةٌ وَرَضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ يَصِيرُ إِلَيْهِ الْمَبَدِّيَ﴾⁽¹⁾

في هاتين الآيتين دعوة صريحة إلى الناس لضبط دوافعهم وإعلانها والتسامي بها عن طريق تقوى الله وابتعاد مرضاته . وجاء في القرآن في هذا المعنى أيضاً :

﴿الْمَالُ وَالبَنُونَ زِيَّةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَقِيلَاتُ الصَّلِيمَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلَا﴾⁽²⁾

﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَانِيْرٌ بَيْنَكُمْ وَسَكَافٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمْثُلِ غَيْرِ أَعْجَبِ الْكُفَّارِ نَبَّاكُمْ فَمَمَّا يُوَسِّعُ فَتَرَكَهُ مُصْفَراً لَمْ يَكُونْ حُطَّلَمَا وَفِي الْآتِيرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا مَنْعُ الْفُرُورِ﴾⁽³⁾

(1) آل عمران : ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ .

(2) الكهف : ٤٦ .

وفي هذه الآيات تبيه للإنسان إلى أن ما في الحياة الدنيا من لعب ولهو وزينة وتفاخر بكثرة الأموال والبنين إنما مصيره إلى زوال كما يزول الثبات الذي يذبل ويسقط وتعصف به الرياح ، وأن ما يبقى هو عمل الإنسان . فإن من آثر الحياة الدنيا على الآخرة وكان كل منه في حياته الدنيا الإنشغال بإشاع دوافعه وشهوته وتحصيل اللذات فقط ، وغفل عن طاعة الله وعبادته ، فصيره في الآخرة عذاب شديد . وأما من لم يغفل في حياته الدنيوية عن طاعة الله وعبادته ، وعمل الصالحات ، وتحكم في أهوائه وشهوته فجزاؤه منقرة من الله ورسوان . وجاء في القرآن أيضاً في هذا المعنى :

«**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْبٌ وَهُوَ لِلَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقَوْنَ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ؟**»^(١)

انحراف الدوافع

إذا فشل الإنسان في ضبط دوافعه والتحكم فيها ، فأشرف في إشعاعها ، وانغمس في ذاتها ، وجعل الحصول على ذات الإشباع هدفاً في ذاته ، انحرفت الدوافع عن أهدافها المعقولة ، فلم تعد بعد وسيلة لاستمرار حياة الفرد وبقاء النوع ، وإنما أصبحت غاية في ذاتها ، ولم يعد الإنسان هو المسيطر عليها والتحكم فيها ، وإنما أصبحت هي المسيطرة عليه والتحكم فيه . وانحراف الدوافع وسيطرتها على الإنسان قد يحدث بالنسبة لكل من الواقع الفسيولوجية والنفسية على السواء . ومن أهم دوافعنا الفسيولوجية المعرضة للانحراف الدافع الجنسي . وقد ذكر القرآن نوعاً شائعاً من الانحراف الجنسي وهو الجنسية المثلية التي مارسها قوم لوط . ويتبين مما قاله القرآن عن هذا الانحراف الجنسي أنه ظهر لأول مرة في تاريخ البشرية بين قوم لوط .

«**وَلَوْطًا إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُكُمُ الْفَتِيحةَ مَا سَبَقْتُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ**

(١) الأسماء - ٤٢ .

الْعَلَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
مُّسْرِفُونَ ۝^(١)

«أَتَأْتُونَ الْمُحْكَمَ مِنَ الْعَلَمِينَ ۝ وَتَكْرُونَ مَا حَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ
أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۝^(٢)

ومن الانحرافات الشائعة في دوافعنا النفسية ما نشاهده لدى بعض الناس من الحب الشديد للمال ، وتلهفهم على امتلاكه واكتنازه . والمال في الأصل هو مال الله تعالى استخلفنا فيه لإنفاقه في سبيله ، وفيما يرضيه ، وفيما يتحقق إعمار الأرض وتقدم الإنسانية . غير أن بعض الناس يجعلون تملك المال هدفاً في ذاته ، فيقومون باكتنازه ولا ينفقونه في سبيل الله وفيما يفيد الناس ويساعد على تقدم البشرية .

وعلى وجه عام ، فإن الإسراف في إشاع الدوافع ، وعجز الإنسان عن ضبطها والتحكم فيها يؤدي إلى انحراف هذه الدوافع عن أهدافها الحقيقة في استمرار حياة الفرد وبقائه وتحقيق خيره وخير المجتمع . فالإسراف في العداوة ، مثلاً ، بحيث يصبح الإنسان ميالاً في علاقاته مع الناس إلى العداوة والظلم انحراف . والإسراف في التنافس بحيث يصبح الهدف الرئيسي للإنسان في الحياة هو الشوق على الغير والسيطرة عليهم بدنياً أو اقتصادياً أو سياسياً أو عسكرياً إنما هو انحراف . والإسراف في طلب الراحة والخمول والكسل ، والتمتع بنعيم الحياة وملاذها ، بحيث يصبح الهدف الرئيسي للإنسان هو أن يحيا حياة دعة وترف وخمول دون أي شعور بالمسؤولية تجاه أفراد المجتمع الذي يعيش فيه ، والتعاون معهم ، وتقديم يد العون والمساعدة إليهم ، إنما هو انحراف . والاعتداد في إشاع الدوافع ، وعدم الإسراف في إشاعتها وقاية للإنسان من الانحراف . فغير الأمور الوسط .

(١) الأعراف : ٨١ ، ٨٠ .

(٢) الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦ .

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَا يُسِرِّهُوا وَلَا يَقْنُطُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً^(١)
وَلَا يَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَطِطِ فَتَقْعُدْ مَلُومًا
تَحْسُورًا^(٢)

(١) الترثيان : ٧٧ .

(٢) الأسراء : ٢٦ .

الانفعالات في القرآن

افتضلت حكمة الله تعالى أن يزود الإنسان والحيوان كذلك بانفعالات تعينهما أيضاً على الحياة والبقاء . فانفعال الخوف ، مثلاً ، يدفعنا إلى تجنب الأخطار التي تهدد حياتنا . وانفعال الغضب يدفعنا إلى الدفاع عن النفس ، وإلى الصراع من أجل البقاء . وانفعال الحب هو أساس تألف الجنسين وإنجذاب كل منها إلى الآخر من أجل بقاء النوع .

وهناك علاقة كبيرة بين الدافع والانفعالات . فالدافع تكون عادة مصحوبة بحالة وجданية انفعالية . فعندما يشتد الدافع ويغيب عن الإشباع فترة من الزمن تحدث في الجسم حالة من التوتر . وتصاحب ذلك عادة حالة وجدانية مكثرة . وإشباع الدافع يكون مصحوباً بحالة وجدانية سارة . ثم إن الانفعال يقوم بترجيحه السلوك مثل الدافع . فانفعال الخوف يدفع الإنسان إلى الهرب من الخطر ، وانفعال الغضب يدفعه إلى الدفاع عن النفس ، وقد يدفعه إلى العداوة ، وانفعال الحب يدفعه إلى التقرب من موضوع حبه .

و جاء في القرآن الكريم وصف دقيق لكثير من الانفعالات التي يشعر بها الإنسان مثل الخوف ، والغضب ، والحب ، والفرح ، والكره ، والغيرة ، والحسد ، والندم ، والحياة ، والحزن . وسوف نتناول ما جاء في القرآن عن هذه الانفعالات فيما يلي :

الخوف

انفعال الخوف من الانفعالات الهامة في حياة الإنسان ، لأنه ، كما أشرنا من قبل ، يعينه على انتقام الأخطار التي تهدده مما يساعده على الحياة والبقاء . وقد سبق أن أشرنا أثناء كلامنا عن دافع الجوع في الفصل السابق أن القرآن ذكر

في بعض آياته الأمن من الخوف مقوتاً يأشباع دافع الجوع مما يشير إلى أهمية كل من دافع الجوع وانفعال الخوف في حياة الإنسان . وقد ذكرنا هذه الآيات أثناء كلامنا عن دافع الجوع ^(١) .

ولبست فائدة الخوف مقصورة فقط على وقاية الإنسان من الأخطار التي تهدده في حياته الدنيوية ، وإنما من أهم فوائده أيضاً أنه يدفع المؤمن إلى اتقان عذاب الله في الحياة الآخرة . فالخوف من عذاب الله يدفع المؤمن إلى تجنب الوقع في المعاصي ، وإلى التمسك بالقوى والانتظام في عبادة الله وعمل كل ما يرضيه .

**﴿إِنَّ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَرَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا أُتْلِيَتْ عَلَيْهِمْ
أَيْسَرُوا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾**

**﴿كُلُّ أَجَافٍ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَارِعِ يَدْعُونَ رَبِّهِمْ خَوْفًا وَطَمَعاً وَمَا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ﴾** ^(٢)

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَتَقْرَأُ بَيْكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ يوم
زوالها تدخل كل مرضعة عمها أرضعت وتضع كل ذات حلٍ حلها وترى الناس
سُكَّرٍ وَمَا هُمْ سُكَّرٍ وَلَكِنَ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ^(٣)

وانفعال الخوف حالة من الاضطراب العاد الذي يشمل الفرد كله . وقد وصف القرآن هذا الاضطراب بالزلزال الشديد الذي يهز الإنسان هزاً شديداً ، فيفقده القدرة على التفكير والسيطرة على النفس .

(١) انظر الآيات في سـ ٣٠ ، ٣١ .

(٢) الأنفال : ٢ .

(٣) السجدة : ١٦ .

(٤) طه : ٢٠ ، ١ .

وَإِذْ جَاءَهُ وَكُنَّ مِنْ قَوْقَزٍ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُنْ وَإِذْ رَأَيْتَ الْأَبْصَرَ وَبَلَغَتِ
الْفُلُوْبُ الْخَنَارَ وَتَظَاهَرُوا لِلَّهِ الظُّنُونَا ۝ مُنَالِكَ أَبْشِلَ الْمُؤْمِنُونَ
وَزُلْزَلُوا زِلَّا لَأَشْدِيدَهَا ۝^(١)

وإذا كان الخوف شديداً ومفاجئاً انتابت الإنسان حالة من الذهول لفترة من الوقت لا يستطيع فيها الحركة أو التفكير . وقد أشار القرآن إلى حالة الذهول التي يسببها الخوف الشديد المفاجئ، أثناء وصفه ليوم القيمة .

۝ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَعْضُهُمْ فَتَبَهَّهُمْ فَلَا يَسْتَطِعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۝^(٢)

وحينما يحدق الخطر الشديد بالإنسان ويتملكه الخوف فإن كل اهتمامه يترکز في هذا الخطر المحدق به وفي محاولته التجاة بنفسه منه ، وينصرف اهتمامه عن أي شيء آخر .

۝ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعِدَةُ ۝ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخْيَهِ ۝ وَأَمْيَهِ ۝ وَأَبْيَهِ ۝
وَصَاحِبَيْهِ، وَبَنِيَهِ ۝ لِكُلِّ أَمْرٍ يُمْهِلُهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ يُغَيِّبُهُ ۝^(٣)

وتصاحب افعال الخوف تغيرات كثيرة تحدث في الوظائف الفسيولوجية الحشوية ، وفي ملامح الوجه ، ونبارات الصوت ، وهيئة البدن . وسوف نتناول هذه التغيرات الفسيولوجية والبدنية المصاحبة للانفعال فيما بعد .

ويستجيب الإنسان عادة لواقف الخطر التي تهدده وثير فيه افعال الخوف بالابتعاد عنها والهرب منها . وقد وصف القرآن استجابة الإنسان بالهرب من المواقف المهددة بالخطر والشدة للخوف أثناء وصفه للكافرين من الأقوام السابقة الذين حلّ بهم عذاب الله بسبب تكذيبهم لأنبيائهم وإصرارهم على الكفر :

(١) الأحزاب : ١٠ ، ١١ . نزلت هذه الآيات أيام موقعة الخندق .

(٢) الأبياء : ٤٠ .

(٣) عبس : ٣٣ - ٣٧ .

فتملكهم الذعر ، وسارعوا إلى الفرار محاولين الهرب من العذاب .

﴿ وَكَذَلِكَ فَصَنَّا لَنَا مِنْ قَرْبَةِ كَثَاثَةٍ ظَالِمَةً وَأَشَانَ بَعْدَهَا قَوْمًا أَنْجَرْنَا ۝
فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانِهَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يُرْكَضُونَ ۝﴾^(١)

ووصف القرآن خوف المتألقين ورغبتهم في الهرب من المؤمنين بقوله :

﴿ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا نَهَمُ لَمْ يَنْكُرْ وَمَا هُمْ مِنْكُرٌ وَلَكِنْهُمْ قَوْمٌ يَفْرَغُونَ ۝ تَوَسِّعُ
يَمْهُدوْنَ مَلْجَاهَا أَزْمَغَرِبَتْ أَوْ مُدْخَلًا لَوْلَى إِلَيْهِ وَهُمْ يَمْجُهُونَ ۝﴾^(٢)

وذكر القرآن في وصف خوف موسى عليه السلام من فرعون وهربه منه :

﴿ فَفَرَّتُ مِنْكُرٍ لَمَّا رَأَيْتُكُرْ ۝﴾^(٣)

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا حَذِيفَةً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّيَ لَكِنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝﴾^(٤)

ووصف القرآن أيضاً خوف موسى عليه السلام حينما رأى عصاءه تقلب إلى حية لбу لهارياً .

﴿ وَالَّتِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَهَا تَهْزَئُ كَانَتْ جَانٌ وَلَكَ مُذِيرًا وَلَكَ يُعَقِّبَ يَنْهُوشَ
لَا يَخْفَ إِلَيَّ لَا يَخْافُ لِدَنَ الْمُرْسَلُونَ ۝﴾^(٥)

أنواع الخوف :

إن الأشياء التي يخافها الإنسان كثيرة . وقد ذكر القرآن بعض مخاوف الإنسان الهامة مثل الخوف من الله ، والخوف من الموت ، والخوف من الفقر .

(١) الأنبياء : ١١ ، ١٢ .

(٢) التوبة : ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) الشورى : ٢١ .

(٤) القصص : ٤١ .

(٥) التمل : ١٠ .

والخوف من الله خوف هام في حياة المؤمن ، فهو يدفعه دائمًا إلى تقوى الله واسترضائه ، واتباع منهجه ، وترك ما نهى عنه ، وفعل ما أمر به . ويعتبر الخوف من الله ركناً في الإيمان به ، وأساساً هاماً في تكوين شخصية المؤمن^(١) .

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُحْسُنُونَ
هُنَّ أُوْلَئِكُمْ إِنَّمَا مَا جَنَاحَتْ عَدَنٌ بَحْرٍ مِّنْ تَحْتِهِ الْأَنْهَرُ خَلَقْنَا
فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبُّهُ »^(٢)

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا نُذِّكَتْ عَلَيْهِمْ
أَيْمَانُهُمْ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا »^(٣)

« قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ »^(٤)

« ... يَخَافُونَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَرِ »^(٥)

« إِنَّمَا تَخَافُ مِنْ رَبِّكَ يَوْمًا عَبُوسًا كَفِيرًا »^(٦)

ومن أنواع الخوف الشائعة بين الناس الخوف من الموت . وقد أشار القرآن إلى خوف الناس من الموت بقوله :

« قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّمَا مُلْقِيَكُمْ .. »^(٧)

ويبدو الخوف من الموت وأخصه في حالات الحروب ، وخاصة بين الجنود

(١) محمد الزراقي : الجانب العاطفي من الإسلام . بحث في المخالق والسلوك والتصور . القاهرة : دار الكتب الحديثة (د. ت) ، ص ٢٥٢ - ٢٥٩ .

(٢) البيتنة : ٧ ، ٨ .

(٣) الأنفال : ٤ .

(٤) الرموز : ١٣ .

(٥) النور : ٣٧ .

(٦) الإنسان : ١٠ .

(٧) الجمعة : ٨ .

الذين يرسلون إلى ميدان القتال . وجاء في القرآن في وصف خوف المتألقين من القتال :

«فَلَمَّا كَبَّ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا قَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ تَكْفِيرَ اللَّهِ أَوْ أَشْدَدَ
خَبَابَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لَمْ كَبَّ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَنْتَ نَاهِيَنَا إِنَّ أَجِلَ قَرِيبٍ فَلَمْ يَمْتَحِنْ
الَّذِي أَقْبَلَ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَمَنْ آتَقَ وَلَا تَظَاهَرُونَ قَبْلًا »^(١)

«وَيَقُولُ الَّذِينَ أَنْتُوا لَوْلَا تَرَكْتُ سُورَةَ هُجُومَةَ وَذَكَرَ فِيهَا
الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْتَظِرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْنِثِيِّ عَلَيْهِ
مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْتَنِي هَمْ »^(٢)

والخوف من الموت شائع بين الناس عامة لم يسلم منه حتى النبي الله موسى عليه السلام ، فقد خاف أن يقتله فرعون كما ذكر القرآن على لسان موسى عليه السلام .

«وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَلَا يَخَافُ أَنْ يَقْتَلُونَ »^(٣)

«قَالَ رَبِّ إِلَيَّ فَنَكَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَلَا يَخَافُ أَنْ يَقْتَلُونَ »^(٤)

والإيمان الصادق بالله يؤدي إلى التخلص من الخوف من الموت ، لأن المؤمن يعلم بيقيناً أن الموت سيقله إلى الحياة الآخرة الخالدة التي ينعم فيها برحمته ورضوانه . وإن كان المؤمن يشعر بخوف من الموت فإنما هو في الحقيقة يخشى إلا يحظى بمعرفة الله ، وألا ينال رحمته ورضوانه . ولا شك أن الخوف من الموت يكون شديداً على العاصين الذين يخشون أن يحل بهم الموت قبل أن يتوبوا . فالخوف من الموت ، إذن ، إنما يرجع في الحقيقة إلى أنه يكون مانعاً

(١) النساء : ٧٧ .

(٢) سعد : ٢٠ .

(٣) الشورى : ١٤ .

(٤) الفصل : ٣٣ .

من التوبية^(١) . وعلى ذلك ، فإن الخوف من الموت يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالخوف من الله الذي تكلمنا عنه سابقاً .

**وَأَنْفَقُوا مِنْ مَآْزِقَنَّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ
لَوْلَا أَنْتَ نَفَعَنِي إِنَّ أَجِلَّ قَرِيبٍ فَأَمْدَقَ وَأَكْثَرُ مِنَ الصَّالِحِينَ^(٢)**

**قُلْ يَأَيْهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُ أَنْكُمْ أَوْلَيَاءَ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ
فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَالِفِينَ^(٣) ○ وَلَا يَسْتَمْنُونَهُ أَبْدَاهُ مَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ
وَكَلَّهُ عَلَيْهِ بِالظَّالِمِينَ^(٤)**

والملحدون الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالحياة الآخرة فإنهم يخالفون من الموت لاعتقادهم أن الموت انحلال للذوات وفناء وعدم لها ، ولذلك فهم يجزعون لهذا المصير الذي سيتهون إليه^(٥) . وقد يخاف بعضهم الموت لأنهم لا يعرفون إلى أي مصير مجهول سيؤدي بهم الموت . فإن جهولهم بالمصير الذي سيتهون إليه هو في الحقيقة ما يخيفهم ويغز عليهم .

والخوف من الفقر أيضاً من المخاوف الشائعة بين الناس . فالإنسان دائم السعي في حياته لكسب قوت رزقه وأولاده ، ولكنكي يهوى نفسه ولأسرته أسباب الحياة الهائلة الآمنة . ويتحمل الإنسان عادة في سبيل كسب رزقه كثيراً من الجهد والتعب والمشقة ، وإن أي خطر يمكن أن يهدده في رزقه يثير فيه الخوف والفزع . وكان بعض العرب قبل الإسلام يقتلون أولادهم خشية الفقر ، فنهاهم القرآن عن ذلك ، وأنهيرهم بأن رزقهم ورزق أولادهم بيد الله .

(١) محمد علي التسخري : *التوازن في الإسلام* . بيروت : الدار الإسلامية ، ١٩٧٩ ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) المناقون : ١١ .

(٣) الجمعة : ٦ ، ٧ .

(٤) يوسف القرضاوي : *الإيمان والحياة* ، ط ٦ ، القاهرة ، مكتبة رهبة ، ١٩٧٨ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

وَلَا تُقْتِلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِنَّهُمْ لَا يُرِثُونَ مَا قَاتَلُوكُمْ وَلَا يُنْهَا كُنْدَرٌ إِنَّ فَتَنَاهُمْ كَانَ خَطَّافًا
كَبِيرًا^(١)

.. ولا تقتلوا أولادكم من إمكانيٍّ لِعْنَ رَزْقَكُمْ وَإِلَيْهِمْ .. (٢)

ومن شأن الإيمان بالله أن يقضى على الخوف من الفقر . فالمؤمن الصادق
الإيمان يعلم بقيتنا أن الرزق يهدى الله ، فلا داعي إذن للخوف من الفقر .

لَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّدِينُ^(٣)

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقٌ كَثُرٌ وَمَا تُوَعَّدُونَ

والخوف من الناس من الخاوف الشائعة أيضاً بين كثير من الناس . لكنه من الناس
يختالون أن يبطلن بهم الأقواء وذوو النفوذ والسلطان ، والطغاة والظالمون . وقد أشار
القرآن إلى خوف موسى وهارون عليهما السلام من بطل فرعون . قال تعالى :

فَالآنَ كُلُّ شَيْءٍ حَافِظٌ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغِي .^(٤)

إن المؤمن الصادق الإيمان لا يختلف الناس ، فهو يعلم أن الناس لا يستطيعون أن يضروه إلا بما كتب الله عليه ، مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس :

* . . . أعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك . ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك . . . الحديث^(١) .

۱۰۷

۱۹۱ (۲)

۲۳) ملکه طیب

٢٢٤) الْذَّوْلَاتُ :

^(*) طه : ١٤ ، القمر : ٣٧ ، الحج : ٢٥.

¹³ See also the discussion in section 3.

إن المخوف الحقيق ، إذن ، الذي يشعر به المؤمن هو المخوف من الله ^(١) . لأن إيمانه بالله لا يجعله يخاف الموت ، أو الفقر ، أو الناس ، أو أى شيء آخر في العالم ، وإنما هو يخاف فقط من غضب الله وسخطه وعذابه .

ويؤدي المخوف من الله وظيفة هامة ومفيدة في حياة المؤمن ، إذ يجعله ارتياح المعاشر ، فيقيه بذلك من غضب الله وعذابه ، ويبحثه على آداء العبادات والقيام بالأعمال الصالحة ابتعاداً مرضاه الله . فالخوف من الله يؤدي ، في نهاية الأمر ، إلى تحقيق الأمان النفسي ، إذ يغمر المؤمن شعور الرجاء في عفو الله تعالى ورضوانه .

**«إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ أَنْتُمْ أَسْقَمُوا لَتَرَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمُلْكَ كَمَا لَا يَخَافُوا وَلَا
تَرَزَّلُوا وَأَبْشِرُوا بِمَا كُنْتُمْ تَوَعَّدُونَ»** ^(٢)

الغضب

الغضب انفعال هام يؤدي وظيفة هامة للإنسان حيث أنه يساعد على حفظ ذاته . فحينما يغضب الإنسان تزداد طاقته على القيام بالجهود العضل العنيف ^(٣) مما يمكنه من الدفاع عن النفس أو التغلب على العقبات التي تعوقه عن تحقيق أهدافه الهامة . وقد نوه القرآن باستخدام الشدة مع الكفار الذين يقاومون انتشار الإسلام ، وهي شدة نابعة من الغضب في سبيل الله وفي سبيل نشر دعوته ، فقال في وصف الرسول عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين :

«مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ أَشَدُّهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَةٌ بِنَفْسِهِمْ...» ^(٤)

(١) محمد على السخنوي : مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٢) فصلت : ٣٠ .

(٣) يحدث أثناء افعال الغضب ، والانفعالات الأخرى بعامة ، كثير من التغيرات الفسيولوجية التي من بينها إفراز هرمون الأدرينالين الذي يؤثر على الكبد ويجعله يفرز كميّات زائدة من السكر ما يسبب زيادة العلاقة في الجسم ويجعله متّهيّاً لبذل الجهود ذات العنفة التي يطلبها الدفاع عن النفس أثناء الغضب ، أو الجري أثناء المخوف .

(٤) الفتح : ٢٩ .

وأمر الله تعالى النبي - عليه الصلاة والسلام - ومن معه من المؤمنين بأن يقاتلا الكفار وأن يغلوظوا عليهم . والقتال والغلظة يبعثان من الغضب في سبيل نشر دعوة الإسلام . قال الله تعالى :

« يَكْتُلُهُمُ الَّذِينَ هَامَتْ رُؤْيَايَتُهُمْ بِأَنَّهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَعْدُوا فِي شَكٍّ
غِلْظَةً وَلَعْنَهُمْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ » ^(١)
« يَكْتُلُهُمُ الَّذِينَ جَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْكُفَّارَ وَالْمُتَّقِينَ وَأَغْلَطُوا عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ بِهِمْ جَاهِدُونَ
وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِالْعِصَمِ » ^(٢)

وقد جاء في القرآن وصف لانفعال الغضب وتاثيره في سلوك الإنسان ، نجد ذلك فيما ذكره القرآن عن غضب موسى عليه السلام حينما عاد إلى قومه ووجدهم يعبدون العجل الذي صنعه لهم السامرائي من الذهب فألقى الألواح وأمسك برأس أخيه بيبره إليه معانباً .

« وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضِبُهُنَّ أَسْفًا قَالَ يَلْسَمُوا حَلْقَتُهُمْ فِي مِنْ بَعْدِي
أَهْلَكْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلَقَ الْأَلْوَاحَ وَأَخْدَرَ رَأْسَ أَخِيهِ بَيْبرَهُ وَإِلَيْهِ قَالَ أَيْنَ
أَمْ إِنَّ الْقَوْمَ أَسْتَهْضَعُهُمْ وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْبِهِنِي الْأَعْذَادَهُ وَلَا تَجْعَلْنِي
مَعَ الْقَرْمِ الظَّالِمِينَ » ^(٣)

« قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلَّوا ۝ أَلَا تَئْمِنُ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ۝
قَالَ يَسْتَعْوِدُ لَا تَأْخُذْ بِالْحَقِيقَىٰ وَلَا يَرَأْيُقَىٰ إِنِّي شَهِيدٌ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ
بَيْنَ أَمْرِي وَلَمْ تَرْقِبْ قَوْلِي ۝ » ^(٤)

(١) التوبة : ١٢٣ .

(٢) التحرير : ٩ .

(٣) الأحزاب : ١٥٠ .

(٤) طه : ٩٤-٩٢ .

ويحيل الإنسان إلى أن يستجيب لانفعال الغضب بتوجيه العداون إلى العقبات التي تعرق إشاع دوافعه أو تحقيق أهدافه ، سواء كانت هذه العقبات أشخاصاً ، أو عوائق مادية ، أو قيوداً اجتماعية . غير أن كثيراً ما يحدث أن يُنقل الغضب أو يُحول إلى أشخاص آخرين لم يكونوا هم في الحقيقة العقبة التي حالت دون تحقيق أهداف الإنسان ، أو لم يكونوا هم السبب الحقيقي في إثارة انفعال الغضب . فقد يغضب الطفل ، مثلاً ، من أخيه فينقل غضبه إلى أخيه الأصغر فيضرره لأنفه الأسباب . وتعرف هذه العملية بالنقل^(١) . وقد ورد في القرآن مثال لنقل الغضب فيما قام به موسى عليه السلام حينما غضب من قومه لعبادتهم المسجل ، ولكنه وجه غضبه لأول وهلة إلى أخيه هارون عليه السلام ، فأمسك برأسه ولحبته يهره إليه خاصباً .

وقد يحدث أحياناً أن يغضب الإنسان من شخص ما ، ولكنه في الوقت نفسه يخشى أن يظهر غضبه نحوه لما يمكن أن يلحق به من عقاب . وفي مثل هذه الحالات قد ينقل الغضب أيضاً فيتجه إلى أشخاص آخرين ، أو إلى أشياء مادية فيقوم بتحطيمها ، أو قد يتوجه إلى ذاته هو نفسه فيقوم ببعض السلوك العدوانى الموجه إلى ذاته . وذكر القرآن مثلاً واقعياً يوضح عملية نقل العداون وتوجيهه إلى الذات بدلاً من توجيهه إلى الشخص المثير للغضب في الحقيقة ، وذلك حينما وصف القرآن المنافقين وذكر أنهم يغضبون أناملهم من غيظهم من المؤمنين . وحينما يغضب الإنسان أنامله من الغيط ، فهو إنما يوجه العداون إلى نفسه ويقوم بالياداتها – ولو بشكل رمزي – بدلاً من توجيه العداون إلى الآخرين وإيدائهم .

**وَهَذَا مِنْ أَوْلَادِنِّيْمَ وَلَا يَجِدُونَكَ وَتُؤْمِنُونَ بِالكَّتْبِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوْكَرْ قَالُوا
هَامَّا وَإِذَا خَلُوْا عَصُّوا عَلَيْكَ الْأَنْعَامَ مِنَ الشَّرِيفِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِغَيْظِكَ إِنَّ اللَّهَ
عَلَيْكُمْ بِمَا تَصْنُوُرِ ۝**^(٢)

(١) Displacement

(٢) آل عمران . ١١٩ . وفي المعجم الوسيط : ۱ (عاظه) غيطاً : أغضبه أحد الغضب . ج - ٢ ، ص ٦٦٨ .

وحيثما يمتلك افعال القلب الإنسان تتعطل قدرته على التفكير السليم ، وقد تصدر عنه بعض الأفعال أو الأقوال العدوانية التي قد يندم عليها فيما بعد حينما يهداً غضبه . وقد رأينا فيما ذكرناه سابقاً من الآيات التي تصف غضب موسى عليه السلام أنه القوى الألوان وأمسك برأس أخيه ولحبيه وجره إليه غاضباً ومعاتباً ظناً منه أنه قصر في نهيم عمما فعلوا من عبادة العجل . فلما زال غضبه وعاد إلى هدوئه وعرف أنه نهاهم عن ذلك ولكنهم استضعفوه وكادوا يقتلونه ، استقر الله على ما فعل بأخيه قبل أن يعرف حقيقة ما حدث .

«قَالَ رَبِّيْ أَغْرِيْتِيْ وَلَا يُنِيْ وَأَدْخَلْتَنِيْ رَجْنَتَكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الْأَرْحَمِينَ»^(١)

ولما كان الإنسان يفقد القدرة على التفكير السليم أثناء ثورة الغضب ، وفي أثناء الانفعالات الشديدة بعامة ، فإنه يجد بالإنسان أن يتمتنع في أثناء ثورة الغضب عن القيام بأفعال قد يندم عليها فيما بعد ، كما يجب عليه أن يتعلم كيف يسيطر على غضبه . وتتفتح من ذلك الحكمة في توصية الله تعالى للناس بالتحكم في افعال الغضب ، وكظم الغيط ، كما مستعرض لذلك فيما بعد عند كلامنا عن السيطرة على الانفعالات .

الحب

يلعب الحب دوراً هاماً في حياة الإنسان . فهو أساس الحياة الزوجية ، وتكوين الأسرة ورعاية الأبناء ، وهو أساس التآلف بين الناس وتكوين العلاقات الإنسانية الحميمة ، وهو الرباط الوثيق الذي يربط الإنسان بربه ويجعله يخلص في عبادته ، وفي اتباع منهجه ، والتمسك بشريعته . وهو العلاقة الروحية العميقة الجذور التي تربط المسلمين بالرسول - صل الله عليه وسلم - ، والتي تدفعهم إلى التمسك بسته ، وابتاع تعاليه وأوامره ، واتخاذه مثلاً أعلى يقتدون به في جميع أفعاله .

ويظهر الحب في حياة الإنسان في صور مختلفة . فقد يحب الإنسان ذاته ، ومحب

(١) الأعراف : ١٥١ .

الناس ، ويحب زوجته وأولاده ، ويحب المال ، ويحب الله والرسول ، ويحب الكون كله بما فيه من مخلوقات الله تعالى : إن حب المؤمن الكامل الإيمان حب عام شامل ، يسع الكون كله . ونجده في القرآن ذكراً لهذه الأنواع المختلفة من الحب .

حب الذات^(١) :

يرتبط حب الذات ارتباطاً وثيقاً بدوافع حفظ الذات . فالإنسان يحب أن يحيي وينهي إمكاناته ويتحقق ذاته ، ويحب كل ما يجلب له الخير والأمن والسعادة . وهو يكره كل ما يعيقه عن الحياة والنمو وتحقيق الذات ، وكل ما يجلب له الألم والأذى والضرر . وقد عبر القرآن عن هذا الحب الفطري في الإنسان للذاته ، وميله إلى طلب كل ما يفيدها وينفعها ، وتتجنب ما يضرها ويسوّقها ، وذلك حينما ذكر على لسان النبي عليه الصلاة والسلام أنه لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير لنفسه ، ولدفع عنهاسوء والأذى .

«.. وَلَوْكُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَتَكْتَرُ مِنْ أَنْتَسِيرَ وَمَا مَسَنِيَ السُّوءُ ..»^(٢)

ومن مظاهر حب الإنسان للذاته حبه الشديد للمال الذي يستطيع أن يحقق به جميع رغباته ، وأن يهيئ لنفسه جميع أسباب الراحة والرفاهية في الحياة . وقد ذكر القرآن حب الإنسان الشديد للمال .

«وَإِنَّهُ لِمِنْ أَنْفَقِي لَشَدِيدٌ»^(٣)

ومن مظاهر حب الإنسان للذاته أيضاً أنه دائم الدعاء للمخير لنفسه من مال وصحة وغير ذلك من خيرات الحياة ونعمها ، وإذا أصابه سوء أو بلاء أو فقر

(١) إن حب الله تعالى هو أسمى أنواع الحب الإنساني ، ولذلك فقد يجدوا أنه كان من الأولى أن يبدأ بالكلام عنه . غير أنه اتيت هنا في عرض أنواع الحب التطور الطبيعي لظهوره في حياة الإنسان . فالطفل يحب أولاً ذاته ، ثم يحب أمه وأبيه والناس الآخرين المحظيين به ، ثم يبدأ في مرحلة المراقبة ودرءها قبلها في حب الجنس الآخر . وحينما يتضاعف تفكيره ويفهم حقيقة الدين ومعنى الأخروية يبدأ في حب الله تعالى وحب الرسول - صل الله عليه وسلم - .

(٢) الأعراف : ١٨٨ .

(٣) العاديات : ٨ .

نملكة اليأس الشديد وظن أنه لن يتهاها له بعد ذلك خير .

«لَا يَسْقُمُ الْإِنْسَنُ مِنْ دُعَاءٍ أَخْتَيَرَ وَإِنْ مَتَّهُ الشَّرُّ فَيُغْوِشُ قَنُوتُهُ»^(١)

ومن مظاهر حب الإنسان لذاته أيضاً أنه إذا أصابه بلاء أو أذى انتابه الجزع والملع على ما حلّ به ، ويشن من الخير ، وكفر بنعم الله السابقة عليه ، وجحد بها . وإذا أصاب سعة في المال فرح به وبطر وحرص عليه حرضاً شديداً ، وامتنع عن التصدق بجزء منه على الفقراء والمحاجين .

«إِنَّ الْإِنْسَنَ خَلِقَ هَلُوقًا (٢) إِنَّمَاتُهُ الشَّرُّ يَزُوْعُهُ (٣) وَإِذَا مَتَّهُ أَخْتَيَرَ مُنْعَاعًا»^(٤)

**وَإِنَّا إِذَا أَذْفَنَا إِنْسَنًا بِشَارِحَةٍ فَرَحَ رِبَّا وَإِنْ تُصْبِحُهُمْ سَيِّئَةٌ إِيمَانًا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَلَوْلَاهُ إِنْسَنٌ كُفُورٌ»^(٥)**

غير أن حب الإنسان لذاته يجب ألا يتتجاوز حدوداً معينة ، ومن الضروري أن يُعادل بحب الناس وحب الخير لهم .

حب الناس :

عندما ينمو الطفل ويأخذ في التفاعل مع غيره من الأطفال والكبار الذين من حوله ، يأخذ جزء من حبه يتعلق بهم . ويأخذ هذا الحب يزداد بالتدریج ، كلما ازدادت علاقات الطفل بالناس وتتنوعت . ويتعلم الطفل بالتجربة أنه لكي يستطيع أن يعيش في تألف وانسجام مع الناس الآخرين ، يجب عليه أن يجد من حبه للذاته وأنانيته ، وأن يعمل على موازنته بحبه للناس الآخرين وعودته لهم ، والتعاون معهم ، وتقدير يد المعاونة إليهم . ويساعد التدين على عدم الإفراط في حب الإنسان لذاته ، وعلى حب الناس الآخرين وحسن معاملتهم . وقد أشار الله تعالى إلى هذه الحقيقة حيناً

(١) فصلت : ٤٩ .

(٢) المعارض : ٢١ - ١٩ .

(٣) الشورى : ٤٨ .

أشار إلى حب الإنسان لنفسه الذي يظهر في هله وجزعه إذا مسه الشر ، وحرصه على ما يناله من الخير ويخله به ومنعه عن الناس ، ثم أثني سبحانه وتعالى بعد ذلك مباشرة على من يقاوم الإسراف في حبه للذاته ، ويشكلون من مظاهر الهمج والجزع إذا مسه شر ، ومن البخل إذا ناله خير ، وذلك عن طريق التك بالإنجان ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والتصدق على الفقراء والمساكين والمحرومين ، والابتعاد عما يبغض الله ، فإن من شأن هذا الإنجان أن يوازن بين حب الإنسان لنفسه وجهه للناس بما يحقق مصلحة الفرد والجماعة .

«إِنَّ الْإِنْسَنَ حَلِيقٌ مُلُوْعًا ۝ إِذَا مَسَهُ الشَّرُّ يَرُوْمًا ۝ وَإِذَا مَسَهُ الْخَيْرُ
مُنُوْمًا ۝ إِلَّا الْمُصْلِينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاحِهِمْ دَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ فَرَغُوا
أَمْرَهُمْ حَقَّ مَعْلُومٍ ۝ لِتَسْأِيلِ الْمَحْرُومِ ۝ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِسِرْمَرْ
الَّذِينَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ»^(١)

ويشيد القرآن بالمحبة والتآلف بين الناس ، ويعاونهم وتماسكهم وتأخيهم .

«وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا يُنْهَوْنَا وَإِذْ كُرُوا نِعْصَتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً كَافَّ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبِحُوكُمْ يَنْعَصِّيَهُ إِنْهُوَ إِنْهُوَ...»^(٢)

«..هُوَ الَّذِي أَيْدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَالَّذِي بَيْنَ قُلُوبِكُمْ لَوْا نَفَقْتَ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْقَتَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ»^(٣)

وأثني القرآن على الأنصار لما أظهروه من محبة صادقة للمهاجرين من المسلمين ، ولتقديمهم يد العون إليهم إذا آتواهم وشاركتهم في مساكنتهم وأموالهم ، وأثروهم على أنفسهم .

(١) الأنفال : ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) المارج : ١٩ - ٢٧ .

(٣) آل عمران : ١٠٣ .

« وَالَّذِينَ تَبَوَّءُ الْمَدَارَ وَالْأَيْمَنَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْبَوْنَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا
يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً إِلَّا أُتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ يَرَوْنَ
خَصَاصَةً وَمَنْ يُوقَنُ بِعُقُولِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »^(١)

ويبدعو القرآن المؤمنين إلى أن يحب كل منهم الآخر كما يحب أخيه . وفي ذلك توجيه للإنسان إلى عدم الإسراف في حبه لنفسه ، وتوجيهه له إلى حب إخوانه في الإيمان كما من شأنه أن يعادل حبه لنفسه ، وبحدّ من شدته .

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِنْ هُوَ فَلَاقُوا بَيْنَ أَخْوَيْهِمْ وَأَنْفُسَهُمْ لَعَلَّكُمْ تَرَهُونَ »^(٢)

« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ يَعْزِزُنَّهُنَّ »^(٣)

وعن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولاً أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحابيتم ؟ أفسروا السلام بينكم »^(٤) . وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « والذي نفسي بيده ، لا يؤمن عبد حتى يحب بلاده أو قال لأنبيائه ما يحب لنفسه »^(٥) .

الحب الجنسي :

يرتبط الحب بالدافع الجنسي ارتباطاً وثيقاً ، فهو الذي يعمل على استمرار التآلف والانسجام والتعاون بين الزوجين ، وهو أمر ضروري لاستمرار الحياة الأسرية .

« وَمِنْ أَيْمَنِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ

(١) العشر : ٩ .

(٢) العجرات : ١٠ .

(٣) التوبة : ٧١ .

(٤) الحديث رقم ٤٢ من مختصر صحيح سلم للحافظ الملتري ، تحقيق ناصر الدين الألباني ، ط ٢ .
الطبعة الأولى : ١٩٧٧ .

(٥) الحديث رقم ٢٤ ، المرجع السابق .

مُوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَكَبِيرٌ لِقَوْمٍ يَتَكَبَّرُونَ^(١)

«فُرِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الْشَّهْوَتِ مِنَ النِّسَاءِ ..»^(٢)

وأشار القرآن أيضاً إلى الحب الجنسي أثناء ذكره لقصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز .

«وَقَالَتِ نِسْوَةٌ فِي الْبَيْتِ أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ تُرْكُوذُ قَنْطَاهَا عَنْ نَقْسِيمِهِ قَدْ شَفَقَهَا حَبَا
إِنَّا لَنَرَيْنَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»^(٣)

«قَالَتْ قَدْلِيلٌ كُنْ أَلَّذِي لَمْ تُنْتَقِي فِيهِ وَلَقَدْ رَأَوْدَهُرُ عَنْ نَقْسِيمِهِ فَلَا سَتَّعْمَمُ
وَلَهُنْ لَرٌ يَفْعَلُ مَا هُوَ أَمْرٌ لِيُسْجِنَنَ وَلَيُكُوَّنَا مِنَ الصَّالِفِينَ»^(٤) قَالَ رَبُّ
الْمَسْجَنِ أَحَبُّ إِلَىٰ مَا يَدْهُونُنِي إِلَيْهِ وَلَا تَصْرِيفُ عَنِّي كَيْنَهُنْ أَنْتُبُ إِلَيْهِنَّ
وَأَمْكَنُ مِنْ أَبْتَهِلِينَ»^(٥)

وقد سبق أن بينا أثناء كلامنا عن الدافع الجنسي في الفصل السابق الخاص بذوافع السلوك في القرآن ، أن الإسلام يعترف بالدافع الجنسي ولا ينكره ، وهو بطبيعة الحال يعترف بالحب الجنسي المصاحب له لأنه افعال فطري في طبيعة الإنسان لا ينكره الإسلام ، ولا يخفره ولا يكتبه ، ولكن الإسلام يدعو فقط إلى السيطرة على هذا الحب والتحكم فيه وذلك عن طريق إشاعته بالطريق المشروع وهو الزواج .

الحب الأبوى :

تكلمنا في الفصل الأول عن دافع الأمومة كأحد الدوافع الفسيولوجية ، إذ يوجد أساس فسيولوجي لداعم الأمومة هو التغيرات الفسيولوجية والبدنية

(١) الروم : ٢١ .

(٢) يوسف : ٣٠ .

(٣) يوسف : ٣١ .

(٤) يوسف : ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) آل عمران : ١٤ .

التي تحدث في الأم أثناء الحمل والولادة والرضاعة . وترتبط هذه التغيرات الفسيولوجية والبدنية الأم بوليدتها برباط قوي يظهر واضحاً في دافع الأمومة الذي يتميز بحب الأم لأولادها ، وحنونها عليهم ، ورعايتها لهم ، مما سبق أن أشرنا إليه أثناء كلامنا عن دافع الأمومة .

ولا كان الأب لا يرتبط بأبنائه بمثل هذه الارتباطات الفسيولوجية التي تربط الأم بأبنائها ، فإن علماء النفس المحدثين لا يعتبرون دافع الأبوة دافعاً فسيولوجياً كدافع الأمومة ، ولكنهم يعتبرونه دافعاً نفسياً . ويظهر دافع الأبوة واضحاً في حب الآباء لأبنائهم ، فهم مصدر متعة وسرور لهم ، ومصدر قوة وبهاء ، وعامل هام في استمرار دور الأب في الحياة ، وفيبقاء ذكراء بعد موته . يتضح ذلك من دعاء زكريا عليه السلام ربه أن يهبه خلاماً يرثه ويرث آله بعقوب .

«فَالْرَّبِّ لِي وَمِنْ أَعْظَمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلُ إِلَّا أَرْسُلُ شَيْئاً وَلَمْ أَكُنْ يَدْعُوكَ إِلَّا شَيْئاً ۝ وَإِنِّي خَفَتُ الْمَوْكِلَ مِنْ وَرَاهِي وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرَةً قَهْبَ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَا ۝ يَرْثُنِي وَيَرْثُ مِنْكَ إِلَّا يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيَا»^(١)

ويلاحظ أن حب البنين جاء في القرآن مغروباً بحب المال في كثير من الآيات ، فكل من البنين والمال من أسباب القوة والمعنة للإنسان .

«الْمَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..»^(٢)

«فَمَمْرَدَنَاكُمُ الْكَرَّةُ عَلَيْهِمْ وَامْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَنَا وَجَعَلْنَاكُمْ أَعْذَرَ نَفَرِّا»^(٣)

«وَعَيْدِلْدُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَنَا وَجَعَلَ لَكُمْ أَنْهِرَا»^(٤)

(١) مريم : ٦ - ٨ .

(٢) الكهف : ٤٦ .

(٣) الإسراء : ٦ .

(٤) فتح : ١٢ .

﴿وَرَبِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۚ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا يَمْدُودًا ۚ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾^(١)

وأشار القرآن إلى الحب الأبوي أثناء ذكره لقصة نوح عليه السلام ، وما كان يكتبه من حب لابنه حينما ناداه في عطف ومحبة وحنان مطالباً له ركوب السفينة لينجو من الغرق .

﴿.. وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَدْعُ أَرْكَبَ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢)

كما يظهر ذلك الحب أيضاً في دعاء نوح عليه السلام لله تعالى أن ينجي ابنه .

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ قَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنِي مِنْ أَهْلِ رِبَّكَ وَإِنَّ وَطَنَكَ الْحَسْنَى وَأَنْتَ أَخْكَرُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٣)

ويظهر الحب الأبوي واضحاً أيضاً في حب يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام وأخيه الأصغر ، مما جعل إخواته يغارون منهما ويحقدون عليهما .

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخْوَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَبْنَتِي مَثَا وَكُنْ عُصْبَةً إِنَّ أَبَانَا لَنِي ضَلَالٌ مُرِينٌ﴾^(٤)

ويظهر هنا الحب الأبوي أيضاً حينما عارض يعقوب - عليه السلام - في أول الأمر ذهاب يوسف - عليه السلام مع اخواته خوفاً عليه .

﴿قَالَ إِلَيْيَ لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَدْعُوا بِيِءَ وَأَخَافُ أَنْ يَاْكُهُ الْذِئْبُ وَأَنْتُ عَنْهُ غَيِّلُونَ﴾^(٥)

(١) الفاتح : ١١ - ١٣ .

(٢) هود : ٤٢ .

(٣) هود : ٤٤ .

(٤) يوسف : ٨ .

(٥) يوسف : ١٣ .

ويظهر الحب الأبوى أيضاً بوضوح من بكاء يعقوب - عليه السلام - حزناً واسفاً على ابنه يوسف - عليه السلام - حتى فقد بصره .

«وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَسَقَّعُ عَلَيْهِ يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ»^(١)

ويظهر الحب الأبوى عادة في اهتمام الأب بأبنائه ، وفي رعايته لهم ، ونصرتهم وتوجيههم إلى ما فيه مصلحتهم وخيرهم . ويضرب لنا القرآن مثلاً للدور الأب الحكيم في نصح أبنائه وتوجيههم بما جاء على لسان لقمان من نصائح حكيمية نصح بها ابنه ^(٢) .

حب الله :

إن ذرة الحب عند الإنسان ، وأكثره سيراً وصفاة وروحانية هو حبه لله سبحانه وتعالى ، وشوقه الشديد إلى التقرب منه ، لا في صلواته وتسبيحاته ودعواته فقط ، ولكن في كل عمل يقوم به ، وفي كل سلوك يصدر منه ، إذ يكون توجهه في كل أعماله وتصرفاته إلى الله سبحانه وتعالى راجياً منه تعالى القبول والرضوان . إن حب الله تعالى هو غاية كل مؤمن ، وهو القوة الدافعة لطاعة الله ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

«قُلْ إِنَّمَا تُحِبُّونَ اللَّهَ فَإِنِّي أَعُوْنَى بِخَيْرِكُمْ وَإِنِّي فَسِيرُ لَكُمْ دُرُّكُمْ وَأَكُلُّ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ»^(٣)

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدِدُ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُجْهَّمُ
وَيُجْهَّمُهُمْ وَإِذْلِلُهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَزُهُمْ عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ يَجْهَّمُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
يَحْسَأُونَ لَوْمَةً لَا يُرَدُّ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ كَوْنُ عَلَيْهِمْ»^(٤)

(١) يوسف : ٨٤ .

(٢) انظر سورة لقمان : الآيات : ١٣ - ١٩ .

(٣) آل عمران : ٣١ .

وحب المؤمن لله يفوق حبه لأي شيء آخر في الحياة ، يفوق حبه لذاته ولأبنائه وزوجته وأبويه وأهله وأمواله .

«قُلْ إِنْ كَانَ أَبَاكُ وَمَوْلَاكُ وَأَبْنَاكُ وَإِخْرَاجُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالُ أَقْرَفْتُمُوهَا وَنَجَّرْتُمُوهَا مَخْشَونَ كَمَا هُوَ مَنْكُنْ تَرْضَوْهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ
مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادِ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَقَّ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَكَلَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ »^(١)

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُورِنِ اللَّهِ أَنَّدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَعْتَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا
أَشَدَّ حِبًّا لِّلَّهِ ..»^(٢)

وفي هذا المعنى قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان . أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يختلف به في النار»^(٣).

إن حب المؤمن لله تعالى وعبادته له ، إنما هنا مطلب الأسمى وغاية القصوى التي يتحقق بها له أعظم السعادة والسرور والبهجة والأمن والطمأنينة ، سواء في الدنيا أو في الآخرة . يقول ابن تيمية في هذا المعنى : «... فكلما ازداد القلب حباً له (الله) ازداد له عبودية ، وكلما ازداد له عبودية ، ازداد له حباً وفضلة عما سواه . والقلب فقير بالذات إلى الله من وجهين : من جهة العبادة ، وهي العلة الغائية ، ومن جهة الاستعانتة والتوكيل ، وهي العلة الفاعلة . فالقلب لا يصلح ، ولا يفلح ، ولا ينعم ، ولا يسر ، ولا يلتفت ، ولا يطيب ، ولا يسكن ، ولا يطمئن ، إلا بعبادة ربه وحبه والإلتاء إليه . ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات ، لم يطمسن ، ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه ،

(١) التوبية : ٢٤

(٢) البقرة : ١٦٥ .

(٣) رواه الشیخان والترمذی والسائل من نس .

من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه ، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمه والسكون والطمأنينة^(١) .

ويقول ابن قيم الجوزية أيضاً في هذا المعنى : « .. لاشيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها ، فهو إليها ومعبودها ، ووليها ومولامها ، وربها ومديراها ورازقها ، وعبيتها وعبيها . فحبه نعم النعم ، وحياة الأرواح ، وسرور النعم ، وقت القلوب ، ونور العقول ، وقرة العيون ، وعارة الباطن . فليس عند القلوب السليمه والأرواح الطيبة ، والعقول الزاكية أحل ، ولا أذى ، ولا أطيب ، ولا أسر ، ولا أنعم من حبه والأنس به ، والشوق إلى لقائه ، والخلوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة ، والنعيم الذي يحصل له بذلك أثمن من كل نعيم ، واللذة التي تناهه أعلى من كل لذة ... ».

فالقلب لا يفلح ، ولا يصلح ، ولا يتم ، ولا ينتهي ، ولا يطعن ، ولا يسكن ، إلا بعبادة ربِّه وحده ، والإنابة إليه . ولو حصل له جميع ما ينشد به من الخلوقات لم يطمأن إليها ، ولم يسكن إليها ، بل لا تريده إلا غاية وقلقاً ، حتى يظفر بما خلق له ، وهبَّ له : من كون الله وحده نهاية مراده ، وغاية مطالبه . فإن فيه فرحاً ذاتياً إلى ربِّه وإلهه ، من حيث هو معبوده ومحبوبه ، وإلهه ومطلوبه ، كما أن فيه فرحاً ذاتياً إليه من حيث هو ربه وخالقه ورازقه ومديره . وكلما نمكتت عببة الله من القلب وقويت فيه أخرجت منه تأله لما سواه وصعيديته له^(٢) .

وحيثما يخلص الإنسان في حبه لله ، يصبح هذا الحب هو القوة الدافعة الموجهة له في حياته ، وتختفي كل أنواع الحب الأخرى لهذا الحب الإلهي ، ويصبح إنساناً يغوص بالحب للناس والحيوان وجميع خلوقات الله والكون بأسره ، فهو يحبها الله ، إذ يرى في كل الموجودات من حوله آثار ربه الذي تشهده إليه أشواكه الروحية ، وتعلمهاته الفليلية^(٣) .

(١) نحمد بن نعيم : العربية ، ط ٦ ، بيروت : تللكتب الإسلامي ، ١٩٨٣ ، ص ١٠٨ .

(٢) ابن قيم الجوزية : إغاثة الهناء من مصائد الشيطان ، تحقيق محمد حامد الفق ، بيروت : دار المرفأ ، ج ٢ ، د . ت ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٣) يتصدر علماء النفس المحدثون في دراستهم للحب حل حب الذات ، والحب المحبسي ، والحب الأسري ، ولكنهم لا يصرخون لحب الإنسان الله ، وجهه للأحياء والرسل ، وجهه للممثل الإنسانية .

حب الرسول :

ويأتي بعد حب الله تعالى في ذرورة السو والتفاء والروحانية حب الرسول -
صل الله عليه وسلم - الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين ، ليديهم ويزكيهم ،
ويعلمهم الكتاب والحكمة ، والذي اصطفاه الله تعالى ليكون خاتم النبین ،
ورسوله للناس كافة ، وأنزل عليه القرآن الكريم كتاب الله الخالد المصدق لما
سبق من الكتب السماوية والمهيمن عليها . ولقد كان الرسول صلوات الله عليه
سلامه المثل الكامل للإنسان في أخلاقه وسلوكه وفيما تخل به من محسن الصفات
والخصائص ، وما أدل على ذلك من وصف القرآن له بأنه على خلق عظيم .

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)

والمؤمن الصادق الإيمان يحمل كل الحب للرسول صلوات الله عليه وسلامه
الذي تحمل مشاق الدعوة ، ومجاهد جهاد الأبطال حتى نشر الإسلام في ربوع
العالم ، ونقل الإنسانية من ظلمات الفسالة إلى نور الهدایة . وقد أوصانا القرآن
بحب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقرن حبه بحب الله في الآية الرابعة والعشرين من
سورة التوبة التي ذكرناها سابقاً أثناء كلامنا عن حب الله .

والمؤمن الصادق الإيمان يتخد من الرسول عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى
الذي يقتدي به في أخلاقه ، ويحلو حلوه في سلوكه ، ويهدى بسيرته العطرة .

﴿وَلَقَدْ كَانَ أَكْثَرُ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشَوَّهَ حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآتِيرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢)

« العليا كالعدل والصدق الخ ، بالرغم من أن هذه الأنواع من الحب هي من أرقى أنواع الحب الإنساني ،
ويبها وحلها يميز الإنسان عن الحيوان .

(١) القلم : ٤ .

(٢) الأحزاب : ٧١ .

الفرح

يشعر الإنسان بانفعال الفرح أو السرور إذا نال ما تمناه ، وحصل ما يحب أن يحصل عليه من مال ، أو نفوذ ، أو نجاح ، أو علم ، أو إيمان وقوى . فالفرح أمر نسيبي يتوقف على أهداف الإنسان في الحياة . فنـ كان هدفه في الحياة جمع المال ، والحصول على القوة والتقوى وغير ذلك من متع الحياة الدنيا ، كان نجاحه في تحقيق هذه الأهداف باعثاً على فرجه وسروره . ومن كان هدفه في حياته التمسك بالإيمان والتقوى والعمل الصالح لكي يحصل على السعادة في الحياة الآخرة ، كان ذلك مصدر أمنه وطمأنيته وسروره . وقد ذكر القرآن هذين النوعين من الفرح ، فذكر فرح الكفار بمتاع الحياة الدنيا .

«... وَفَرَحُوا بِالْمُتْكَبَرَةِ الَّتِي وَمَا حَلَّتْهُ الَّتِي فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعَهُ»^(١)

وذكر القرآن أيضاً فرح المؤمنين بما أنزل إليهم من آيات القرآن الذي يهدفهم إلى الحق ، والذي فيه شفاء لهم وهدى ورحمة .

«إِنَّمَا النَّاسُ قَدْ جَاءُوكُم مَّوْعِظَةً مِّن رَّبِّكُمْ وَشَفَاءً لِّمَا فِي الصُّدُورِ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ قُلْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَبَّهُ فَإِذَا لَكَ فَلَا يَقْرَبُوهُ
خَيْرٌ مَا يَجْمِعُونَ»^(٢)

ومن كان متع الحياة الدنيا هو مصدر فرجه وسروره ، وهو شأن معظم الناس ، فإنه لا ينعم في الواقع بالحياة السعيدة المطمئنة المستقرة . وذلك لأنه إذا ما أنعم الله عليه بنعمة الصحة وسعة الرزق ووفرة المال شعر بالفرح والسعادة ، وشغله متع الدنيا ونسمتها عن ذكر الله تعالى وشكوه . وإذا ما أصابهه ضرر أو بلاء ، وقد بعض النعم التي كان يتمتع بها ، تملكه اليأس ، وجحد النعم

(١) الرعد : ٧٦ .

(٢) يونس : ٥٧ ، ٥٨ .

الأخرى التي لا يزال ينعم بها . وعكنا يعيش مثل هذا الإنسان في اضطراب مستمر ، وفي تقلب دائم بين الشعور بالسعادة ، والشعور باليأس .

وَلَئِنْ أَذْفَنَا إِلَيْنَاهُ مُتَارِحَةً ثُمَّ تَرْعَثَهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَعْوُسٌ حَسَفُورٌ^(١)
وَلَئِنْ أَذْفَنَهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيَّفَاتُ عَنِّي إِنَّهُ
لَفَرِيقٌ فَخُورٌ^(٢)

أما من كان مصدر فرجه وصوروه هو تمسكه بالإيمان والتقوى والعمل الصالح واتباع منهج الله في حياته فهو يشعر في الواقع بالسعادة الحقيقة المستمرة الدائمة . ويصدق عليه قول الله تعالى :

هُوَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكْرِي أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنْخِيَّنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٣)

ويصف القرآن أيضاً السرور الذي يشعر به المؤمن يوم الحساب حينما ينجيه الله تعالى من شر ذلك اليوم ويدخله برحمته في جنة النعيم .

فَوَقَنْتُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَنْتُمْ لَهْرَهُ وَسَرُورَهُ^(٤)

الكره

والكره الفعال مضاد لفعال الحب ، هو عبارة عن شعور بعدم الاستحسان ، وعدم التقبل ، أو الشعور بالغلو والاشتراك ، وبرغبة في الابتعاد عن الموضوعات التي تثير هذا الشعور ، سواء كانت أشخاصاً أو أشياء أو أفكاراً .

(١) هود: ٩ . ١٠ .

(٢) التحل: ٩٦ .

(٣) الإنسان: ١١ .

وبالرغم من أن الحب هو أساس الحياة الزوجية ، إلا أنه قد يحدث أحياناً بين الزوجين من سوء التفاهم وكثرة المشاحنات والخلافات ما قد يؤدي إلى نشوء الكراهة بينهما . وقد أشار القرآن إلى ما قد يحدث أحياناً بين الأزواج من كراهة ، ودعانا إلى محاولة التغلب عليها حتى يمكن للحياة الزوجية أن تستمر .

**وَعَاشُرُوهُنْ بِالْعَرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنْ فَعَسَى أَنْ تَكْرِهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلُ
اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝^(١)**

وقد يكره الإنسان شخصاً آخر أو بعض الأشخاص الآخرين لاعتلاله معهم في الرأي ، أو بسبب الغيرة منهم لتفوقهم عليه في أمر من الأمور ، أو لما يسيرون له من إحباط ، أو لغير ذلك من الأسباب التي تبعث الكراهة في النفس . وقد كان الكفار والمنافقون يكرهون المؤمنين ويهددون عليهم ، إذا أصابهم شر فرحوا به ، وإذا نالوا خيراً سادهم ذلك .

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْهِدُوا أَيْطَانَهُنَّ مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُمْ خَبَارًا وَدُولَا مَا عَنْتُمْ
قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُحْكِمُ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَا لَكُمْ أَلْآيَاتِ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۝ هَذَا ثُمَّ أُولَئِكَ الْمُجْرِمُونَ لَا يُحِبُّونَكُمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالرِّكَابِ
كُلُّهُمْ وَهَذَا الْقَوْمُ كُلُّهُمْ أَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأَنْتِلَمَ مِنَ الْغَنِيَظِ قُلْ
مُؤْمِنُوا بِغَيْرِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ إِنْ تَمْسَكُ حَسَنَةً سُوءَهُ
وَإِنْ تُصْبِكُ سَيِّئَةً يَغْرِيَهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَسْتَقِرُوا لَا يَضُرُّكُمْ مَا كَبَدُوكُمْ شَيْئاً
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُونَ ۝^(٢)**

والإنسان يحب ذاته ، ويحب الخير لنفسه ، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً أثناء كلامنا عن حب الذات . وهو يكره الموت وكل ما يؤديه ويزقه . ولذلك يكره الإنسان القتال لما فيه من احتمال الموت أو إلحاق الأذى بالنفس . وقد

(١) النساء : ١٩ .

(٢) آل عمران : ١١٨ - ١٢٠ .

وصف القرآن كره الإنسان للقتال في قوله تعالى :

«كُبَيْرَ عَلَيْكُمُ الْقَتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ »^(١)

وإن إقدام الإنسان على التضحية بنفسه في سبيل عقيدته يقتضي أن تكون قوة العقيدة قد بلغت لديه درجة عالية جداً بحيث أصبحت أكثر قيمة لديه من ذاته ، وأشد قوة من حبه لذاته . وللهذا السبب كان المؤمنون يسارعون إلى الاستشهاد في سبيل الله ، بينما كره المنافقون الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم أن ينفقوا أموالهم أو أن يضحيوا بأنفسهم في الجihad في سبيل الله ، وأنروا التخلف عن الخروج للجهاد مع رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، كما أخلوا بشطون غيرهم ويغرونهم بعدم الخروج للجهاد في الحر الشديد .

«فِرَحَ الْمُقْلَفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُخْبِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفَسُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَاتَلُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرَّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُ حَرَّا
لَوْ كَانُوا يَنْفَهُونَ »^(٢)

«... وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ »^(٣)

ويؤثر الإيمان أيضاً في نفس المؤمن فيدفعه إلى التخلص من الكراهة لأخوانه المؤمنين . وأشار القرآن بالمؤمنين الذين جاموا بعد الأنصار والمهاجرين للداعمين الله أن يغفر ذنوب المؤمنين الذين سبقوهم ، وألا يجعل في قلوبهم كراهة وخذلانا للذين آمنوا .

«وَالَّذِينَ جَاءُوكُم مِّنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتَرِنَا وَلَا خَوْنَنَا الَّذِينَ سَبَّقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غُلَالَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بَرَبِّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ »^(٤)

(١) البقرة : ٢١٦ .

(٢) التوبه : ٥٤ .

(٣) التوبه : ٨١ .

(٤) الحشر : ١٠ .

الغيرة

الغيرة الفعال مكثّر بغيره يشعر به الإنسان عادة إذا شعر أن الشخص المحبوب يوجه انتباذه أو حبه إلى شخص آخر غيره . ومن أنواع الغيرة الشائعة ما يحدث بين الإخوة إذا ما شعر أحدهم أن والديه أو أحدهما يحب أحد إخوه أكثر منه . وقد وصف القرآن الغيرة بين الإخوة فيما رواه عن غيرة إخوة يوسف عليه السلام منه بسبب حب أبيهم يعقوب عليه السلام له ولأخيه الأصغر وتفضيله لهما عليهما .

إِذْ قَاتَلُوا يُوسُفَ وَلَمْ يَعُوْهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ أَبِيهِمَا وَلَمْ يَنْعِمْ عَصْبَةُ إِنَّ أَبَانَا لَنِي
خَلَقْنِي مُؤْنِي ① أَفَتَلُوا يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَحْمِلُ لَكْرَوْجَةَ أَبِيكَ
وَنَكْوُونَوْا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا مَلِكِينَ ②

وانفعال الغيرة الفعال مركب توجّد فيه عناصر من عدة انفعالات أخرى وخاصة انفعال الكره . ولذلك فغالباً ما تكون الغيرة مصحوبة بالكره والحسد والرغبة في إيداه الشخص الذي يثير الغيرة . وقد وصف القرآن ذلك أيضاً فيما ذكره عن رغبة إخوة يوسف في قتلها والتخلص منه ، وفيما قاموا به فعلاً من إلقائه في غور البئر .

الحسد

الحسد نوعان ، أحدهما مدموم شرعاً ، وهو كراهة رؤية النعمة على الغير مطلقاً ، وتحني زوالها عنه . والنوع الثاني ، وهو ما يعرف بالغبطة ، وفيه يتمتع الإنسان أن يكون لديه مثل النعمة التي لدى الغير دون تحني زوالها عنه ③ . وهذا النوع الثاني من الحسد ، أو الغبطة ، ليس مدموماً مطلقاً ، وبخاصة إذا كانت النعمة التي يتمتع بها الإنسان الحصول

(١) يوسف : ٩ - ٨ .

(٢) أحمد بن تيمية : مجموعة الفتاوى . - ج ١٠ . - علم السلوك . بشرف الرياسة العامة للشئون الدينية الشرفية ، السعودية (د . ش) . - ص ١١١ .

عليها محمودة شرعاً ، كأن يتنفس ، مثلاً ، أن يكون حافظاً للقرآن مثل غيره من حفاظ القرآن ، أو أن يكون لديه مال كثير ليتفقه في سيل الله مثل شخص آخر ثري يتفق ماله في سيل الله . وفي هذا المعنى قال الرسول صل الله عليه وسلم .

« لا حسد إلا في التين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو يتتفقه آناء الليل وآناء النهار »^(١) .

وقد وصف القرآن النوع الأول من الحسد حينها خرج قارون في زيته على قومه فحسده بعض الناس وتبينوا أن يكون لهم مثل ما لقارون من أموال وذهب .

« فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ بُرِيدُونَ الْحَيْزَةَ الَّذِينَ يَكْبَتُ
لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِقَ قَرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَسْدٍ عَظِيمٌ »^(٢)

وقد أشار القرآن أيضاً إلى هذا الحسد المدسوون حينها وصف حسد اليهود والمرشken للنبي عليه الصلاة والسلام على ما خصه الله به من فضل النبوة ، وحسدهم للمؤمنين على ما خصهم الله به من فضل الإيمان والمداية .

« مَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَتَرِ
مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَحْتَصِرُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْقُبْلَاتِ الْعَظِيمُ »^(٣)

« أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا يَأْتِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ هَبَطَتْ نَعْلَمْ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَهَا تَبَيَّنُهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا »^(٤)

« وَدَكَبِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْرِدُونُكُمْ مِنْ بَعْدِ إِعْنَكِ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ
أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ
اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَقَدِيرٌ »^(٥)

(١) أخرجه الشیخان عن ابن عمر .

(٢) الفصلن : ٧٩ .

(٣) البقرة : ١٠٩ .

(٤) الشاء : ٥٤ .

(٥) البقرة : ١٠٥ .

وقد يحدث الحسد بين الإخوة . فقد يحسد الأخ أخاه على ما فضله الله عليه من مواهب مختلفة . ولذلك كان تحذير يعقوب ليوسف عليهما السلام من أن يقص رؤياه على إخوهه خوفاً من حدهم له . مما قد يدفعهم إلى إيذائه .

**«فَالْيَتُّبُعُ لَا تَفْصِصُ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْرَجِكَ فَبِكِيدُواكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ
لِلْإِنْسَنِ عَذَّابٌ مُّبِينٌ»**^(١)

وإن أول حسد حدث في الأرض هو حسد قايل لأنبيه هابيل حينما تقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل قربان قايل ، مما دفعه إلى قتل أخيه .

**«وَأَتَئُلُ عَلَيْمِ نَبِأً أَبْنَى، أَدَمَ إِلَحْقَ إِذْ قَرَبَنَا قُرْبَانًا فَخَفِيَّ مِنْ أَهْدِهِمَا وَلَرَ
يُتَقْبَلُ مِنْ الْأَكْنَرِ قَالَ لَا تَقْتُلْنِكَ قَالَ إِنَّمَا يُتَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»**^(٢)

والحسد ، مثل الغيرة ، يثير الحقد والكراءة ويدفع إلى تمني وقوع الأذى للشخص المحسود . وقد يدفع إلى العداوة والحقاق الأذى بالشخص المحسود . فقد قتل قايل أخيه هابيل ، وقام إخوه يوسف عليه السلام يلقائه في غور البتر ^(٣) . ولما كان الحسد يؤدي إلى كراهة وعدوان وأذى فقد طلب متأله تعالى ألا تستعبد من شر العاصدين .

«... وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ»^(٤)

الحزن

الحزن انفعال مضاد للفرح والسرور ، وهو يحدث إذا فقد الإنسان شخصاً عزيزاً ، أو شيئاً ذات قيمة كبيرة ، أو إذا حلته به كارثة ما ، أو فشل في تحقيق

(١) يوسف : ٥ .

(٢) المائدة : ٢٢ .

(٣) وقد كان حسد أبلبيس لأدم عليه السلام وخطنه عليه سبيلاً في إخراجه من الجنة .

(٤) الفتن : ٥ .

أمر هام . ويشعر الآباء والأمهات عادة بالحزن إذا ما غاب أبناؤهم عنهم ، أو إذا ما لحق بهم أذى أو أصابهم مكروه . وقد أشار القرآن إلى حزن أم موسى عليه السلام حينما ابتعد عنها ابنها بعد أن وضعته في صندوق وألقت به في النهر وقدف به الموج بعيداً عنها .

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْ أُمِّهِ كَيْ تَقْرَءَ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ...﴾^(١)

﴿.. فَرَجَعْنَاهُ إِلَيْ أُمِّكَ كَيْ تَقْرَءَ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ...﴾^(٢)

ووصف القرآن حزن يعقوب من فقد ابنته يوسف عليهما السلام .

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَسَاءَلُ عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحَزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٣﴾ قَالُوا نَاهِلُكَ ثَقْوَانِدَكُمْ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْمَلِكِينَ ﴿٤﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُرُ بَنِي وَحْزِنٌ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)

ووصف القرآن أيضاً حالة الحزن التي أصابت المؤمنين الفقراء الذين جامعوا إلى الرسول عليه صلوات الله وسلامه يطلبون الخروج معه للجهاد ، ولكن الرسول عليه صلوات الله وسلامه قال لهم إنه لا يجد ما يحملهم عليه فتولوا عنه فيكون من الحزن .

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِنَعْهِلُهُمْ قُلْتَ لَا أَبْجُدُ مَا أَخْلُكُ كُلَّهُ تَوَلَّا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيسُ مِنَ الدَّمْعِ حَرَزاً أَلَا يَحْدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾^(٤)

(١) القصص : ١٣ .

(٢) طه : ٤١ .

(٣) يوسف : ٨٦-٨٤ .

(٤) التوبية : ٩٢ .

وذكر القرآن أيضاً شعور الحزن الذي ألم بآبي بكر رضي الله عنه حينما كان مع الرسول عليه صلوات الله وسلامه في الغار ، وكان الكفار يطاردونها للفتك بها .

﴿... إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِيهِ، لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾^(١)

وكان النبي صلوات الله عليه وسلامه يشعر بالحزن حينما يرى كفار مكة لا يستجيبون لدعونه بالإيمان بالله ، وبما أنزل عليه من القرآن .

﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِئِلُونَ فِي الْكُفَّارِ إِنَّمَا لَنْ يَضْرُبُوا اللَّهَ شَيْئاً فَإِنَّ اللَّهَ أَلَا يَجْعَلْ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَمَّا هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفَّارُهُ إِلَيْنَا مُرْجِعُهُمْ فَنَتَّبِعُهُمْ إِنَّمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ الْمُصْدُور﴾^(٣)

وكان يحزن صلوات الله عليه وسلامه حينما يسمع ما يقول الكافرون في الله تعالى ، وحينما يسمع تكذيبهم له .

﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْمٌ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرِئِلُونَ وَمَا يُعْلِمُونَ﴾^(٤)

﴿فَقَدْ تَعْلَمَ إِلَهُ لَيَحْزُنْكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَلَأُنَاهُمْ لَا يُكَذِّبُوكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يُغَايِثُونَ اللَّهُ يَعْلَمُ حَدَادِونَ﴾^(٥)

(١) التوبه : ٤٠ .

(٢) آل عمران : ١٧٦ .

(٣)لقمان : ٢٣ .

(٤) يس : ٧٦ .

(٥) الانعام : ٣٣ .

ويذكر القرآن في كثيير من الآيات الحزن مفروناً مع الخوف ، مما يشير إلى أنها انفعالان مكثران ، إذا ما ألاك بالإنسان فإنها يعكران صفو حياته . كما تشير هذه الآيات أيضاً إلى أن في الإيمان بالله وتقواه والعمل الصالح وقاية من الخوف والحزن وعلاج لهما . ومن أمثلة هذه الآيات :

«فَلَمَّا هَبَطُوا مِنْهَا جَهَنَّمَ يَأْتِيهِمْ مِنْ هَذِهِ قَنْ تَبَعَ هَذَا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْرُقُونَ »^(١)

«يَدْبَغُهُمْ هَادِمٌ إِنَّمَا يَأْتِيهِمْ رَسُولٌ مُنَذِّرٌ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ آيَاتٍ فَإِنْ آتَيْتُمْ وَآتَلَحْتُمْ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْرُقُونَ »^(٢)

«وَمَا نُرِسِّلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِّرِينَ قَنْ هَامَ وَآتَلَحَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْرُقُونَ »^(٣)

«بَلْ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَمَّا أَبْرُرْتُهُ عِنْ دُرْبِهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَخْرُقُونَ »^(٤)

الندم

الندم حالة انفعالية تنشأ عن شعور الإنسان بالذنب ، وأسفه على ارتكابه ، ولومه لنفسه على ما فعل ، وتمنيه لو أنه لم يفعل ذلك .
ولوم الإنسان لنفسه ، وندمه على ما فعل من العوامل الهامة في تقويم شخصية

(١) البقرة : ٣٨ .

(٢) الأعراف : ٣٥ .

(٣) الأنسام : ٤٨ .

(٤) البقرة : ١١٢ .

الإنسان ، ودفعه إلى تحجب الأفعال المشينة وارتكاب الذنب التي تسبب له الندم ولو لم يشعر . ولذلك فقد أقسم الله تعالى بالنفس اللوامة تقديرًا لأهميتها في توجيه سلوك الإنسان إلى الابتعاد عن المعاصي التي تسبب له التلوم والندم .

«لَا أَقِيمُ بَيْنَ أَقْبَسَةٍ وَلَا أَقِيمُ يَأْتِقِسَ الْلَّوَامَةَ»⁽¹⁾

وتقابل النفس اللوامة ما نسميه الضمير ، وما يسميه فرويد والمحظون النفسيون «بالأنا الأعلى» أو «الأنـا المثالي» ، وهو الجزء من النفس الذي يحاسب الإنسان على أفعاله ، ويؤنبه على خطئه ، ويجعله يشعر بالنـدم على ما ارتكبه من ذنوب .

وأول نـدم شـعر به الإـنسـان ما حدـث لأـبـوـينـا آـدـمـ وـحـواـءـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ وـهـماـ فـيـ الجـنـةـ وـقـبـلـ هـبـوـطـهـمـ إـلـىـ الـأـرـضـ .ـ قـدـ عـصـيـاـ أـمـ رـبـهـمـ وـأـكـلاـ مـنـ الشـجـرـةـ الـتـيـ نـهـاـهـاـ عـنـ الـاقـرـابـ مـنـهـاـ ،ـ وـظـهـرـتـ سـوـعـاتـهـمـ ،ـ فـشـرـاـ بـالـنـدـمـ وـتـسـوـجـهـاـ إـلـىـ اللهـ تـعـالـىـ بـطـلـيـانـ مـنـ الـغـفـرـةـ وـالـتـوـرـةـ .ـ

**«وَيَقَادَمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا
هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَكُنُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ◻ فَوَسَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُتَدِّيَ لَهُمَا
مَأْوَى رَوِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَّهِنَمَا وَقَالَ مَا نَهَنَنَّ كَارِبَيْكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ
تَكُونَا مَلَكَتِنِي أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَلَدِينَ ◻ وَقَاتَهُمَا إِلَى لَكَأَ لَعْنَ
الشَّيْصِينَ ◻ فَدَلَّلَهُمَا بِغُرُورِ فَلَمَّا دَأَتِ الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سُوَّهِنَمَا
وَمَلِفَقَا يَحْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلْرَأَيْكُمَا عَنْ
تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقْلَلَ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ◻ فَلَا رَبَّنَا
ظَلَّمَنَا أَنْفَسَنَا وَإِنَّ رَّتْقَنَا وَرَسْحَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْسِرِينَ»⁽²⁾**

(1) القيمة : ٢١.

(2) الأعراف : ١٩ - ٢٣.

ونافي ندم شعر به الإنسان بعد ذلك حدث عندما قتل قابيل أخيه هابيل ،
ثم ندم بعد ذلك على قتله ^(١)

«فَطَوَعْتُ لَهُ نَفْسِهِ قَتَلَ أَخِيهِ فَقَاتَلَهُ فَأَمْضَيَّعَ مِنَ الظَّاهِرِينَ ۝ فَبَعَثَ اللَّهُ
غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيهِ كَيْفَ يُؤْكِدُ سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَشْوِيلَقُ أَبْجَزَتُ
أَنَّ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأَوْكَدَ سَوْءَةَ أَخِيهِ فَأَمْضَيَّعَ مِنَ الظَّاهِرِينَ » ^(٢)
ويصف القرآن ما سيحدث يوم القيمة من ندم بعض الكفار لعدم إيمانهم
ب الله ، وعدم تصديقهم لرسوله صلوات الله عليه وسلم .

«وَيَوْمَ يَعْلَمُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدِهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَحْدَثُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝
يَشْوِيلَقُ لَيَتَنِي لَرَأَيْتَنِي فَلَمَّا خَلِيلًا » ^(٣)

النفعات أخرى

وأشار القرآن أيضاً إلى بعض الانفعات الأخرى غير التي ذكرناها مثل :
الحياء ، والحزى ، والزهر أو الكبير .

الحياة انفعال مركب فيه عناصر من المخجل والخوف ، وهو يعتري الإنسان
إذا عاشر أن يرى الناس فيه ما يمكن أن يعاب أو يذم . وهو من النعمات الإنسانية
المحمدة ، لأنّه يدفع الإنسان إلى تجنب الأنفعال القبيحة المعيبة ^(٤) . وقد أشار القرآن
إلى انفعال الحياة أثناء ذكره لقصة هرب موسى عليه السلام من فرعون ، والتتجاهه
إلى أرض مدين ، وستقااته لفتاتين كانتا واقفتين بجانب البشر . وعادت إحدى

(١) عمود شليس : حياة آدم ، ط ٢ . بيروت : دار الجليل (د . ت) ص ١٠١ .

(٢) المائدة : ٣٠ ، ٣١ .

(٣) الفرقان : ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) يقول ابن تيمية : «الحياة مشتبه من الحياة ، فإن القلب الخشن يكون صاحبه حسناً في حياته يمتنعه عن القبائح .
فإن حياة القلب هي المائنة من القبائح التي تفسد القلب . وهذا قال النبي الله عليه وسلم : (الحياة من
الإيان) ابن تيمية ، مجموعة الفتاوى ، ج ١١ ، حلم السلوك ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

هاتين الفتانين إليه بعد ذلك تمشي إليه في استحياء ودعته إلى مقابلة أبيها ليأجر على سقايتها لها .

**«فَبِمَا هُنَّا مُنْتَهٰى عَلَى أَنْتِ حِيَا وَقَالَتْ إِنِّي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَهْرَاماً
سَقَيْتَ لَنَا...»^(١)**

والخزي هو الخجل المصحوب بالشعور بالمهانة والذلة والفضيحة والعار وقد وردت في القرآن كثير من الآيات التي تصف حالة الخزي التي يشعر بها المشركون والمافقون في الدنيا والآخرة .

**«وَمِنَ الظَّمِيرَةِ مِنْ مَنْ مَسَيْدَدَ اللَّهُ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَنْتَهُ وَسَعَى فِي نَعَرَاهَا أَوْ كَثَرَكَ
مَا كَانَ لَمْمَ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَاتِمَنِ لَمْمَ فِي الدُّنْيَا بِرَزْيٍ وَلَمْمَ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ»^(٢)**

**«إِنَّمَا يَرَوُونَ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَرَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادُوا أَنْ يُقْتَلُوْا
أَوْ يُصْلَبُوْا أَوْ تُقْطَلَوْهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْقَوَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَمْمَ
بِرَزْيٍ فِي الدُّنْيَا وَلَمْمَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ»^(٣)**

**«فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَّارًا فِي أَيَّامِ الْحِسَابِ لِتُذَاقُهُمْ عَذَابَ الْخَزْيِ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَنْزَى وَلَمْمَ لَا يُنْصَرُونَ»^(٤)**

وال فهو حالة افعالية معقدة تلاحظها بين بعض الناس ، وهي الإعجاب بالنفس والغرور والتماطم والكبرياء . وقد يصبح الزهو عند بعض الناس سمة سلوكية تميز بها شخصياتهم . وقد ذكر القرآن الزهو والكبر والتغالي على الناس .

(١) القسم : ٢٥ .
(٢) المائة : ٣٣ .
(٣) فصل : ١٦ .
(٤) البقرة : ١١٤ .

وَلَا تُمْسِكُ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تُخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجَبَالَ طُولًا^(١)

وَلَا تُصْرِفْ خَدْكَ لِلنَّاسِ وَلَا تُمْسِكُ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
مُخْتَالٍ نَّفُورٍ^(٢)

والإعجاب بالنفس يؤدي إلى التهاون والتعالي على الناس ومعاملتهم في تحفيز واستكبار . وقد ذُمَ القرآن في كثير من الآيات استكبار المشركين والمنافقين وعنادهم في قبول الحق تكبراً . ومن أمثلة هذه الآيات :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْرَا رَمَادُ وَسَهْمٌ وَرَأْيَهُمْ
يَصْدُونَ وَهُمْ مُسْتَكِبِرُونَ^(٣)

وَيَلْ تَكُلُّ أَفَالِكَ أَبِيسِ^(٤) يَسْمَعُ كَانِتِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ يَصْرُ مُسْتَكِبِرًا
كَانَ لَرْ يَسْمَعُهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابِ أَبِيسِ^(٥)

ويعطينا القرآن في قصة فرعون نموذجاً من الشخصيات المنطرقة في الزهو والتعالي والاستكبار .

فَحَسْرَ فَنَادَى^(٦) فَقَالَ أَنَّارَ شُكُّ الأَعْنَى^(٧)

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَكَانُهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ..^(٨)

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَسْقُومُ الْيَسَ لِي مُكْ بِمَصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَرُ نَجْرِي

(١) الإسراء : ٣٧ .

(٢) النهان : ١٨ . لا تصغر خدك للناس أي لا أقل خدك للناس تكبراً .

(٣) المطافرون : ٥ .

(٤) الجاثية : ٨ ، ٧ .

(٥) النازعات : ٢٣ ، ٢٤ .

(٦) القصص : ٣٨ .

مِنْ تَحْقِيقِ أَفْلَامٍ تُصْرُوْنَ ۚ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَسْكَدُ
بُرْبَرْنُ^(١)

التغيرات البدنية المصاحبة للانفعال

إذا انفعل الإنسان حدثت تغيرات فسيولوجية كثيرة في بدنـه ، كما حدثت تغيرات في هيئة بدنـه الخارجية ، وفي ملامع وجهـه . ومن بين هذه التغيرات الفسيولوجية التي تحدث أثناء الانفعال شدة دقات القلب ، وتقلص الأوعية الدموية في الأمعاء والأحشاء ، واتساع الأوعية الدموية على سطح البدن والأطراف مما يؤدي إلى تدفق كميات كبيرة من الدم إلى القلب . وامتلاء القلب بالدم بسبب ازديادـاً في حجمه مما يجعلـه يقترب من القصبة الهوائية ، حيث يوجد القلب من الوجهـة التشريحـية تحت تشعب القصبة الهوائية بما يقرب من سنتيمتر ونصف^(٢) . ومن جهة أخرى ، فإنـ الإنسان المنـفعل يشعر أن قلبه . من شدة خفقـانـه ، يصل إلى حنجرـته . وقد وصف القرآن ما يحدث في القلب أثناء الانفعال المزوف من خفقـانـ شـديد يـؤدي إلى كثرة تـدفقـ الدمـ إـلـيـهـ ماـ يـزيدـ منـ حـجـمهـ ويـجعلـهـ يـقتـربـ منـ القصـبةـ الهـوـائـيـةـ كـماـ يـؤـدـيـ إـلـىـ شـعـورـهـ باـقـرـابـ قـلـبـهـ مـنـ حـنـجـرـتـهـ .

﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقَكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَأَيْتُ الْأَبْصَرَ وَبَلَغَتِ
الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرَ وَتَطَشُّدَ يَاهِهُ الظُّنُونَ﴾ مُتَالِكَ أَبْشِلَ الْمُؤْمِنُونَ
وَزُرْزُلُوا زِلَّا شَدِيدًا^(٣)﴾

ويصف القرآن حالة الفزع التي تصيب الناس يوم القيمة .

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذَا الْقُلُوبُ لَدَى الْخَنَاجِرِ كَيْطَرِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
حَيْثُ وَلَا شَفِيعٌ يُكَانُ﴾^(٤)

(١) الزهرـفـ : ٥٢ ، ٥١ .

(٢) جمال ماضي أبو العزائم : القرآن وعلم النفس ، ندوة علم النفس والإسلام ، المجلد الأول . من مطبوعات كلية التربية بجامعة الرياض (حل الألة الكتابية) ، ١٩٧٨ م ، ص ٢١ .

(٣) الأحزاب : ١١ ، ١١ . تصف هذان الآياتان المزوف الذي انتاب المسلمين أثناء موقعة الخندق .

(٤) خالـرـ : ١٨ .

ومن التغيرات البدنية التي تصاحب الانفعال أيضاً تغير ملامح الوجه ، بحيث يستطيع الإنسان أن يلاحظ حالة الانفعال من التغيرات التي تحدث في ملامح وجه المفعول . وقد أشار القرآن إلى هذه الظاهرة في كثير من الآيات . ومن أمثلة ذلك :

« وَإِذَا نُشَرَّ عَلَيْهِمْ هَامَنَتْ بَيْنَتْ تَعْرُفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ

يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَلَوَّنَ عَلَيْهِمْ هَامَنَ .. »^(١)

« وَإِذَا يُشَرَّ أَهْدِهِمْ بِمَا ضَرَبَ لِرَحْمَنَ مَثَلًا طَلَقَ وَجْهُهُ مُسُودًا وَهُوَ

كَظِيمٌ »^(٢)

وفي القرآن آيات كثيرة تصف انفعالات الحزن والكآبة ، والسرور والسعادة التي يشعر بها الناس يوم القيمة ، وما يظهر على ملامح وجوههم من تعبيرات تعكس حالتهم الانفعالية . قال تعالى في وصف حالة الحزن والكآبة التي تنتاب الكافرين يوم القيمة لما يتظرون أن يلحق بهم من العذاب ، فتبعد وجوههم عابسة مسودة من الحزن والكآبة :

« وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجْهُهُمْ مُسُودٌ .. »^(٣)

« وَوُجُوهٌ يَوْمَئِيلٍ بَارِسَةٌ تَكُنُ أَنْ يُقْعَلَ إِلَيْهَا فَاقِرَةٌ »^(٤)

« وَوُجُوهٌ يَوْمَئِيلٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْفَعُهَا قَرْتَةٌ أَوْتَكِيدَهُمُ الْكُفَّارُ

الْفَجْرَةُ »^(٥)

(١) الحج : ٧٢ .

(٢) الزخرف : ١٧ .

(٣) الزمر : ٦٠ .

(٤) القيمة : ٢٤ ، ٢٥ . « باصرة » معناها كلامة شديدة العبرة . « يُقْعَلَ » يعني تحمل بما داعية تكسر فقرات الظهر .

(٥) هيس : ٤٠ - ٤٢ . « غبارة » : خبار ، « قرتة » : كلورة . والمعنى أن وجوههم يتشاءما سواد من الخزي والملة والهوان .

ويصف القرآن أيضاً حالة السرور والسعادة التي تظهر على وجوه المؤمنين يوم القيمة لما يتذمرون من نعيم ، فيبدون صاحبين مستبشرين .

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَفِرَةٌ﴾ ﴿صَاحِحَةٌ مُّسْتَبِشَرَةٌ﴾^(١)

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَكَيْ نَعِيمٌ﴾ ﴿عَلَى الْأَرَابِكِ يَنْظُرُونَ﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُورِهِمْ
نَعِيمٌ^(٢) ،

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ﴿لِسْعَانًا رَّاضِيَةٌ﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَّةٍ^(٣) ،

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٤) ،

ومن التغيرات البدنية التي تصاحب حالة الانفعال ، وخاصة انفعال الخوف اتساع حملة العين .

﴿وَلَا تَحْسِنَ اللَّهُ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَزِّرُهُمْ لِيَوْمٍ لَّتَخَافُ
فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ مُهْتَمِمِينَ مُقْبِيِينَ رُهُوسِينَ لَا يَرْدِدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَغْلَقُتُهُمْ
هَوَاءً^(٥) ،

﴿وَاقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَلَمَّا هِيَ شَيْخَةٌ أَبْصَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْوِي لَكُنَّا قَدْ
كَثَافَ عَنْهُمْ مِّنْ هَذَا بَلْ كُلُّ ظَالِمٍ﴾^(٦) ،

وقوله تعالى «تشخيص فيه الأ بصار» ولا يرتد إليهم طرفهم ، وصف دقيق

(١) عبس : ٣٨ ، ٣٩ . سورة : مظينة مشرقة .

(٢) المطففين : ٢٢ - ٢٤ .

(٣) النافعية : ٨ - ١٠ .

(٤) القيمة : ٢٢ ، ٢٣ .

(٥) إبراهيم : ٤٢ ، ٤٣ .

(٦) الأنبياء : ٤٧ .

لما يحدث أثناء انفعال الخوف من اتساع حدقه العين ، وشدة التحديق بها ، وعدم غمضها لشدة الفزع من هول ما ترى .

وتغير أثناء الانفعال هيئة البدن كله على وجه عام . في حالة السرور ، والفرح ، مثلاً ، يبدو الإنسان نشيطاً ، متتصب القامة ، مرتفع الرأس ، متسع الصدر . وفي حالة المخزي والشعور بالذنب والندم ، يبدو الإنسان ذليلاً ، مطاطي الرأس ، منكمش الجسم كأنما يريد أن يتوارى عن الأنظار . ونجد في القرآن وصفاً لهذه التغيرات في هيئة البدن التي تصاحب الانفعال .

**﴿أَلَوْرَأَيْدِيَ الْمُجْرِمُونَ نَا كُسُّارٌ وَسِيمٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبِّنَا أَبْصَرَهُمْ وَيَعْنَانَ فَلَرْجَنَتَا
نَعْلَ صَالِيْمَا إِنَّا مُؤْفِنُونَ﴾^(١)**

﴿وَرَبِّهِمْ يُعَرَضُونَ عَلَيْهِمْ خَيْشِعَنَ مِنَ الَّذِي يَنْظُرُونَ مِنْ طَرِيفِ خَيْرِي..﴾^(٢)

﴿خَيْشِعَةُ أَبْصَرُهُمْ رَهْقَهُمْ فَلَهُ..﴾^(٣)

ومن التغيرات البدنية التي تحدث أثناء انفعال الخوف أيضاً انتصاب شعر الرأس وجميع الشعر على سطح الجلد . يظهر ذلك واضحاً عند بعض الحيوانات كالقطط التي يلاحظ فيها انتصاب شعرها في حالة انفعال الخوف . ويحدث مثل ذلك أيضاً عند الإنسان ولكن في صورة أقل وضوحاً مما نراه لدى الحيوانات . وانتصاب الشعر الموجود على سطح جلدنا أثناء انفعال الخوف هو ما يجعلنا نحس بنوع من القشعريرة أثناء انفعال الخوف . وقد ذكر القرآن هذا الشعور بالقشعريرة المصاحب لانفعال الخوف .

**﴿أَللَّهُ تَرَّلَ أَخْسَنَ الْحَدِيثَ كَتَبَنَا مُتَنَبِّهً مَنَّا نَقْشِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ
يَمْكُشُونَ رَبِّهِمْ فَمَمْ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهُ يَهْدِي
﴾**

(١) السجدة : ١٢ .

(٢) الشورى : ٤٥ .

(٣) القلم : ٤٣ .

يَوْمَ مَنْ يَكْلُمُ اللَّهَ فَقَاتَهُ مِنْ هَادِ^(١)

وقوله تعالى : « ثُمَّ ثَلَاثُ جَلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ » إشارة إلى حالة الاسترخاء والاطمئنان اللتين يحدثنها في النفس ذكر الله والتوجه إليه بالعبادة والسبيع .

وقد يعبر الإنسان أيضاً عن انفعالاته بحركات يديه ، وقد ذكر القرآن ما يقوم به الإنسان في حالة التدم من تقلب كفيه .

« وَأَحِيطَ بِهِرَبِّهِ، فَأَصْبَحَ يُقْلِبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَلِيلَهُ عَلَى عُرْوَتِهَا وَيَقُولُ يَلْتَيْتَنِي لَمْ أُفِرِّكْ رِبِّيْتَ أَحَدًا^(٢) »

وقد يضع الإنسان يده في فمه ليعبر عن استغرابه وامتنكاره . قال تعالى : « أَلَّا يَأْكُلُنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَرْمَنْسُوجٌ وَعَادٌ وَمُهُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاهَةٌ تَهْمَمُ رَسُولَهُمْ وَالْجَنَّاتُ فَرَدَوا أَيْدِيهِمْ فَنَأْفَوْهُمْ وَقَالُوا إِنَّا كَسْفَرْنَا مَا أَرْسَلْتُ بِهِ وَإِنَّا لَنِي شَكَرْتُمْ مَا نَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ^(٣) »

ويحدث أيضاً أثناء الانفعال أن تتعطل عملية التفكير ، فلا يستطيع الإنسان أن يفكر فيها بجانبه من مشكلات تفكيراً سليماً كما يحدث حادة في الأوقات التي لا يكون فيها متضلاً . وقد أشار القرآن إلى تعطيل عملية التفكير أثناء الانفعال في الآية رقم ٤٣ من سورة إبراهيم التي ذكرناها سابقاً والتي فيها يقول الله تعالى :

« .. لَا يَرْتَدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْعَلُهُمْ هُوَ آءٍ^(٤) »

وتشير عبارة « وَأَنْدَثْتُمْ هُوَ آءٍ » إلى تعطيل عملية التفكير أثناء الخوف ، إذ تصبيع عقول الفظائع خالية من المقل والتفكير^(٥) .

(١) الزمر : ٤٣ .

(٢) الكهف : ٤٢ .

(٣) إبراهيم : ٩ .

(٤) إبراهيم : ٤٢ .

(٥) تفسير القرطبي ، جـ ٩ ، ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ ؛ تفسير الجلالين ، ص ٢١٥ .

السيطرة على الانفعالات

بالرغم من أن للانفعالات وظائف هامة في حياة الإنسان إذ أنها ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، تعبئه على حفظ ذاته وبقائه ، إلا أن الإسراف فيها يضر بصحة الإنسان البدنية والنفسية . فانفعال الخوف ، مثلاً ، مفيد للإنسان لأنه يدفعه إلى انتقام الأخطار التي تهدد حياته ، أما إذا أسرف الإنسان في خوفه فأصبح يخاف من أشياء كثيرة ليس فيها ما يهدده بالخطر حقيقي ، فإن الخوف يصبح في هذه الحالة مضرًا . ووجود مثل هذه المخاوف الكثيرة يغير في العادة دليلاً على اضطراب الشخصية . وقد بينت الدراسات الحديثة في الطب النفسي (السيكوسوماتي) أن اضطراب الناحية الانفعالية عند الإنسان من الأسباب الهامة في نشوء كثير من أعراض الأمراض البدنية . وأشارت بعض الإحصائيات أن نسبة كبيرة من المرضى الذين يتذمرون حادة على عيادات الأطباء إنما هم يشكون أساساً من اضطرابات الفعالية ناشئة عن مشكلاتهم النفسية ، وأن ما يحتاج إليه هؤلاء المرضى ليس علاجاً طبياً ، وإنما هم في الحقيقة في حاجة إلى علاج نفسي . وقد أصبح من المعروف الآن بين الأطباء أن أحسن ما ينصح به هؤلاء المرضى هو التخلص من القلق . وقد سبق القرآن العلوم الطبية والنفسية الحديثة في الاهتمام بتوجيه الناس إلى التحكم في انفعالاتهم والسيطرة عليها لما في ذلك من فوائد صحية كبيرة لم تعرف معرفة علمية دقيقة إلا في العصر الحديث .

السيطرة على الخوف من الموت :

حرص القرآن على أن يوجه الناس إلى عدم الخوف من الأمور التي من شأنها أن تثير الخوف في الناس عادة ، كالموت ، والفقير . ففيما يتعلق بالخوف من الموت فقد بين لنا القرآن أن الحياة الدنيا حياة فانية ، وأن نعيمها زائل ، وأن الحياة الآخرة هي الحياة الباقية ، وأن نعيمها خالد لا يزول ، وأن الموت ليس إلا مرحلة تنقلنا من هذه الحياة الفانية إلى الحياة الباقية الخالدة . ولذلك فإن المؤمن الصادق بالإيمان لا يخاف الموت ، لأنه يعلم أن الموت سيقتله إلى نعيم الحياة الخالدة الباقية التي وعد الله بها عباده المتقين .

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ لَعْبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَكَيْفَيَّاتُ الْحَيَاةِ لَمَّا كَانُوا
يَعْلَمُونَ »^(١)

« وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْبٌ وَلَكَسْرٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقَوْنَ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ »^(٢)

« يَقُولُونَ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتْلُوكٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفَرَارِ »^(٣)

وكان هذا الإيمان بالحياة الآخرة الباقية وما وعد الله تعالى المؤمنين بها من نعيم خالد من العوامل الهامة التي جعلت المسلمين الأوائل يقاتلون في سبيل الله في شجاعة وإقدام غير هابين الموت ، وكانوا يندفعون في جرأة بالغة بين صور الكفار وهم يتمسون الشهادة في سبيل الله والفوز بنعم الجنة .

« وَلَا تَحْسِنَ الدِّينَ تُؤْلَمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْ تَأْبَلَ أَسْبِكَاهُ عِنْدَ رَوْسِمَ بِرْ زَقْوَنَ
فَرِحْيَنَ يَسَّاً ءاَتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْخَدُوا رَوْسِمَ مِنْ
خَلْقِهِمْ إِلَّا خَرَفَ طَلَبُوهُمْ وَلَا هُمْ يَخْزُنُونَ »^(٤)

« وَلَئِنْ قُلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِنْ لَمْغَافِرَةِ مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةِ خَيْرِهِمَا يَجْمِعُونَ
وَلَئِنْ مُتُمْ أَوْ قُلْتُمْ لِأَلِي اللَّهِ تَمَسْرُونَ »^(٥)

« فَلَيُقْتَلُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَسْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِلَّا آخِرَةً وَمَنْ يُقْتَلُنَّ فِي سَبِيلِ
الَّهِ فَيُقْتَلُ أَوْ يَغْلِبَ فَسَوْفَ تُؤْتَهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا »^(٦)

(١) المذكوريت : ٦٤ .

(٢) الأنعام : ٢٢ .

(٣) خالق : ٣٩ .

(٤) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٥) آل عمران : ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٦) النساء : ٧٤ .

«إِنَّ اللَّهَ أَشَرُّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَأْتُ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْدِرُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَسْنًا فِي النَّورَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْقَنْ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِرُوا إِنَّمَا يَنْهَاكُ الدِّيَنِ بِأَيْمَانِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»^(١)

وكان المؤمنون الصادقو الإيمان يعلمون بيقين أن الموت حق ، وأنه لا مفر منه ، فكانوا يقبلونه كأمر واقعي محظوم بلا خوف أو جزع ، وكانتوا يعلمون أنه منها طالت أعمارهم في الحياة الدنيا فهي إلى زوال ، وأن الموت سيقلهم إلى حياة البقاء والخلود .

«كُلُّ نَفْسٍ ذَآهِنَةٌ إِلَيْهِ الْمَوْتُ وَإِنَّمَا تُوَفَّى إِلَيْهِ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَسْنَ رُزْحَةِ عَنِ النَّارِ وَأَدْنِيَ الْمَحَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا مَتَّعَ الْفَرُورِ»^(٢)

«كُلُّ نَفْسٍ ذَآهِنَةٌ إِلَيْهِ الْمَوْتُ وَتَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَأَنْتُمْ فِتَنَةٌ وَمَا إِلَيْنَا تُرْجَمُونَ»^(٣)

«كُلُّ نَفْسٍ ذَآهِنَةٌ إِلَيْهِ الْمَوْتُ فَمُمْ إِلَيْنَا تُرْجَمُونَ»^(٤)

«قُلْ لَئِنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا فَلَيْسَكُمْ»^(٥)

«أَيْمَانَكُمْ كُنُوكُوا يَدِرُكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسْتَدِّرَةٍ»^(٦)

(١) التوبية : ١١١ .

(٢) آل عمران : ١٨٥ .

(٣) الأيات : ٣٥ .

(٤) العنكبوت : ٥٧ .

(٥) الأحزاب : ١٦ .

(٦) النساء : ٧٨ .

ولقد كان عدم خوف المؤمنين من الموت ، وحرصهم الشديد على نيل الشهادة في الجهد في سبيل الله من أهم العوامل التي ساعدت على انتصارهم في حربهم وانتشار الإسلام السريع في العالم .

السيطرة على الخوف من الفقر :

وأوصانا القرآن أيضاً بعدم الخوف من الفقر ، فالرزق بيد الله سبحانه وتعالى ، وهو الرزاق ذو القوة المتن .

«إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّيْنُ»^(١)

«وَفِي السَّمَاوَاتِ رِزْقٌ كَثُرٌ وَمَا تُوعَدُونَ»^(٢)

«وَمَا مِنْ دَآئِرَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرِئَهَا وَمُسْتَوْدِعَهَا
كُلُّهُ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»^(٣)

«وَكَانُوا مِنْ دَآئِرَةٍ لَا يَحْتَلُّ رِزْقَهَا اللَّهُ يُرِزِّقُهَا وَلَا يَأْكُلُ وَمَوْالِيُّ الْعَلِيمُ»^(٤)

«اللَّهُ يَسْطِعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُهُ لَهُ وَإِنَّ اللَّهَ يَكْلُلُ شَفِيفَ الظَّالِمِينَ»^(٥)

«مَا يَقْتَصِعُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رُحْمَةٍ فَلَا تُمْسِكُ لَهَا وَمَا يَمْسِكُ فَلَا مُرْسَلٌ لَهُ مِنْ
بَعْدِهِ وَهُوَ أَعْزَزُ الْحَكَمِ»^(٦) يَكَاهِيَ النَّاسُ أَذْكُرُوا نَعْصَتَ اللَّهَ عَلَيْكُمْ هُنَّ
مِنْ خَلْقِي غَيْرُ اللَّهِ يُرِزِّقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ نَعْكُسُونَ»^(٧)

(١) الملاريات : ٥٨ .

(٢) الملاريات : ٢٢ .

(٣) هود : ٦ .

(٤) العنكبوت : ٦٠ .

(٥) العنكبوت : ٦٢ .

(٦) قاطر : ٢ ، ٤ .

السيطرة على الغضب :

وأوصانا القرآن أيضاً بالتحكم في افعال الغضب . فحينما يغضب الإنسان يتغطى تفكيره ، وي فقد قدرته على إصدار الأحكام الصحيحة . ويحدث أيضاً أثناء الغضب - وكذلك أثناء الخوف والانفعالات الأخرى بعامة كما أشرنا إلى ذلك من قبل - أن تفرز الغدة الكظرية هرمون الأدرينالين الذي يؤثر على الكبد و يجعله يفرز كمية أكبر من السكر مما يؤدي إلى زيادة الطاقة في الجسم و يجعله أقل عزلة بذل المجهود العضلي اللازم للدفاع عن النفس . وإن زيادة الطاقة في الجسم أثناء افعال الغضب يجعل الإنسان أكثر استعداداً وتهيئاً للاعتداء البدني على من يثير غضبه . ولذلك كان التحكم في افعال الغضب مفيداً من عدة وجوه . فأولاً ، يحفظ الإنسان قدرته على التفكير السليم ، وإصدار الأحكام الصحيحة ، فلا يتورط في أعمال أو أقوال يتندم عليها فيما بعد . وثانياً ، يحفظ الإنسان باتزانه البدني ، فلا يتباين التوتر البدني الناشئ عن زيادة الطاقة التي تسببها زيادة إفراز الكبد للسكر ، وبذلك يتتجنب الإنسان الاندفاع في القيام بأعمال عنفية كالاعتداء البدني على الخصم الذي كثيراً ما يحدث أثناء افعال الغضب . ثالثاً ، إن التحكم في افعال الغضب وعدم الاعتداء على الغير ، بدنياً أو لفظياً ، والاستمرار في معاملتهم بالحسنى وفي هذه من شأنه أن يبعث المدح في نفس الخصم ، ويدفعه إلى مراجعة نفسه . ولا شك أن ذلك يؤدي إلى كسب صداقة الناس ومحبتهم ، ويساعد على حسن العلاقات الإنسانية بوجه عام .

«..أذْفَعْ بِالْتَّيْ هُنَّ أَخْسَنُ فَإِذَا أَلْدَى بَيْتَكَ وَبَيْتَهُ عَذَّةٌ كَافِرٌ وَلِيُّ حَمِيمٌ»⁽¹⁾

ورابعاً ، إن التحكم في افعال الغضب مفيد أيضاً من الناحية الصحية لأنه يتجنب الإنسان كثيراً من الأمراض البدنية التي تحدث عادة نتيجة للافعالات الشديدة كما سبق أن أشرنا إلى ذلك .

(1) نصلت : ٣٤ .

وَتَضَعُ من كُلِّ مَا تَقْدِمُ الْحُكْمَةُ فِي دُعَوَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النَّاسُ إِلَى
الْحُكْمِ فِي الْغَضْبِ وَإِلَى الْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ ، وَوَعْدُ مَن يَتَحْكُمُ فِي غَضْبِهِ نُوَابَاً
عَظِيمًا .

«وَسَلَّمُوا إِلَيَّ مُقْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَهَةٌ عَرَضَهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعْدَتْ
لِلْمُتَقْبِرِينَ ① الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَاءِ وَالْكَنْزِيْمِ الْغَيْظَ
وَالْعَاقِفِينَ عَنِ النَّاسِ وَأَنَّهُ يُحِبُّ الْمُخْسِنِينَ ② »

«فَإِنَّمَا يُؤْتَنُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يُنْكَثُ الْحِبَّةُ الْأُنْثَى وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَلَا يُنْكَثُ لِلَّذِينَ
لَمْ يَنْهَا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ③ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرًا الْإِيمَانَ وَالْفَوْحَشَ وَمَا ذَرَ
مَا غَيْضُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ④ »

«وَلَمَّا نَصَرَ وَفَقَرَ إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ ⑤ »

«وَجَزَّا عَوْنَاطِيْشَةَ سَيِّدَةَ مِنْهُمْ لَمَنْ عَفَّا وَأَصْلَحَ فَأَبْرَرُ عَلَى اللَّهِ إِنَّمَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ ⑥ »

«... فَلَا يَنْجِعُ الصَّفَحَ الْجَنِيلَ ⑦ »

«... وَلَيَعْفُوا وَلَيَصْفَحُوا أَلَا يَحْبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑧ »

«... فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُخْسِنِينَ ⑨ »

(١) آل عمران : ١٢٣ ، ١٢٤ . (٢) الفرق : ٢٢ .

(٣) الشورى : ٣٦ ، ٣٧ . (٤) المائدة : ١٣ .

(٥) الشورى : ٤٢ .

(٦) الشورى : ٤٠ .

(٧) الحجر : ٨٥ .

ولقد كان لدعوة القرآن إلى كظم الغيظ والعفو عن الناس تأثير كبير في نفوس المسلمين ، فانتشر بينهم التسامح . نذكر مثلاً لذلك ما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فقد قال له رجل : «إِنَّكَ لَا تُقْضِي بِالْعَدْلِ ، وَلَا تُعْطِي الْجَزْلَ ، فَتَغْيِيرُ عَمَرٍ» ، وظهر ذلك على وجهه . فقال له أحد الحاضرين : «يَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَمْ تسمِعْ قَوْلَ اللَّهِ سَبْعَاهُ وَتَعَالَى : (خُذِ الْعَفْوَ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) . فَقَالَ عَمَرٌ : صَدِقتَ ، وَكَانَتْ نَارٌ فَأَمْلَقْتَهُ»^(١) .

المسيطرة على العب :

وأوصانا القرآن أيضاً بالتحكم في حبنا لأهلاً من آباء وأزواج وأولاد ، وفي حبنا لأصدقائنا وعشيرتنا ووطننا وأموالنا ومتلكاتنا حتى لا ينسينا كل ذلك حبنا لله ، ويذهبنا عن طاعته والجهاد في سبيله .

سَيِّئَاتُ الَّذِينَ هُمْ نَمِيَّةٌ مِّنْ أَرْجُوكُرْ وَأَوْلَادِكُرْ عَدُوَّ الْكُرْ فَأَخْذُرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُواْ وَتَصْفُحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّمَا أَمْرَ الْكُرْ وَأَوْلَادِكُرْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَبْرَعُ عَيْنِيهِمْ ۝^(٢)

فَقُلْ إِنَّمَا كَانَ ظَبَابُكُرْ وَابْنَكُرْ وَإِخْرَوْكُرْ كُمْ وَأَرْجُوكُرْ وَعَشِيرَتُكُرْ وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَنَجَّرْتُمُوهَا وَمَسَكْنَكُرْ كَادَهَا وَمَسَكْنَكُرْ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ أَنْهُ وَرَسُولُهُ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَثْرِيهِ وَاللَّهُ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الظَّفِيقِينَ ۝^(٣)

ويؤكد القرآن على أن حب المؤمن لله تعالى يفوق حبه لكل الناس الآخرين

(١) محمد الصادق عفيفي : الفكر الإسلامي . مبادئ ، مناصب ، قيمة ، أخلاقياته ، القاهرة : مكتبة الماجستي ، د . ت) ، ص ٢٥٦ . (انظر سورة الإسراف . آية ١٩٩) .

(٢) التلابين : ١٥ ، ١٤ . إِنَّمَا أَنْدَاجُكُمْ وَأَلَادُكُمْ عَدُوَّكُمْ فَأَخْذُرُوهُمْ بِمَعْنَىٰ أَنْكُمْ تُحْبِبُوهُمْ وَتَسْمِلُونَ عَلَىٰ تَحْقِيقِ رَغْبَاتِهِمْ مَا تَدْرِي كُمْ مِّنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، فَكُونُوا مِنْهُمْ حَلَّـر .

(٣) التربية : ٢٤ .

حتى أفرجهم إليه كالأباء والأبناء والأقارب والاصدقاء . وإذا ما تعارض حب المؤمن لله مع حبه لأي من هؤلاء جميعاً فإنه يختار حب الله .

«لَا تَحِدُّ قوماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمَ الْأَخِرَ يُوَادِونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا أَبْنَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْرَجُوهُمْ أَوْ عَيْرَتُهُمْ أَوْ لَهُكَ كَنَبَ فِي
قُلُوبِهِمْ أَلَا يَكُنْ وَالْيَوْمَ رُوحُهُمْ وَيُذْلِّلُهُمْ جَنَاحٌ تَحْمِلُهُ مِنْ تَحْمِيلِهَا الْأَنْهَارُ
خَلِيلِينَ فِيهَا مِنَ اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْ لَهُكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ »^(١)

وضرب الله مثلاً بابراهيم عليه السلام ومن آمن به على سيطرة الإنسان على حبه لأهله وترجع كفة حب الله على حب الأهل .

«فَذَكَرَ أَنْوَهُ حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا
بُرْهَةٌ أَوْ مُنْكَرٌ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُنْ وَبِمَا يَبْيَنُنَا وَبِمَا يَنْكِرُ
الْعَدَوُهُ وَالْبَغْضَاءُ أَهْدَى حَقَّنَ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ...»^(٢)

السيطرة على الفعاليات أخرى :

وأوصانا القرآن أيضاً بعدم الزهو والكبرياء . وقد ذكرنا سابقاً بعض الآيات التي نهانا القرآن فيها عن الزهو والكبرياء والتعالي على الناس ، وذلك أثناء كلامنا عن الفعال الزهو .

وأوصانا القرآن أيضاً بالسيطرة على كل من الفعال الحزن والفرح . فلا يجب أن نسرف في الحزن على ما يصيبنا من نوائب الدهر وكوارنه ، سواء في النفس أو الأبناء أو الأموال والممتلكات . كما لا يجب أن نسرف في الفرح على ما

(١) المجادلة : ٤٤ .

(٢) المتحدة : ٤ .

يأتينا من خير ، أو نتاله من نجاح أو تفوق أو شهرة أو جاه ، ولا يجب أن يدفعنا ذلك إلى الزهو والاستكبار والتفاخر . فإن كل ما يلحق بنا من أذى أو مصيبة ، أو نتاله من خير فهو مكتوب في اللوح المخطوط ، وثبتت في علم الله من قبل أن يحدث لنا . وما يهدى حزنا في تغير ما حدث ، أو في تغير نتائجه ، كما لا يجدي فرحا وزهدا في الاسترادة من الخير ، أو في الاحتفاظ به وعدم زواله ، إذ أن كل شيء من ذلك إنما هو في علم الله تعالى وحده ، ومهون بمشيته وحده .

«مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيرَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا قَاتَلَنَا إِلَّا فِي كِتَابٍ أَنْ
عَصَمَهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرٍ ۝ لِكُلِّ أَنْسَارٍ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَنْهَوْهُ
إِيمَانًا إِنَّكُمْ وَاللَّهُ لَا يُبْدِي كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝»^(١)

وحل وجه حام ، فإن الله سبحانه وتعالى يوصينا بضبط انفعالاتنا ، والتحكم فيها ، والسيطرة عليها . وإن الإيمان بالله إيمانا صادقا ، واتباع منهجه الذي رسمه لنا في القرآن ، وبينه لنا الرسول صلوات الله عليه وسلم يمدنا بعزيمة وقوة إرادة تحكمتنا من التحكم في انفعالاتنا والسيطرة عليها . إن المؤمن الصادق الإيمان لا يخاف إلا من الله تعالى وحده . فهو لا يخاف الموت ، أو الفقر ، أو الناس ، أو أي شيء آخر في الوجود . وهو يكظم غضبه فلا يثور لأنفه الأسباب ، وهو لا يغضب إلا لما يغضب الله . وهو يسيطر على حزنه لأنه يعلم أنه لا يصيغ إلا ماكتب الله له . وهو متواضع لأنه يعلم حق قدره ، فلا يزهو بنفسه ، ولا يتفاخر ، ولا يستكبر

وقد وردت في القرآن آيات كثيرة تبين أن الإيمان بالله وقاية من الخوف وعلاج له . وسوف نعود إلى ذلك فيما بعد في الفصل العاشر الخاص بالعلاج النفسي في القرآن .

(١) المحدث : ٢٢ ، ٤٤ .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الإدراك الحسي في القرآن

لقد أرادت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يزود الإنسان والحيوان بكل الإمكانيات والوظائف الضرورية للحياة والبقاء ، فزودهما ، بالإضافة إلى الدوافع والانفعالات ، بأجهزة يدركان بها العالم الخارجي وما يدور حولهما من أحداث ، كما يدركان بها عالمهما الداخلي وما يحدث فيه من تغيرات . والإدراك الحسي وظيفة هامة في الحياة ، فيه يدرك الكائن الحي ما يؤذيه فيتجنبه ، وما يفيده فيسعى إليه .

ويتم إدراكنا للعالم الخارجي بالحواس الظاهرة وهي السمع والبصر والشم والتذوق والحواس الجلدية ، كما يتم عن طريق الإحساس الداخلي إدراكنا لما يحدث في بدننا من اختلال في الأتزان العضوي والكيميائي كالجوع والعطش ، مما يجعلنا نقوم بالسلوك الملائم سواء لظروف العالم الخارجي ، أو لسد النقص في أنسجة البدن وإعادته إلى حاليه السابقة من الأتزان العضوي والكيميائي .

والإدراك الحسي وظيفة يشارك فيها كل من الإنسان والحيوان . غير أن الله سبحانه وتعالى قد خص الإنسان بوظيفة إدراكية أخرى هامة يتميّز بها عن الحيوان ، ألا وهي العقل ، الذي به يستطيع الإنسان أن يعلو بإدراكه عن الأشياء المحسوسة ، فيفكّر في المعاني المجردة كالخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والحق والباطل ، والذي به يستطيع أن يستدلّ على المبادئ العامة من الملاحظات والتجارب . فالعقل ، مثلاً ، يستطيع الإنسان أن يستدلّ من بدائع خلق الله تعالى للكون بأسره وللإنسان نفسه ، على وجود الخالق وقدرته سبحانه وتعالى .

«سَرِّهُمْ أَيْمَانًا فِي الْأَفَاقِ وَقِنْقُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ »^(١)

غير أن قدرة العقل الإنساني على الإدراك والمعرفة محدودة ، ثم إن تفكير الإنسان معرض للخطأ . فقد نظراً ظروف معينة تعيق الإنسان عن التفكير السليم ، وبصعوبات الإنسان محتاجاً إلى من يرشده ويووجهه ويعمله . ولذلك أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل إلى الناس ، وأنزل الكتب المقدسة لكي يرشدهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم .

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الظُّنُونَ ..»^(٢)

«إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ يَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ »^(٣)

«كَمَا أَرْسَلْنَا فِي كُلِّ رُسُولٍ كَمِنْكُمْ يَتَلَقَّبُوكُمْ «إِيَّتُنَا وَرَبُّكُمْ وَيَعْلَمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَدُكُمْ كُنُوتُكُمْ تَعْلَمُونَ »^(٤)

فالحواس والعقل ، إذن ، وسبيلتان يستعين بهما الإنسان في الإدراك والمعرفة ، ولكنها غير كافية وحددهما للوصول إلى المعرفة اليقينية في كثير من الأمور . فهما لا يستطيعان ، مثلاً ، معرفة الأمور الغيبية التي لا يستطيع أن يدركها الإنسان بحسه أو يعقله ، ولذلك يصبح من الضروري أن يتلقى الإنسان المعرفة من الله سبحانه وتعالى لكي ينظم حياته على الأرض بما يكفل له تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة . ويتحقق الإنسان هذه المعرفة من الله تعالى عن طريق الرسل والأنبياء ، أو عن طريق الإلهام والفيض الإلهي الذي يخص الله به بعض أوليائه .

ومنحاول أن نتناول في هذا الفصل موضوع الإدراك الحسي في القرآن ،

(١) نصخت : ٥٣

(٢) النحل : ٢٦

(٣) قاطر : ٢٤

(٤) البقرة : ١٤١

مؤجلين الكلام عن التفكير والمعرفة الربانية التي يتلقاها الإنسان عن الله تعالى عن طريق الوحي والإلهام إلى فصل تالية .

الحواس في القرآن :

يولد الطفل لا يعلم شيئاً ، ثم لا يلبث أن تبدأ حواسه في أداء وظائفها ، فهو يتأثر بما يقع عليه من مؤثرات خارجية محدثة فيه إحساسات مختلفة هي الأساس الذي يتكون منه فيما بعد إدراكه ومعرفته بالعالم الخارجي . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في كثير من الآيات ، نذكر منها على سبيل المثال :

« وَاللَّهُ أَنْرَجَكُمْ مِنْ بَعْدِ مَاهِيَّتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعَدَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »^(١)

« وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعَدَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ »^(٢)

« قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعَدَ قَلِيلًا
مَا تَشْكُرُونَ »^(٣)

« ثُمَّ سُوِّلَهُ وُنَفَّخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعَدَ قَلِيلًا
مَا تَشْكُرُونَ »^(٤)

واكفي القرآن بذكر السمع والبصر كأداتين من أدوات الإحساس وذلك ، أولاً ، لأهميتها القصوى في عملية الإدراك الحسي ، وثانياً ، لأن في ذكرهما ما يكفي للدلالة على أهمية جميع الحواس في عملية الإدراك الحسي . وهذه خاصة من خصائص أسلوب القرآن الذي يتميز بالإيجاز البليغ والذي يكتفي

(١) البعل : ٧٨ .

(٢) المؤمنون : ٧٨ .

(٣) المثلث : ٢٢ .

(٤) السجدة : ٩ .

بالتبسيح والإشارة إلى الحقائق الأساسية العامة ، وينغاضى عن التفصيلات . فليس القرآن كتاب علم ، وإنما هو كتاب هداية للناس . وإنه ليكفي هنا في هذا الصدد للدلالة على نعمة الله تعالى على الإنسان بتزويده بأدوات للإدراك الحسي أن يشير القرآن فقط إلى السمع والأبصار .

ويأتي ذكر السمع في القرآن قبل الأبصار في كثير من الآيات ، وذلك ، فيما يبدو ، بعدة اعتبارات . فأولاً ، إن السمع أهم من البصر في عملية الإدراك الحسي ، والتعلم ، وتحصيل العلوم . فن الممكن للإنسان إذا فقد بصره أن يتعلم اللغة ويحصل العلوم ، ولكنه إذا فقد سمعه تذر عليه تعلم اللغة وتحصيل العلوم . وما يدل على أهمية السمع في الإدراك وفي تعلم اللغة – وهي من أهم أدوات التفكير وتحصيل العلوم – أن القرآن ذكره وحده مع العقل للدلالة على العلاقة الوثيقة بينه وبين العقل .

«وَقَالُوا لَكُمْنَا تَسْمَعُ أَوْ تَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَنْخَبِ الْسَّمَاءِ»^(١)

ولهذه العلاقة الوثيقة بين السمع والعقل فإن القرآن يذكر في كثير من الآيات السمع بمعنى الشهم والتذير والتعقل .

«رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًّا بِنَادِيَ الْأَعْمَانِ أَنْ «إِمْنَأْرِبَكْ فَعَامَنَا»^(٢)

«إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا

«سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٣)

«وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا أَهْلَكَيْهِمْ «أَمْتَأْيِهِمْ ..»^(٤)

«وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَزْلَلَ إِلَيَّ الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ بِمَا عَرَفُوا مِنْ

(١) المثلث : ١٠ .

(٢) آل عمران : ١٩٣ .

(٣) التور : ٤١ .

(٤) الجن : ١٣ .

الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِمَّا فَاءَ كَيْفَنَا مَعَ الشَّهِيدِينَ ۝^(١)

۝۝۝ وَنَطَّبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝^(٢)

وَثَانِيًّا ، إن حاسة السمع تعمل عقب الولادة مباشرة حيث يستطيع الوليد أن يسمع الأصوات عقب ولادته مباشرة ، بينما يحتاج الوليد إلى فترة من الزمن لكي يستطيع أن يرى الأشياء بوضوح^(٣) . وَثَالِثًا ، إن حاسة السمع تؤدي وظيفتها باستمرار دون توقف ، بينما حاسة البصر قد تتوقف عن أداء وظيفتها إذا أغمض الإنسان عينيه ، أو إذا نام . ويستطيع الصوت الشديد أن يوقظ الإنسان من نومه . ولذلك فقد ذكر الله تعالى في قصة أهل الكهف أنه ضرب على آذانهم حتى يستيقظوا في النوم فلا يوقظهم صوت :

۝۝۝ فَضَرَبَنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ بِسِتِينَ عَدَدًا ۝^(٤)

وَرَابِعًا ، إن حاسة السمع تسمع في كل الأوقات سواء في الضوء أو في الظلام ، بينما حاسة البصر لا ترى إلا في الضوء^(٥) .

ويذكر القرآن السمع مفرداً ، بينما يذكر الأ بصار في معظم الآيات في صيغة الجمع ، وذلك من أدلة الإعجاز في أسلوب القرآن ، حيث أن حاسة السمع تستقبل الأصوات الصادرة من جميع الجهات ، بينما العين لا ترى إلا إذا

(١) المائدة : ٨٣ .

(٢) الأعراف : ١٠٠ .

(٣) يثبت البحوث الفسيولوجية الحديثة أن الطفل الحديث الولادة يستجيب للأصوات المعالية ، ولكنه لا يستجيب للأصوات الحادة الفسيحة . ويثبت هذه البحوث أيضاً أن الصور لا تنبت في عيني الطفل الحديث الولادة وأوضاعه جلية حتى الشهر السادس إذ أن سو التكروين الشبكي لا يتم إلا في نهاية الشهر السادس الأول بعد الولادة . وستعرض لهذا الموضوع فيما بعد عند كلامنا على النمو في القرآن وذلك في الفصل التاسع الخاص بالشخصية .

(٤) الكهف : ١١ .

(٥) محمد متولي الشعراوي : معجزة القرآن ، ج ١ ، القاهرة : كتاب اليوم ، ١٩٨٠ ، ص ٩٥ - ٩٨ .

اتجه الإنسان ببصره نحو الشيء الذي يريد أن يراه^(١) . وإذا حدث صوت في مكان يجتمع فيه جموع من الناس فإنهم جميعاً يسمعون نفس الصوت تقريباً ، بينما هم يرون الشيء الواحد من زوايا مختلفة ، وبذلك لا تكون رؤيتهم للشيء الواحد متماثلة تماماً . كما أنهم قد يرون في نفس الوقت أشياء مختلفة تماماً للجهة التي ينظرون إليها . وفضلاً عن ذلك ، فنحن إذا سمعنا صوتاً صادراً من مكان يقع أمامنا مباشرة ، فإن الموجات الصوتية تصل إلى الأذنين في وقت واحد ، كما أن شدة تأثيرها على طبلتي الأذنين يكون متماثلاً . أما إذا نظرنا إلى شيء ما موضوع أمامنا فإن الصورة التي تطبع على شبكة العين اليمنى تختلف عن الصورة التي تطبع على شبكة العين اليسرى . فالعين اليمنى ترى الشيء من جانبه الأيمن ، بينما ترى العين اليسرى الشيء من جانبه الأيسر^(٢) .

العواصن الجلدية :

يبنت الدراسات القسيولوجية الحديثة أنه توجد في بشرة الإنسان خلايا حسية كثيرة مختلفة الشكل ، وهي متخصصة لاستقبال أنواع معينة من الإحساسات . فبعضها يحس بالحرارة ، وبعضها يحس بالبرودة ، وبعضها يحس باللمس والضغط ، وبعضها يحس بالألم . وقد أشار القرآن إلى وجود أعضاء الحس الخاصة بالإحساس بالألم في بشرة الإنسان ، وذلك في قوله تعالى :

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَعَايِنُنَا سُوفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَصْبَجَتْ جُلُودُهُمْ بِذَلِكَنَّهُمْ

(١) محمد ابراهيم أبهايل : القرآن وأصحابه العلمي . القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧٧ ، ص ١٠٩ - ١١١ . محمد متولى الشعراوى : مرجع سابق ، ص ٩٥ - ٩٨ .

(٢) محمد عثمان مجاهى : مرجع سابق ، ص ٣٠٠ - ٣٠٢ . إذا نظرت إلى شيء أمامك مباشرة فإنك تستطيع أن تلاحظ الفرق فيما تراه العينان من هذا الشيء ، إذا ما وضعتك بذلك على عينيك اليمنى ، ثم وضعتها بعد ذلك على عينيك اليسرى ، فإنك سوف تلاحظ أن الشيء الذي تراه يتغير يساراً ويسينا ، وذلك لأنك حينما تضع بذلك على عينيك اليمنى فإنك ترى الجانب الأيسر من هذا الشيء ، ثم حينما تضع بذلك على عينيك اليسرى يختفي الجانب الأيسر ، وتزداد العين اليسرى من هذا الشيء . ولذلك يبدو هذا الشيء كأنه يتغير يساراً ويسينا . أما الصوت الصادر من جهة تقع أمامك مباشرة فإنهما يثرران على أذنك في وقت واحد . أما إذا كان الصوت صادراً من جهة تقع على عينيك أو يسارك ، فإن الموجات الصوتية تصل إلى الأذن التي تكون في نهاية مصدر الصوت قبل وصولها إلى الأذن الأخرى ، غير أن الفارق الزمني صغير جداً لا يلاحظ .

جُلُودًا غَيْرَهَا لَيْدُوْقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ^(١)

وتشير هذه الآية إلى وجود الخلايا الحسية المتخصصة في الإحساس بالألم في الجلد ، كما يثبتت الدراسات القسيولوجية الحديثة . فإذا احترق الجلد وزالت هذه الخلايا تنتفي الإحساس بالألم ، ولذلك يبدل الله تعالى الكافرين جلوداً جديدة بخلايا حسية جديدة لكي يستمر إحساسهم بالألم .

وأشار القرآن أيضاً إلى حاسة النسق كأدلة يستعين بها الإنسان لتحسس الأشياء للتعرف عليها .

« وَلَوْزَلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرَاطَاسِ فَلَمْ سُوْ يَأْتِيَهُمْ لِقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِرْمَيْنٌ » ^(٢)

الإدراك الحسي الخارجي عن نطاق العواس :

هناك نوع آخر من الإدراك الحسي غير العادي ، وهو الذي يسميه علماء النفس بالإدراك الحسي الخارجي عن نطاق العواس ^(٣) ، مثل الاستشاف وهو رؤية الأشياء أو الأحداث البعيدة المخارة عن مجال حاسة الإبصار ، والتخاطر وهو إدراك خواطر وأفكار شخص آخر يكون أيضاً في الغالب في مكان بعيد ، والاستهافت وهو سماع نداء أو حدث من مكان بعيد خارج عن مجال حاسة السمع . وقد اهتم بعض علماء النفس في العصر الحديث بدراسة هذه الظواهر ، وأجرروا عليها كثيراً من التجارب ، غير أن النتائج التي توصلوا إليها لم تكن من الدقة والثبات بحيث تمكننا بفهم واضح لهذه الفظواهر .

وهذا النوع من الإدراك الحسي الخارجي عن نطاق العواس لا يلاحظ عند جميع الناس ، ولكنه يحدث فقط لبعض الأشخاص الذين يتمتعون باستعداد خاص ، قد يكون عبارة عن شفافية روحية تمكنهم بقدرة إدراكية خارقة للعادة

(١) النساء : ٥٦ .

(٢) الأنعام : ٧ .

. Extrasensory Perception (٣)

تمكنهم من تجاوز حدود المكان ليدركوا أشياءً وأحداثاً بعيدة عنهم ، أو ممحوبة
عنهم بحاجز المكان . وقد ذكر القرآن مثلاً لهذا النوع من الإدراك الحسي غير
العادي حدث ليعقوب عليه السلام حينما شم ريح ابنه يوسف عليه السلام حينما
تحركت القافلة التي تحمل قميصه من أرض مصر بعيداً عن المكان الذي يوجد
فيه يعقوب عليه السلام بمسيرة عدة أيام .

«وَلَمَّا فَصَلَّتِ الظِّيْرُ قَالَ أَبُوهُمَّ إِنِّي لَا يَجُدُّ رَجُلَّ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُقْنِدُونَ»^(١)

إن قيام يعقوب عليه السلام بشم رائحة يوسف عليه السلام من هذا المكان
البعيد الذي لا تقطعه الإبل إلا بعد مسيرة بضعة أيام ليشير إشارة واضحة إلى
ظاهرة الإدراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس .

ومن معجزات عيسى عليه السلام التي أخبر بها القرآن أنه كان يخبر الناس بما
يأكلون في بيوتهم من طعام ، وما يذخرون فيها من أشياء .

«.. وَأَنِّيْكُمْ إِنَّمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَذَخَّرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ..»^(٢)

ومن المحتمل أن تكون هذه المعجزة نوعاً من الاستشاف الذي خص الله
تعالى به رسوله عيسى عليه السلام ، فكتبه به من إدراك أشياء غير منظورة وخارجة
عن نطاق مجاله البصري . ومن المحتمل أيضاً أن يكون ذلك نوعاً من الإلهام
الإلهي .

وتجدد في كتب السنة وتاريخ الصحابة والتصوف نماذج من الإدراك الحسي
الخارج عن نطاق الحواس والذي يسميه المتصوفون بالكشف . ويروي مسلم عن
الرسول صلوات الله عليه وسلم أنه قال : «أتموا الركوع والسجود ، فواه الله
إني لأراكم من بعد ظهيري إذا ما ركعتم وإذا ما سجلتم»^(٣) . ويروي البخاري

(١) يوسف : ٩٤ .

(٢) آل عمران : ٤٩ .

(٣) كتاب الصلاة ، ج ٦ ، ص ١٥٠ . صحيح سلم بشرح الترمي . القاهرة . المطبعة المصرية ومكتبتها

(د . ت) .

أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « هل ترون قبلي ها هنا ؟ فواه ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم ، إني آراكم من وراء ظهرى »^(١) . إن روبية النبي عليه الصلاة والسلام للصحابة من وراء ظهره وهم يركعون ويسجدون إنما هو أيضاً مثال للاستشفاف إذا استطاع النبي عليه الصلاة والسلام ، بسبب صفات القلب وشفافيته الروحية ، أن يرى أشياء لا تقع في مجال بصره . وفي الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام مر يوماً مع نفر من الصحابة بقبرين يقعن العرق دفن فيما رجلان حدثاً ، فتوقف وقال : « من دفتم ههنا اليوم ؟ قالوا : فلاناً وفلاناً . قالوا يا نبي الله وما ذاك ؟ قال : أما أحدهما فكان لا يتنزه من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنعمية . وأخذ جريدة رطبة فشقها ثم جعلها حل القبرين . فقالوا : يا نبي الله ، لم فعلت هذا ؟ قال : ليخفف عنهم . قالوا يا رسول الله حتى متى يعلبان ؟ قال : غيب لا يعلمه إلا الله ، ولو لا تمرغ قلوبكم ، وترشدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع »^(٢) . قوله عليه الصلاة والسلام : « ولو لا تمرغ قلوبكم ، وترشدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع » يشير إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام قد سمع ما لم يستطيع من معه من الصحابة أن يسمعوه . ويشير ذلك أيضاً إلى أنه من الممكن أن يكتسب الإنسان القدرة على « الاستماع » إذا صافى قلبه من شواغل الدنيا ، وامتنع عن اللغو في الحديث . وعن حنظلة الأستيدى رضى الله عنه وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال قلت : « .. يا رسول الله ، تكون عندك تذكراً بالثار والجنة كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عالمسنا الأزواج والأولاد والفضيّات ونسينا كثيراً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لو تذوّعون على ما تكونون عندى وفي الذكر لصافحكم الملائكة على طريقكم وفي طريقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاثة مرات » ، رواه مسلم والترمذى في الرفاقت^(٣) . ويدل هذا الحديث

(١) كتاب الصلاة ، الحديث رقم ٤١٨ . فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ج ٢ ص ٧٦ . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٧٨ .

(٢) الحديث رقم ٢٦٢ من كتاب الترتيب والتزبيب عن أبي أمامة (انظر سعيد حوى : تربيتنا الروحية ، ج ٢ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٩ ، ص ١٥١) .

(٣) عبد الرحمن بن علی المعروف بابن الدبیع الشیعائی : قیسیر الرسول إلى جامع الأصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . بیروت : دار المعرفة ، ١٩٧٧ ، ج ١ ، ص ٢٢ . المعاشرة : المعاشرة والممارسة .

على إمكانية رؤية الصحابة للملائكة إذا داوموا على الحال التي يكونون فيها أثناء مصاحبيهم للنبي عليه الصلاة والسلام من صفاء القلب وشفافية الروح وذكر الله . ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه بينما كان يخطب خطبة الجمعة بالمدينة في أحد الأيام إذا به يتوقف عن الخطبة وينادي : « يا سارية بن حصن ! الجبل ... الجبل ! ومن استرعى الذئب ظلم ». فلما قضى الصلاة سأله علي رضي الله عنه عما نادى به . فقال : « وقع في خلدي أن المشركين هرموا إخواننا وركبوا أكتافهم ، وأنهم يمرون بجبل .. فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدهو وظفروا ، وإن جازوه هلكوا » ، فخرج من هذا الكلام ». ثم جاء البشير بعد شهر فقال إنهم سمعوا في ذلك اليوم وفي تلك الساعة حينما جاؤوا الجبل نداء يشبه صوت عمر يناديهم : « يا سارية بن حصن ! الجبل ... الجبل ... ». فرجعوا إليه ، ووقفهم الله وانتصروا ^(١) .

الخداع البصري :

الخداع البصري هو إدراك بصري خاطئ لا ينطبق على حقيقة الشيء المرنى . وهناك بعض أنواع من الخداعات البصرية العامة بين الناس جميعاً ، فهم يدركونها جميعاً بطريقة مشابهة ^(٢) . ومن أمثلة ذلك ما يحدث أحياناً حينما يرى الناس عن بعد سراياً فيظنونه ماء . وقد ذكر القرآن السراب في تصويره البليغ لعدم جلوى ما يقوم به الكافرون من أعمال حسنة إذ ستكون يوم الحساب هباءً متوازاً كالسراب الذي يظنه الضمان ماء فإذا وصله لم يجدوه شيئاً .

**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْتَدْنَا لَهُمْ كَسَرَابٍ يَقِيعَةٌ يَخْسِبُ الظَّمَانَ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءُهُ
لَرَبِيعَهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْزَنَهُ حَسَابُهُ وَاللَّهُ أَمْرُ بِالْمُسَابِ** ^(٣)

(١) عباس محمود العقاد : عبقرية عمر . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٩ ، ص ٢٤ .

(٢) محمد هشام مجاهي : مرجع سابق ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٣) التور : ٣٩ .

تأثير الدوافع والقيم في الانتباه والإدراك العسلي :

تؤثر دوافع الفرد وقيمه في انتباهه وإدراكه . وقد يبيت ذلك نتائج كثيرة من الدراسات التجريبية الحديثة ^(١) . وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في أكثر من موضع حينما ذكر كيف كان الإيمان يجعل المؤمنين في حالة تهیئه وانتباه إلى الاستماع إلى ما يتزل من آيات القرآن فيدركونها إدراكاً واعياً ، وفيهمونها فيما دقيقاً ، بينما كانت هذه الآيات نفسها لا تحدث لدى المشركين نفس التأثير ، وإنما كانوا في غفلة عن سماعها وإدراكها وفهمها . وفيما يلي أمثلة لما قاله القرآن في وصف هذه الحالة من الغفلة عن الإدراك بسبب الشرك وعدم الإيمان بالله مما عطل حواس المشركين عن أداء وظيفتها :

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمْ كَثِيرًا مِنْ أَيْلِنْ وَالْإِنْسُنْ لَمْ يُمْ قُلُوبُ لَا يَفْقَهُونَ رِبَّا وَلَمْ
أَعْنَ لَا يُبَصِّرُونَ رِبَّا وَلَمْ ﴿أَذْانٌ لَا يَسْمَعُونَ رِبَّا أَوْلَئِكَ كَمَا الْأَنْعَمْ بَلْ
مُمْ أَضَلُّ أَوْلَئِكَ مُمْ الْفَاسِلُونَ﴾ ^(٢)

﴿فُلْ هُوَ اللَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي أَذْانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ
عَلَيْهِمْ عَمَّ أَوْلَئِكَ يَنْادِونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ^(٣)

﴿أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعْنَهُمُ اللَّهُ فَاصْحَاهُمْ وَأَغْنَمَ أَبْصَرُهُمْ﴾ ^(٤)

﴿أَفَأَنَّتِ لَسْمُ أَصْمَ أَوْتَهِيَ الْعُنَيْ وَمَنْ كَانَ فِي صَلَلٍ مُبِينٌ﴾ ^(٥)

﴿مَثُلُهُمْ كَفَلَ الَّذِي آسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاعَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ

(١) محمد عثمان نجاشي : مرجع سابق ، ص ٢٨٩ - ٢٩٢ .

(٢) الأعراف : ١٧٩ .

(٣) نسلت : ٤٤ . قال ابن كثير في تفسير (يَنْادِونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) : «قال مجاهد يعني بعيد من قبورهم . قال ابن جرير عنه أنه كان من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول » . تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ١٠٣ .

(٤) الزخرف : ٤١ .

(٥) محمد : ٢٣ .

وَرَكِّبُوكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبَصِّرُونَ ۚ ۝ مَمْ بَدَّ عَنْهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝^(١)

۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَايَاتِنَا مُمْ وَسْكُنٌ فِي الظُّلُمَاتِ ۝^(٢)

۝ أَفَرَبِتَ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا هُنَّ عَوْنَةُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ طَمَرٍ وَخَنَقَهُ عَلَىٰ سَعْيِهِ وَقَلَّبَهُ
۝ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً كَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَنْذَرُونَ ۝

۝ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمُرْئَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُذَرِّينَ ۝
۝ وَمَا أَنْتَ بِهِدَى الْعُمَىٰ عَنْ مَلَكَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِعَايَاتِنَا فَهُمْ
۝ مُسْلِمُونَ ۝^(٣)

ومن مظاهر تأثير الدوافع على الإدراك أيضاً ما يحدث في الإدراك من تحريف وتشويه لحقيقة الشيء . فقد يرى الإنسان الشيء الحسن قبيحاً ، وقد يرى الشيء القبيح حسناً . وقد أشار القرآن إلى ما تحدثه الدوافع والميل والآهواه من تحريف في الإدراك .

۝ أَفَنْ زَيْنَ لَهُ رُسُوْلُهُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا ۝^(٤)

۝ أَفَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ مَنْ زَيْنَ لَهُ رُسُوْلُهُ عَمَلِهِ وَأَتَبَعُوا هَوَاءَهُمْ ۝^(٥)

وقد بيّنت دراسات التحليل النفسي أن الإنسان يميل إلى عدم إدراك الأشياء التي تقلقه وتزعجه ، والأمور التي تتعارض مع رغباته وأهوائه . ولا شك أن

(١) البقرة : ١٨ ، ١٧ .

(٢) الأنعام : ٣٩ .

(٣) الجاثية : ٢٣ .

(٤) النحل : ٨١ ، ٨٠ .

(٥) فاطر : ٨ .

(٦) حمد : ١٤ .

مشركي قريش وكثيراً من اليهود والنصارى لم يكونوا راضين عن الدين الجديد الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام لأن في انتشاره تهديداً لسلطهم ونفوذهم . وإن كراهيتهم لهذا الدين الجديد جعلتهم غير متوجهين نفسياً للالستماع إلى القرآن استماع تدبر وتفهم ، كما جعلتهم غير مستعدين عقلياً إلى إدراك معانبه ، وتصديق ما جاء به من الحق .

الفَصْلُ السَّابِعُ

التَّفْكِيرُ فِي الْقُرْآنِ

يشترك الإنسان مع الحيوان في وظيفة الإدراك الحسي ، غير أن الإنسان يتميز عن الحيوان بما وهبته الله تعالى من عقل ، ومن قدرة على التفكير تمكنه من النظر والبحث في الأشياء والأحداث ، واستخلاص الكلمات من الجزئيات ، واستنباط التتابع من المقدمات . إن قدرة الإنسان على التفكير هي التي جعلته أهلاً للتوكيل بالعبادات ، وتحمل مسؤولية الاختيار والإرادة ، وهذا هو ما جعله أهلاً للخلافة في الأرض .

وتكون المعلومات التي يستمدها الطفل عن طريق الإدراك الحسي في المرحلة الأولى من حياته المادة التي يستعين بها الطفل فيما بعد في تفكيره . فهو يستعيدها في ذاكرته ، ويتخيلها ، ويقارن بعضها ببعض ، وينظمها بطريقة جديدة تساعده على اكتشاف معلومات جديدة . وتفصيف المعلومات الجديدة التي يتوصل إليها الإنسان من عملية التفكير إلى ذخيرة معلوماته السابقة . ويقوم الإنسان بصفة مستمرة بعملية تنظيم المعلومات القديمة ، وأكتشاف معلومات وحقائق جديدة ، وهذا هو أساس تطور البحث العلمي خلال عصور التاريخ المختلفة ، وسبب ما يحدث من تقدم مستمر في العلوم النظرية والتطبيقية .

وقد دعا القرآن الناس دعوة صريحة إلى التفكير . قال تعالى :

«فَلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِرَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِهِ مُشَفِّنَ وَفَرَدَى فَمْ تَتَفَكَّرُوا»^(١).

ولقد حث الله تعالى الإنسان على التفكير في الكون ، والنظر في الظواهر الكونية المختلفة ، وتأمل بدائع صنعه ، ومحكم نظامه . كما حثه على تحصيل العلم ومعرفة سنن الله وقوائمه في جميع ميادين العلوم المختلفة . ونحن نجد هذه

(١) سبا : ٤٦ .

الدعوة إلى الملاحظة والتفكير والبحث والتحصيل العلمي في أكثر من موضع
في القرآن الكريم :

﴿فَلْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ كَيْفَ يَدْعَوُنَّ...﴾^(١)

﴿فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَكُونُوا هُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ إِذَا نَسِمَوْنَ
بِهَا فَلَمْ يَأْتِهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢)

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ...﴾^(٣)

﴿فَلَمْ يَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾^(٤)

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَوْيَلِ كَيْفَ خُلِقُتِ... وَإِلَى السَّمَاوَاتِ كَيْفَ رُفِعَتِ...
وَإِلَى الْجَبَلِ كَيْفَ نُصِبَتِ... وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتِ... فَلَدَّا تَرَى
إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾^(٥)

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخِلْفَاتِ الْأَيْلَلِ وَالنَّهَارِ وَالنَّفَثَاتِ الَّتِي تَخْرُجُ
فِي الْحَرِّ وَمَا يَنْفَعُ النَّاسُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَاءً وَمَا يَأْخُذُهَا بِهِ الْأَرْضُ
بَعْدَ مَوْهِبَاهَا وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَاهِرٍ وَتَصْرِيفُ الْرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَكُونُ لِغَورٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٦)

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَا كَانَ فَانْتَرِجَنَاهُ مِنْهُ بَنَاتَ كُلِّ شَيْءٍ وَفَانْتَرِجَنَاهُ
خَيْرًا لِمَنْ يُخْرِجُ مِنْهُ حَاجَاتِهِ كَمَا وَمِنَ النَّشْلِ مِنْ طَلَعِهَا فِي وَانْ دَائِيَةٍ وَجَنَاحَتِ مِنْهُ

(١) العنكبوت : ٢١ - ٢٢ .

(٢) العنكبوت : ٤٦ .

(٣) الطاشية : ١٧ - ١٨ .

(٤) البقرة : ١٩٤ .

(٥) الأعراف : ١٨٥ .

(٦) يونس : ١٠١ .

أَعْنَابٍ وَالرِّيشُونَ وَالرِّمَانَ مُشَنِّبًا وَغَيْرَ مُشَنِّبٍ اتَّنْظِرُوا مَا لَيْكُرُوهُ إِذَا أَفْتَرَ
وَيَسْعِهُ إِذَا فِي ذَلِكَ لَا يَكُنْتُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ^(١)

«فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ إِلَى طَعَامِهِ ^(٢) أَنَا مَبَيِّنُ الْمَاءَ صَبَّا ^(٣) فَمَا شَقَقْنَا
الْأَرْضَ شَقًا ^(٤) فَأَبْنَيْنَا فِيهَا حَجَّا ^(٥) وَعَنْبَانَ وَقَضْبَانَ وَزَبَّشَنَا
وَخَلَّا ^(٦) وَهَذَا هُنْ قَلْبُكُمْ وَآبَانُ ^(٧) مَنْعَالَكُمْ وَلَا تَنْعِنُكُمْ» ^(٨)

في هذه الآيات وأمثالها دعوة صريحة إلى النظر واللاحظة والتفكير
والبحث العلمي في السماوات والأرض ، وفي جميع المخلوقات ، وفي جميع
الظواهر الكونية . ولم يبحث القرآن الإنسان على التفكير والبحث العلمي في
الظواهر الطبيعية فقط ، وإنما حثه أيضاً على التفكير في نفسه ، في أسرار نكوتته
البيولوجي والتفسي . وهو بذلك يدعوه إلى ارتقاء ميادين العلوم البيولوجية
والفسيولوجية والطبية والتفسية .

«أَوَلَمْ يَتَكَبَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْمُمْكِنُوتُ وَالْأَرْضُ وَمَا يَنْهَا إِلَّا
يُلْقِي وَأَجِلُّ مُسْعَى... ^(٩)

«فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ إِمَّا خُلُقٌ ^(١٠) خُلُقٌ مِّنْ مَّا وَدَفِقَ ^(١١) يَمْرُجُ مِنْ بَيْنِ
الصُّلُبِ وَالْعَرَابِ» ^(١٢)

«سَرِيرُهُمْ كَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنْهُمْ أَخْلَقُ... ^(١٣)

ويتضح حرص القرآن الكريم على دعوة الناس إلى التعقل والتفكير من دوڑود كثير

(١) الأنعام : ٤٤ .

(٢) عبس : ٢٤ - ٣٢ .

(٣) الروم : ٨ .

(٤) الطارق : ٥ - ٧ .

(٥) نحلت : ٥٣ .

من الآيات التي تتضمن مثل هذه العبارات : « أَفَلَا يَعْقِلُونَ » ، « لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » ، « إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ » ، « لَقَوْمٌ يَعْقِلُونَ » ، « أَنَّا لَا يَتَفَكَّرُونَ » ، « لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » ، « لَقَوْمٌ يَتَفَكَّرُونَ » . وقد وردت مشتقات « العقل » في القرآن تسعة وأربعين مرة ، كما وردت مشتقات « الفكر » فيه ثانية عشرة مرة^(١) . وقد بين القرآن أهمية التفكير في حياة الإنسان ، ورفع من قيمة الإنسان الذي يستخدم عقله وتفكيره .

« .. قُلْ هُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ »^(٢)

وقد حط القرآن من شأن من لا يستخدم عقله وتفكيره بأن جعله أدنى درجة من الحيوان .

« إِنَّ شَرَّ الدُّوَّابَاتِ إِنْذَ اللَّهِ أَصْمَمُ الْبَشَرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ »^(٣)

« أَمْ لَمْ يَحْكُمْ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَاذَابٌ أَنْتَمْ أَنْ أَصْلُ سَيِّلًا »^(٤)

خطوات التفكير في حل المشكلات :

يصادف الإنسان في حياته كثيراً من المشكلات التي تحتاج إلى حلول . وكل سؤال يوجهه الإنسان إلى نفسه ولا يعرف الإجابة عليه يعبر مشكلة . ويواجهه الإنسان عادة في حياته كثيراً من المواقف التي تعتبر مشكلة ، وذلك حينما يكون له هدف معين يسعى إلى تحقيقه ولكنه لا يعرف الطريق الذي يمكن أن يؤدي إلى هدفه ، أو كانت هناك عقبات تحول دون الوصول إليه . وحينما يفكر الإنسان في حل أية مشكلة تعرضه فإنه يتبع عادة خطوات معينة قام علماء النفس بدراستها وتحليلها . ويمكن أن نلخص خطوات التفكير في حل المشكلات فيما يلي^(٥) :

(١) يوسف القرضاوى : الرسول المعلم . دار الصبحـة ، ١٩٨٤ ، ص ٤٠٣ .

(٢) الزمر : ٩ .

(٣) الأنفال : ٢٢ .

(٤) الفرقان : ٤٤ .

(٥) محمد عثمان نجاشى : مرجع سابق ، ص ٣١٦-٣١٩ .

أولاًـ الشعور بوجود مشكلة :

يبدأ التفكير بشعور الإنسان بوجود مشكلة لها أهمية بالنسبة له ، ويشعر بدافع قوي يدفعه إلى حلها لكي يصل إلى هدفه الذي يسعى إلى تحقيقه . إن الشعور بالمشكلة هو الخطوة الأولى في عملية التفكير .

ثانياًـ جمع بيانات حول موضوع المشكلة :

حينما يشعر الإنسان بوجود مشكلة فإنه يقوم عادة بفحص موضوع المشكلة من جميع نواحيه لكي يفهمه جيداً ، ويقوم بجمع جميع المعلومات والبيانات المتعلقة به ، ويقوم بفحصها لمعرفة درجة ملائمتها لموضوع المشكلة أو عدم ملائمتها ، ويقى ما هو ملائم منها ، ويستبعد ما هو غير ملائم . إن جمع المعلومات والبيانات الملائمة لموضوع المشكلة يساعد على توضيح المشكلة وفهمها وتحديد ما يهدى لوضع فروض لحلها .

ثالثاًـ وضع الفروض :

في أثناء جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بموضوع المشكلة تطرأ على الذهن بعض الحلول المحتملة للمشكلة ، أو بعض الفروض . والفرض هو حل مقترن للمشكلة .

رابعاًـ تقويم الفروض :

وحيثما يضع المفكر فرضاً لحل مشكلة ما فإنه يقوم عادة بتحميس هذا الفرض ومناقشته على ضوء ما لديه من معلومات وبيانات للتأكد من ملائمته ومن صلاحيته لحل المشكلة . وقد يجد المفكر أن الفرض الذي وضعه لا يتفق ولا يتلاءم مع بعض ما لديه من معلومات وحقائق عن موضوع المشكلة ، فيقوم باستبعاد هذا الفرض باعتباره غير صالح لحل المشكلة . ثم يقوم بوضع فرض آخر ، ويقوم بتحميسه ومناقشته كما فعل بالفرض الأول . وقد ينتهي الأمر إلى استبعاده . وتتكرر هذه العملية حتى يصل أخيراً إلى فرض مقبول وملائم لما لديه من معلومات وحقائق عن موضوع المشكلة ، ويرى أنه صالح لحل المشكلة .

خامساً - التتحقق من صحة الفرض :

بعد استبعاد الفروض غير الملائمة ، والوصول إلى فرض ملائم وصالح لحل المشكلة ، يقوم المفكر عادة بجمع بيانات أخرى وإجراء ملاحظات جديدة أو إجراء تجارب للتأكد من صحة هذا الفرض .

هذه هي الخطوات التي يتبعها التفكير عادة في حل المشكلات . ونحن نتبع هذه الخطوات في حلنا لجميع المشكلات التي تعترضنا في حياتنا اليومية . كما أن العلماء الذين يقومون بإجراء التجارب العلمية في مختبراتهم إنما يتبعون أيضاً نفس هذه الخطوات ، ولكنهم يستخدمون وسائل أكثر موضوعية وأكثر دقة وضيافةً في إجراء الملاحظات ، وجمع البيانات ، وتسجيلها ، وتحليلها .

ويمدنا القرآن بمثال واضح للخطوات التي يتبعها التفكير في حل المشكلات تجده في قصة إبراهيم عليه السلام وفي الطريقة التي اتبعها في التفكير للوصول إلى معرفة الإله العظيم القدير الذي خلق هذا الكون^(١) .

«إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِنِّي أَتَكِنْهُ أَسْنَانًا لِهَذَا إِنِّي أَرَيْتُكَ وَقُومَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ وَكَذَلِكَ تُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُرْفَقِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَنَّ عَلَيْهِ الْمُلْرَبَةَ كَوْكِبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَقْلَى قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلَقَينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى النَّمَرُ بَازْغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَقْلَى قَالَ لَمْ يَهِيئِنِي رَبِّي لِلْمُكْوَنَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى النَّمَسَ يَكْرَغَةَ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ۝ فَلَمَّا أَفْلَتَ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيْ بَرِّي ۝ ثُمَّ أَسْرَيْتُكُونَ ۝ إِلَيْ وَجْهِتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حِينَما وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(٢)

(١) على عبد العظيم : «فلسفة المعرفة في القرآن الكريم» . القاهرة : جمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤٤ - ٢٥١ .

(٢) الأنسام : ٧٤ - ٧٩ .

لقد شعر إبراهيم عليه السلام ببطلان عبادة الأصنام التي كان يعبدوها قومه ، لأن الإنسان هو الذي يصنع هذه الأصنام . فكيف يعبد الإنسان شيئاً يصنعه بيديه ؟

«قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا لَا تَعْنِيُونَ»^(١)

ثم إن هذه الأصنام لا حول لها ولا قوة ، فلا يمكن أن تتصف بال神性 . فالإله قوي ، قادر ، متحكم في الكون ، واهب النعم ، وموزع الأرزاق .

«قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ»^(٢)

إن شعور إبراهيم عليه السلام ببطلان عبادة الأصنام ، وعدم استحقاقها للربوبية ، قد أثار في نفسه مشكلة أخذت تلبع عليه ، وتسير على تفكيره ، وهي : من هو آله هذا الكون ؟ .

حينما شعر إبراهيم عليه السلام بهذه المشكلة ، شعر بدافع قوي يدفعه إلى التفكير فيها بهدف الوصول إلى معرفة آله الكون وخالقه . وقد ساعد على نشوء هذا الدافع لديه فطرته السليمة ، وروحه الصافية ، وعقله الراجح ، هذا فضلاً عن هداية الله وتوفيقه .

انتقل إبراهيم عليه السلام بعد ذلك إلى مرحلة الملاحظة وجمع المعلومات والبيانات . فأخذ بلاحظة الظواهر الكونية المختلفة في السماوات والأرض لعله يهتدى منها إلى معرفة الآله . فنظر في الكواكب والقمر والشمس ، وفي غيرها من الظواهر الكونية الأخرى سواء في السماوات أو في الأرض . ويستفاد ذلك من قوله تعالى : «وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مُلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» .

(١) العصاقات : ٩٥ .

(٢) الأنبياء : ٦٦ .

وفي أثناء مرحلة الملاحظة وجمع المعلومات عن الظواهر الكونية المختلفة ، وضع إبراهيم عليه السلام بعض الفروض . فلما جنَّ الليل ورأى كوكباً ينبلأ في السماء المظلمة وضع فرضاً مزداه أنَّ هذا هو الإله . ولكنَّه حينما تبين له أنَّ هذا الكوكب قد أصابه التغير ، إذ أنه أفل ولم يعد ظاهراً ، استبعد هذا الفرض لأنَّه فرض غير ملائم ، إذ أنَّ الإله يجب أن يكون ثابتاً لا يصبه التغير ، موجوداً دائماً لا يغيب . ولما رأى القمر ساطعاً في جوف الليل ، وضع فرضاً آخر مزداه أنَّ القمر هو الإله . ولكنَّه لما رأى الشمس ساطعة تملأ الدنيا ضياءً ودفناً ، وأكبر حجماً من الكواكب الأخرى ، وضع فرضاً آخر فقال إنَّ الشمس هي الإله . ولكنه لما رأها تغيب أيضاً استبعد هذا الفرض لعدم ملائمة لصفات الألوهية .

بعد استبعاد هذه الفروض جميعاً لعدم ملائمتها ، قام إبراهيم عليه السلام أخيراً بوضع فرض مزداه أنَّ الإله هو الذي خلق الكواكب جميعاً والسماءات والأرض وجميع ما فيها من مخلوقات . فقال : «إني وجوهت وجهي للذى فطر السماوات والأرض حتىأنا وما أنا من المشركين» . ولا شك أنَّه فكر في هذا الفرض الذي اهتدى إليه أخيراً ، وجمع كثيراً من الملاحظات الأخرى عن الظواهر الكونية فلم يجد ما ينقض هذا الفرض ، بل وجد أنَّ جميع ما يشاهده من بديع خلق الله وصنعه ، وما في الكون من نظام محكم يدل على وجود إله قوي قادر حكيم ، هو الذي خلق هذا الكون وما فيه من مخلوقات في هذا النظام المحكم الدقيق .

وهكذا نرى في هذه الآيات التي تذكر قصة اهتداء إبراهيم عليه السلام إلى معرفة الله تعالى كيف وصف القرآن خطوات عملية التفكير في حل المشكلات وصفاً دقيقاً وأصحاً .

البحث التجربى :

إننا نجد في القرآن أيضاً أساس منهج البحث التجربى للتحقق من صحة المعلومات ، وللوصول إلى المعرفة اليقينية فيها قوم يبحثه من مشكلات . فلم يكتفى القرآن بالدعوة إلى الملاحظة والنظر والتفكير في الطواهر الكونية ، وإنما أعطانا أيضاً مثالين واقعين للبحث التجربى ^(١) . وبالرغم من أن إبراهيم - عليه السلام - كان مؤمناً بالله تعالى . وبالبعث ، إلا أنه أراد أن يطمئن قلبه للإيمان بأن يشاهد بالتجربة الواقعية كيف يحيى الله تعالى المواقف .

**وَإِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّنِي كَيْفَ تُحْكِمُ الْعَوْنَىٰ قَالَ أَوْلَئِكُمْ قَوْنِينَ قَالَ بَلَّ
وَلَكُنْ لَّيَعْلَمُنَّ قَلَّىٰ ... ^(٢)**

ولم يستذكر الله تعالى طلب إبراهيم - عليه السلام - أن يرى بالتجربة الواقعية كيف يحيى المواقف ، فأجاب طله . قال تعالى :

**وَ.. قَالَ نَحْنُ نَخْذُ أَرْبَعَةَ مِنَ الظَّبَابِ فَصَرَّهُنَا إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْنَا عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُ
بُرْزَكًا ثُمَّ أَدْعَهُنَّ يَا تَبَّانَكَ سَعْيًا وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . ^(٣)**

وأشار القرآن أيضاً إلى واقعة أخرى أزال فيها الشك من قلب أحد بنى إسرائيل في البعث ، وذلك عن طريق المشاهدة الحسية الواقعية لعملية البعث .

**وَأَوْكَدَنِي مَرَّاً عَلَىٰ قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عَرْوَشَهَا قَالَ أَنِّي يَحْيِي هَذِهِ الْأَنْوَافَ
بَعْدَ مَوْتِهَا فَإِمَامَةُ اللَّهِ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعْشَرَ قَالَ كَرِبَّ لَيْلَتٌ قَالَ لَيْلَتُ يَوْمًا أوْ
بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْلَتٌ مِائَةَ عَامٍ فَلَا نَظَرٌ إِلَّا طَعَامَكَ وَشَرَابَكَ لَرْ لَيْسَنَةَ
وَأَنْظَرَ إِلَىٰ حَمَارَكَ وَلَنَجْعَلَكَ ظَاهِرَةَ النَّاسِ وَأَنْظَرَ إِلَىٰ الْعِظَامَ كَيْفَ تُنْشِزُهَا ثُمَّ
تَكْسُوهَا لَهُمَا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَنْظِمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَقَدِيرٌ . ^(٤)**

(١) أحمد حسين : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . بيروت : دار الشرق ، ١٩٦٠ ، ص ٢٧ .

(٢) البقرة : ٢٦٠ .

(٣) البقرة : ٢٦١ .

(٤) البقرة : ٢٥٩ .

وأشار القرآن أيضاً إلى ضرورة إقامة الدليل والبرهان في كل قضية عقلية يتبناها الإنسان .

﴿أَمْ أَتَحْكُمُوا مِنْ دُونِهِ ؟ إِنَّهُ فُلْلَةٌ هَاتُوا بِرْهَنَكُوكَ﴾ ..^(١)

﴿أَوَكُنَّا مَعَ اللَّهِ فُلْلَةٌ هَاتُوا بِرْهَنَكُوكَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ..^(٢)

كما أشار القرآن إلى ضرورة إقامة الدليل الحسي عن طريق المشاهدة أو التجربة في القضايا الحسية الواقعية^(٣) . فقد انتقد القرآن من قال إن الملائكة إثاث ، وطلب منهم الدليل الحسي الذي يثبت صحة قوله .

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهِدُوا لَهُمْ﴾ ..^(٤)

إن هذا التوجه الالهي إلى ضرورة إقامة البرهان ، وإلى أهمية اليقين عن طريق الملاحظة قد وضع الأساس الذي قام عليه البحث التجاري عند العلماء المسلمين والذي أخذوه عنهم فيما بعد العلماء الغربيون في مطلع النهضة العلمية الحديثة في أوروبا .

أخطاء التفكير :

إن التفكير معرض للخطأ . فقد يتعرض التفكير بعض العوائق فتجده عن طريقه السوي ، وتحول بينه وبين الوصول إلى الحقيقة . وإذا تراكم على الإنسان كثير من عوائق التفكير ، أصبح تفكيره بالجمود ، وأصبح غير قادر على تقبل الآراء والأفكار الجديدة . وإذا وصل الإنسان إلى هذه الحالة فقد التفكير قيمة العظيمة في حياته ، فلم يعد يؤدي وظيفته الطبيعية في عملية التمييز بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وفي اكتشاف المغناطيسي ، واكتساب العلوم ، والترقي بالإنسان في مدارج الرقي والكمال . وإذا تعطل تفكير الإنسان وجده فقد الإنسان الميزة الرئيسية التي تميزه عن الحيوان ، بل أصبح كالحيوان أو أضل سبيلاً .

(١) الأنبياء : ٢٤ .

(٢) النمل : ٦٤ .

(٣) يوسف القرضاوى : الرسول المعلم . دار الصحوة ، ١٩٨٤ ، ص ٣٨ .

(٤) الزخرف : ١٩ .

وَأَمْ كَتَبْ أَنْ أَكْرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِذْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ
أَصْلَ سَبِيلًا^(١)

ووصف القرآن هذه الحالة من جمود التفكير « بالطبع على القلوب » ، أو « بالختم » عليها ، أو بوضعها في « أكنة » ، أو بوضع « أقفال » عليها .

وَأُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأَنْذَبَهُمْ فِي
الْفَجْنَلُونَ^(٢)

«أَخْتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»^(٤)

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الظَّالِمِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

«أولئك يهدى اللذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لئن شاء أصبتهم
بِلُّورِيمْ وَطَبِيعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْعُونَ ◦ يِلَكَ الْفَرَغِيَ نَفْسٌ
عَلَيْكَ مِنْ أَنْهَاكَهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَإِنَّمَا يَرْجُو مِنْهُمْ إِيمَانًا سَكَلُوا
مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبِعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكُفَّارِينَ »^(٤)

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِهِ مَذَّاعِنَا إِلَيْهِ وَفِي أَذَاقِنَا وَقُرْبَةٌ مِّنْ بَيْنِ أَيْمَانِنَا
وَسَبِيلِكَ حَجَّابٌ فَأَعْتَلَ إِنْشَائِنَ عَنْلَوْنَ^(٧)

(٥) الأضرار : ٣٠٣ ، ١١ -

٥) نسلت :

القرآن : (٣)

۱۰۷

سال ۱۴۰۰

• 83 : 200 (5)

وَوَنْهُم مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْثَرَهُ أَن يَقْنَعُوهُ وَفِي هَذِهِمْ
 وَقُرَا وَإِن يَرَوْا كُلَّ عَلَقَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ..^(١)
 «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَهْلَفَتْ»^(٢)

وقد ذكر القرآن أهم العوامل التي تعيق التفكير وتؤدي إلى جموده ، فتحتاج إلى
 بينه وبين معرفة الحقيقة ، وبين إصدار الأحكام الصحيحة فيما ينظر فيه من
 الأمور . وهذه العوامل هي التمسك بالأفكار القديمة ، وعدم كفاية البيانات ،
 والتحيز الانفعالي والمعاطفي .

أ - التمسك بالأفكار القديمة :

إن التمسك بالأفكار القديمة ، وبما جرى عليه العرف والتقاليد ، من العوامل
 الهامة التي تسبب جمود التفكير وعدم تقبله لما يعرض عليه من أفكار جديدة .
 والإنسان يميل عادة إلى التمسك بما هو مألوف لديه ، وبما اعتاده من قبل
 ودرج عليه ، ويصبح تخليه عن عاداته وأفكاره القديمة أمراً يحتاج إلى قدر
 من الجهد والإرادة والعزم ، كما يتطلب القدرة على النظر إلى الأمور نظرة تحليلية
 محاذية تتمكنه من التمييز بين الحق والباطل . وليس هذا أمراً سيراً على كثير من
 الناس . وقد وصف القرآن تمسك كثير من الناس في جميع عصور التاريخ بـ^١
 بعقارنة آباءهم وعباداتهم ، وعدم قدرتهم على النظر في عقيدة التوحيد التي كان
 يدعونهم إليها الأنبياء والرسل بـ^٢ التخلص من قيود العادات والتقاليد والأفكار
 القديمة . فتقليد الآباء ، والتمسك بأفكارهم وعاداتهم وتقاليد them كان من
 العوامل الهامة في جمود تفكير كثير من الناس ، فلم يكن من السهل عليهم
 التخلص منها ، وقبول دين التوحيد الذي دعاهم إليه الأنبياء والرسل .

(١) الأئم : ٢٥ .
 (٢) حمد : ٢٤ .

﴿فَلَوْا أَجْتَنَا لِتَقْرِبَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ..﴾^(١)

﴿وَبَلْ قَاتَلُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَأَثْرَهُمْ مُهْتَدُونَ ○
وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْبَةٍ مِنْ نَذِيرٍ لَا يَقُولُ مُتَرْفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَأَثْرُهُمْ مُفْتَدُونَ﴾^(٢)

﴿وَإِذَا كِبَلَ الْحُمْمَ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَرْزَكَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَاتَلُوا حَسْبَنَا مَا
وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْكَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٣)
﴿وَإِذَا كِبَلَ الْحُمْمَ أَتَيْعُوا مَا أَرْزَكَ اللَّهُ قَاتَلُوا بَلْ نَثَرُ مَا أَنْفَقْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ
لَوْكَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٤)
﴿فَلَوْا أَجْتَنَا لِتَعْبُدَ اللَّهَ وَخَدْرُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا ..﴾^(٥)

﴿وَإِذَا نَشَلَ عَلَيْهِمْ هَايَتْنَا بَيْنِتْ فَلَوْا مَا هَلَدَ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصْدِرَ
عَنْ كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَّرِ ...﴾^(٦)

ولما كان جمود التفكير مضراً أكبر الفرار بالإنسان لأنّه يفقد الاستفادة من المخاصمة الرئيسية التي خصّه الله تعالى بها وميّزه بها عن الحيوان ، مما يهبط به إلى مستوى الحيوان ، بل إلى أدنى من مستوى الحيوان ، فقد حرص القرآن على حرمان الناس على التحرر من القيود التي تكبل تفكيرهم ، وتعطل عقولهم . وقد وجه القرآن نقداً لاذعاً إلى المشركين الذين كانوا يغلوون آباءهم في أنكارهم

(١) يوسف : ٧٨ .

(٢) الزمر : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) لقمان : ١٠٤ .

(٤) البقرة : ١٧٠ .

(٥) الأعراف : ٧٠ .

(٦) سليمان : ٤٣ .

وعقائدهم ، ويلغون عقولهم ، ويغسلون تفكيرهم ، فيقومون برفض كل فكرة جديدة دون أن يحاولوا التفكير فيها تفكيراً متحرراً من قيود التقليد . وقد سبق أن أشرنا إلى دعوة القرآن للناس إلى السير في الأرض ، وملاحظة ما في العالم من مخلوقات ، وإلى التأمل والتفكير في القواهر الكونية المختلفة . ولنست هذه الدعوة إلا دعوة إلى تحرير التفكير من القيود التي تكبّله ، وحثه إلى الانطلاق في آفاق المعرفة والبحث العلمي .

وحرص القرآن أيضاً على دعوة الناس إلى التحرر من الأوهام والخرافات التي تعطل التفكير وتوجه عن معرفة الحقيقة . فقد كان للعرب في الجاهلية بعض الخرافات التي تتعلق بنوع وعدد نسل الإبل والغنم . فإذا نسلت عدداً معيناً ، أو إذا نسلت إناناً فقط ، أو إذا نسلت ذكوراً وإناثاً معاً ، فإنهم كانوا بناء على ذلك يطلقون سراحها ، أو يمتنعون عن شرب لبنها . وقد نهى القرآن عن الأخذ بهذه الخرافات^(١) .

«مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةَ وَلَا كَسَبَةَ وَلَا حَامَ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ »^(٢)

ب - عدم كفاية البيانات :

ليس من الميسر للإنسان أن يفكر تفكيراً سليماً في موضوع ما ، دون أن تكون لديه البيانات الكافية والمعلومات الضرورية المتعلقة بالموضوع الذي يفكر فيه ، ولا يستطيع أن يصل بتفكيره إلى نتيجة سليمة دون أن تجتمع لديه الأدلة والبراهين

(١) محمد الهبي : الإسلام في حياة المسلم ، ط ٢ ، القاهرة : سكتبة و جهة ، ١٩٧٣ ، ص ١٩٧ - ١٩٩ .

(٢) المحدثة : ١٠٣ . جاء في تفسير ابن كثير : «البحيرة» : هي التي يمنع ذرها للطواحيت فلا يحلها أحد من الناس . والصادمة : كانوا يسيرونها لأنهم لا يحملون شيئاً والوصلة : الناقة البكر تذكر في أول تناول الإبل ثم تنتهي بعد بأنثى ، وكانت يسيرونها للطواحيت إن وصلت إحداها بال الأخرى ليس بينها ذكر . والحام : قحمل الإبل بضرب القراب المعدود ، فإذا تمضي ضرائب ودهره للطواحيت ، وأعنقوه من العمل ، فلم يتحمل شيء ، وهو العادي تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ١٠٧ .

الكافية التي تؤيد صحة ما يصل إليه من نتيجة . ويختلف الناس في مدى اتباعهم القواعد المنطقية السليمة في تفكيرهم وفي مناقشاتهم وفيما يصدرون من آراء وأحكام . والعلماء والحكماء من الناس وأصحاب الفطنة السليمة يصرخون أشد الشرج في إبداء الرأي أو إصدار الأحكام دون أن تكون لديهم الأدلة الواضحة البينة التي يستندون إليها فيما يصدرون من آراء وأحكام . غير أن كثيراً من الناس لا يبعون القواعد المنطقية السليمة في تفكيرهم ، فهم كثيراً ما يتعجلون في إبداء الرأي في الأمور دون أن تكون لديهم البيانات الكافية ، وكثيراً ما يتعجلون في إصدار الأحكام دون أن تجتمع لديهم الأدلة الواضحة التي تؤيد صحة ما يصدرون من أحكام . وإن عدم توافر البيانات والمعلومات والأدلة الكافية من العوامل الهامة ل الكثير من خطأ التفكير الشائعة بين الناس . وقد أشار القرآن إلى أهمية المعرفة بالموضوع في الوصول إلى الحق فيه ، ونهانا عن الكلام وإبداء الرأي فيما ليس لنا به علم . كما نهانا عن اتباع ما نسمعه من أقوال وآراء دون أن يكون لدينا علم بها ، ودون أن تتضح لنا الأدلة والبراهين على صحتها .

**«وَلَا تَنْقُضْ مَا لَيْسَ لِكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالثَّوَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ
عَنْهُ مَسْفُوكًا»^(١)**

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ طَلاقٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْءٍ مُّرِيبٍ»^(٢)

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ طَلاقٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتْبٍ مُّشَرِّرٍ»^(٣)

**«الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنْتُمْ كُلُّ مُقْتَنَى عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
الَّذِينَ إِذَا مَسَأْنَاهُمْ كَذَلِكَ يَتَّبِعُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّنْكَرٍ جَبَارٍ»^(٤)**

(١) الإسراء : ٣٦ لا تُنْقُضْ : أي لا تُنْقُضْ ولا تتبع ما ليس لك به علم .

(٢) الحج : ٣ .

(٣) الحج : ٨ .

(٤) خاتم : ٣٥ . «يُجَادِلُ سُلْطَانَ الْأَعْمَمِ» : أي «يُجَادِلُ دَلِيلَ وَجْهَةَ سَعْدِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى» . تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٢٩ .

**وَإِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيْ إِيمَانِنَا يُغَيِّرُونَ سُلْطَانَنَا أَتَهُمْ لَمَّا فِيْ صُدُورِهِمْ أَكْبَرُ مَا
مُمْرِنَ بِالْغَيْرِ فَأَسْتَعِدُ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ^(١)

وعندما لا تتوافر للإنسان جميع البيانات الهامة المتعلقة بالموضع الذي يفكّر فيه ، فإنه قد يلجأ إلى الظن ، وافتراض المحلول التي يتحمل أن تكون صحيحة أو خاطئة . وكثيراً ما يلجأ الإنسان إلى الظن في حكمه على الأشياء دون أن يكون على بيته من صحة ظنه ، وقد يتبيّن له فيما بعد خطأ ظنه . ولذلك ، فإن الظن ليس طريقة سليمة للوصول إلى الحقيقة ، بل لا بد من أن يحاول الإنسان أن يمحض ظنه على ضوء بيانات وأدلة جديدة ليتأكد من صحته أو عدم صحته . فالظن هو عبارة عن افتراض يتحمل الصحة والخطأ .

**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْفَارُهُمْ إِلَّا لَعْنًا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْتَقِي مِنَ الْحَقِيقَةِ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ مَا
يَعْلَمُ** ^(٢)

**وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَبَّ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَقْرِي مَا السَّاعَةُ إِن
تَنْزَلُ إِلَّا ظَنْنًا وَمَا لَهُنَّ بِعُسْتَقَيْنِ** ^(٣)

ولذلك فإنه من الضروري إلا ينساق الإنسان في تفكيره وراء ظنونه ، فكثيراً ما يكون الظن خاطئاً ، وليس الظن طريقة مأمونة للوصول إلى الحقيقة . وهذا هو معنى قوله تعالى في الآية التي ذكرناها سابقاً : «... إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِن
الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِيقَةِ» ^(٤) .

(١) غافر : ٥٦ .

(٢) يومن : ٣٦ .

(٣) الحادي : ٢٢ .

(٤) ترد كلمة الظن في القرآن بمعان ثلاثة . المعنى الأول هو التلميذ يغير يقينه واللدي لا يرجع صدقه . ومن أمثلة ذلك : «... وَإِن تَنْعِمْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِضُلُوكِهِ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ
أَلَا يَخْرُصُونَ» (الأنعام : ١١٦) . «أَلَا إِنَّهُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ اللَّهَنِ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ أَلَا يَخْرُصُونَ» (يومن : ٦٦) . «وَقُلْمِمْ»

ومن الضروري ، لكي يفكر الإنسان في موضوع ما تفكيراً سليماً يؤدي به إلى معرفة الحقيقة ، أن يقوم بجمع أكبر قدر من البيانات المتعلقة بهذا الموضوع عن طريق الملاحظة الدقيقة والبحث العلمي المنظم^(١) . وقد أشرنا سابقاً إلى اهتمام القرآن ببحث الإنسان على الملاحظة والتفكير والبحث العلمي .

ج - التحiz الانفعالي والعاطفي :

تؤثر ميول الإنسان ودوافعه وانفعالاته وعواطفه في تفكيره وتجعله يقع في أخطاء التحيز . وقد بيّنت بعض الدراسات التجريبية الحديثة في علم النفس حدوث أخطاء في التفكير نتيجة التحيز الانفعالي والعاطفي . ففي إحدى هذه التجارب قدمت إلى مجموعة من الطلبة بعض البراهين القياسية ، وطلب منهم أن يبيّنوا ما إذا كانت النتيجة تعتبر منطقية من المقدمتين المستخدمتين في القياس .

ـ زا نَّا مُسِّيْحَ عِيسَى اَنْ مَرِيمَ رَسُولُ اللَّهِ وَمَا كَطَّوْهُ وَمَا صَلَّوْهُ وَكَنَّ شَيْئَهُ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ حَظَّوْهُمْ فِي
الَّذِي شَكَّتْ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِمِنْ حِلٍّ إِلَّا اِتَّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا كَطَّوْهُ بِقَبْلَهَا ۝ (النَّاسَ : ١٥٧) . . . قَالَ لَهُ فَرَسُونَ
إِنِّي لَأَظْنُكُ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ۝ (الْإِسْرَاءَ : ١٠١) . . . تَعْلَمُ إِنَّ اللَّهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظْنُكُ مِنَ
الْكَافِرِينَ ۝ (الْقُصُصُ : ٣٨) . . . وَالْمَعْنَى الثَّالِثُ هُوَ الْعِلْمُ بِغَيْرِ يَقِينٍ ، وَالَّتِي يَحْصُلُ عَلَيْهِ الصَّدْقُ وَالْخَلْفُ .
هُوَ الْرَّاضِي بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَدَلَّةً لِتَأْيِيْدِهِ أَوْ تَفْنِيْدِهِ . وَالظَّنُّ بِهِلَا الْمَعْنَى مُعَالِلٌ لِلْقَرْضِ ۝ الْعِلْمُ الَّتِي سُقِّ
أَنْ تَكَلَّمَ عَنِهِ أَنَّهُ كَلَامًا عَنِ الْحَطَّوَاتِ حَصْلَةِ التَّكْرِيرِ . وَمِنْ أَمْثَالِ الظَّنِّ هُوَ الْمَعْنَى الْأَيَّانِ الْأَثَانِ
ذَكَرِيَّاهَا فِي مِنْ الْكِتَابِ . وَالْمَعْنَى الْأَثَلُ ثُمَّ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يَرْجُعُ مِنْهُ . أَوْ الْعِلْمُ مَعَ الْيَقِنِ بِصَدَقَةِ .
وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ : «وَاسْتَعِنُو بِالصَّبَرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّمَا لَكِبِيرَةُ إِلَّا عَلَى الْمُخَاهِنِ ، لِلَّذِينَ يَقْتَلُونَ أَنْهُمْ مَلَائِكَةٌ»
رَبُّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ (الْبَرَّةَ : ٤٥ ، ٤٦) . . . قَالَ الَّذِينَ يَظْلَمُونَ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ كُمَّ مِنْ
نَّفَقَ قَلِيلٌ عَلَيْهِ كَثِيرٌ يَأْذِنُ اللَّهُ وَآتَهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ (الْبَرَّةَ : ٢٤٩) . . . وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَلَّوْهَا
أَنَّهُمْ مَوَالِسُهُمْ وَلَمْ يَجْلِوْهُمْ هَذِهِ نَصْرَفَةً ۝ (الْكَهْفَ : ٢٥) . . . وَرَضَلَ هُنْمَنْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَلْ وَظَلَّوْهَا
مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ۝ (الْهُجَّةَ : ٤٨) .

(١) كان اهتمام القرآن ببحث الناس على الملاحظة والاستقراء والبحث العلمي من أهم العوامل التي دفعت المفكرين المسلمين إلى تحصيل العلوم بجهد وإجتياز ، ويقول مفتاحه ومحوره من القيد الذي كانت تكبل مقول المفكرين الأوروبيين في ذلك الوقت مما ماحد حل سرعة التقدم العلمي بين المسلمين . ولقد كان لهذه النهاية العلمية بين المسلمين أكبر الأثر فيما بعد في إيقاظ الفكر الأوروبي ليأخذ صدور النهاية الأوروبية . فقد استعاد المفكرون الأوروبيون بجهود المفكرين المسلمين ومؤلفاتهم العلمية في ميادين العلوم المختلفة ، كما استعادوا بهجههم في البحث . وكانت كتب الطمامه المسلمين تدرس في الجامعات الأوروبية خلال العصور الوسطى حتى قبل النهاية الأوروبية الحديثة .

وكان نصف هذه البراهين القياسية يتعلّق بأمور الحياة العادلة ، ونصفها الآخر يتعلّق بأمور من شأنها أن تثير الانفعال . وتبين من نتائج هذه التجربة أن جميع الطلبة وقعوا في عدد من الأخطاء في البراهين المثيرة للانفعال أكثر من عدد الأخطاء التي وقعا فيها في البراهين الأخرى العادلة غير المثيرة للانفعال . وتوضّح نتائج هذه التجربة أن حالتنا الانفعالية والعاطفية تؤثّر في تفكيرنا ونميل به إلى التحيز والوقوع في الخطأ فيما يصدره من أحكام^(١) .

وقد أشار القرآن إلى تأثير الهوى في الإنسان ، وما يؤدي إليه من الانحراف بتفكيره عن اتجاهه السليم ، فيصل سبيله ويعجز عن التمييز بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وبين المهدى والضلال .

«فَإِنْ لَرْبَسْتَ جِبِيلًا كَمَا فَاعَلَمْ أَنْتَ يَتَبَعُونَ هَوَاهُمْ وَمَنْ أَصْلَى مِنْ
أَنْبَعَ هَوَاهُ يُغَيِّرُ هُدًى مِنَ اللَّهِ...»^(٢)

«يَنَّدَاوِدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيقَةً فِي الْأَرْضِ فَاخْخُمْ بَيْنَ النَّاسِ يَأْتِيَنَّ وَلَا
تَأْبِعَ الْمَوْتَى فَيُضْلِكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...»^(٣)
«فَلَا تَنْبِغِي الْهَوَى أَنْ تَعْدُلُوا...»^(٤)

«أَفَرَجَيْتَ مِنَ الْكَذَّابِهِ هَوَاهُ وَأَنْشَأَهُ اللَّهُ عَلَى طِيرٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ
وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَنَّ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ»^(٥)
«إِنَّ هَى إِلَّا أَنْسَآءٌ سَمِّيَّتْهَا أَنْتُمْ وَهَبَّا وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنْ

(١) محمد عثمان مجاهي : مرجع سابق ، ص ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

(٢) المقصص : ٥٠ .

(٣) ص : ٢٦ .

(٤) النساء : ١٣٥ .

(٥) الطلاقية : ٢٣ .

يَتَّبِعُونَ إِلَّا أَهْلَنَ وَمَا تَهْوِي الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْمُدْرِئَ^(١)

وَبَلَّ أَتَبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاهُمْ يَغْيِرُ عَلَيْهِمْ^(٢)

إن اتباع الموى ، والتأثير بالميول النفسية ، وبالحالة الانفعالية يميل بالإنسان إلى التحيز في رأيه وفيها يصدره من أحکام . ويؤدي ذلك عادة إلى اختفاء التفكير . ولذلك . كان من الضروري للمنظر ، لكي يهتدى إلى الحقيقة ، أن يتحرر من تأثير ميوله وانفعالاته وتعصباته التي تكبل تفكيره وتعوقه عن الوصول إلى الحقيقة .

(١) النجم : ٢٣ .

(٢) الرعد : ٢٩ .

الفَصْلُ الْخَامِسُ

الْقُرْآنُ فِي التَّعْلِمِ

من فضل الله تعالى على الإنسان أنه زوده كذلك - بالإضافة إلى نعمة الإدراك الحسي والتفكير - باستعداد فطري للتعلم واكتساب المعرفة والعلوم والمهارات والصناعات مما يزيد من قدراته على تحمل مسؤولية الحياة على الأرض وعمارتها ، وما يسكنه من تنمية قدراته ومهاراته بما يكفل له بلوغ ما شاء الله تعالى له من الكمال الإنساني .

مصادر العلم :

ويكتب الإنسان العلم أو المعرفة من مصادرين رئيين : مصدر إلهي ، ومصدر بشري . وهذان النوعان من العلم متكملان ، ويرجعان أساساً إلى الله سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان ، وأمده بأجهزة وأدوات للإدراك واكتساب العلم ^(١) . ونعني بالعلم الصادر من مصدر إلهي ذلك النوع من العلم الذي يأتينا مباشرة عن الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحي أو الإلهام أو الرؤيا الصادقة . ونعني بالعلم الصادر من مصدر بشري ذلك النوع من العلم الذي يتعلمه الإنسان من خبراته الشخصية في الحياة ، ومن اجتهاده الخاص في الاستطلاع واللاحظة ومحاولة حل ما يحيط به من مشكلات عن طريق المحاولة والخطأ ، أو عن طريق التربية والتعليم من والديه ومن المؤسسات التعليمية ، أو عن طريق البحث العلمي . غير أن هذا العلم الذي نحصل عليه نتيجة اجتهادنا البشري ، هو أيضاً ، في الحقيقة ، مستمد من الله تعالى ، فهو جل شأنه الذي يهدى بآدوات الإدراك التي نحصل بها العلم ، وهو الذي يهدى إلى ارتقاء المالك الصحيحة للوصول إلى العلم ، وهو الذي يهدى إلى اليقين بما نصل إليه من نتائج .

(١) عبد الفتاح جلال : من الأصول التربوية في الإسلام . المركز الدولى للتعليم الرظيفى للكبار في العالم العربي بجمهورية مصر العربية ، ١٩٧٧ ، ص ٩٤ .

وسوف نتناول في هذا الفصل العلم الذي يتعلم الإنسان بجهوده البشري ، مرجحين الكلام عن العلم الذي يتعلم الإنسان من الله سبحانه وتعالى مباشرة عن طريق الوحي أو الإلهام أو الرؤيا الصادقة إلى الفصل التالي .

تعلم اللغة :

إن من أعظم النعم التي خص الله تعالى بها الإنسان ، وميزة بها على الحيوان هي قدرته على تعلم اللغة . فاللغة هي آداة الإنسان الرئيسية في التفكير واكتساب المعرفة وتحصيل العلوم . فاللغة ، باعتبارها رموزاً للمفاهيم ، قد مكنت الإنسان من تناول جميع المفاهيم في تفكيره بطريقة رمزية ، مما ساعده على أن يحقق ما حققه من تقدم هائل في اكتساب المعرفة وتحصيل العلوم والصناعات المختلفة .

وستطيع الحيوانات الثديية أن تكون المفاهيم . فقد بيّنت دراسات علماء النفس المحدثين أن الحيوانات الثديية تستطيع أن تستجيب استجابة معينة لشكل المثلث فقط من بين مجموعة من الأشكال الهندسية الأخرى المختلفة ، مما يدل على أن الحيوان استطاع أن يكون مفهوم «المثلث» . غير أن الحيوان لا يستطيع أن يتعلم «كلمة» ترمز إلى مفهوم المثلث . والأطفال الصغار قبل تعلمهم اللغة يستطيعون ، مثل الحيوان ، أن يكونوا مفاهيم قبل أن يتعلموا كلمات ترمز إليها^(١) . ولكن حينما يبدأ الطفل في تعلم اللغة فإنه سرعان ما يكون لنفسه حصيلة لغوية تمكنه من تناول المفاهيم المختلفة بسهولة في تفكيره بما يتجاوز حدود المكان والزمان ، فتزيد بذلك قدرته على التفكير في الماضي والمستقبل ، وتعلم أشياء جديدة ، واكتشاف العلاقات بين الأشياء ، واستبطاط المبادئ والقوانين ، والاختراع والابتكار .

تعلم آدم للغة :

ولما كان للغة هذا القدر العظيم من الأهمية في حياة الإنسان ، وفي تمكينه من التقدم المستمر في تعلمها وتفكيرها ، فقد كان أول شيء علمه الله تعالى لأدم عليه السلام هو أسماء جميع الأشياء :

(١) محمد عثمان نجاشي : مرجع سابق ، ص ٢٥٨ .

وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا فَمِنْ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ قَالَ أَلِغُرُونِي بِأَسْمَاهُ
 مَتَّلِّاً إِذْ كُنْتُ مُنْدِيقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا
 إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَكْنَادُمُ أَنْوَهُمْ رَأْسَاهُمْ فَلَمَّا أَنْبَأْتُمُ
 رَأْسَاهُمْ قَالَ أَلَا تَقْرَأُنِي أَلِمْ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاعْلَمُ مَا تَبَدَّلُونَ وَمَا
 كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝^(١)

وتعلم أسماء الأشياء يعني تعلم «كلمات» ترمز إلى مفاهيم أو معانٍ كلية .
 فنحن حينما نطلق اسم «حصان» على مجموعة معينة من الحيوانات ، فإننا
 نستخدم رمزاً لغوياً يدل على مفهوم أو معنى كلي ينطبق على جميع الأصناف
 الأخرى . وعلى ذلك فإننا نفهم من قوله تعالى : «وعلم آدم الأسماء كلها»
 أنه علمه اللغة التي يسمى بها الأشياء كلها ، أي علمه الأسماء التي ترمز إلى
 مفاهيم .

وتعلم «اسم» يرمز إلى مفهوم معين يتضمن معرفة الصفات والخصائص
 التي يشارك فيها جميع أفراد النوع الذي يشمله هذا المفهوم . فنحن حينما نتعلم
 استخدام كلمة «حصان» لنشير بها إلى جميع الأصناف التي نراها ، فإن ذلك
 يتضمن أننا قد تعلمنا من قبل أن جميع الأصناف التي شاهدناها تشارك في صفات
 معينة . ولذلك فإننا نفهم أيضاً من قوله تعالى : «وعلم آدم الأسماء كلها»
 أنه تعالى قد علمه أيضاً صفات هذه الأشياء وخصائصها وأفعالها^(٢) .

وعملية التعلم هذه التي مر بها آدم أبو البشرية عليه السلام إنما يمر بها أيضاً
 جميع أفراد ذريته من بعده . فالإنسان يلاحظ منذ طفولته أن بعض الأشياء
 تتشابه في بعض الخصائص ، وتختلف عن غيرها في بعض الخصائص الأخرى .
 ولا يستطيع الإنسان أن يدرك كل هذه الأشياء الكثيرة التي حوله وأن يستجيب

(١) البقرة : ٣١ - ٣٣ .

(٢) يقول ابن كثير في تفسير ذلك : «... علمه أسماء الأشياء كلها ، خواصها وصفاتها وأنماطها» . تفسير
 ابن كثير ، ج ١ ، ص ٧٢ - ٧٥ .

لها باعتبار أن كلًا منها مستقل عن الآخر ، بل إنه يميل إلى تبسيط عملية إدراكه لهذه الأشياء الكثيرة التي حوله وذلك بجمع الأشياء المشابهة في بعض الحالات في مجموعة أو نوع معين ويكون لها مفهوماً معيناً ، ويطلق عليها اسمًا معيناً ، ويستجيب لها جميعاً استجابة معينة . وهكذا يقوم الإنسان بتصنيف الأشياء لتقليل الكثرة والتعقيد في الأشياء التي حوله ، وذلك بتبسيطها عن طريق تكوين «مفهوم» يمثل عدة أشياء كثيرة ، وتكون «اسم» يرمز لهذا المفهوم . وقد ساعدت قدرة الإنسان على تعلم اللغة على سرعة تكوينه للمفاهيم ، وعلى استخدامها في عملية التفكير ، وفي تعلم معلومات جديدة^(١) . فباستخدام المفاهيم في التفكير ، وباستخدام الكلمات كرموز لهذه المفاهيم استطاع الإنسان أن يتناول جميع الأشياء في تفكيره بطريقة رمزية ، كما استطاع أن يقوم في تفكيره بعملية التحليل والتركيب ، والمقارنة والتمييز ، واكتشاف العلاقات ، واستخلاص المبادئ والقوانين ، مما ساعد على سرعة تطور البحث العلمي وتقديمه .

وللتنبيه بأهمية تعلم اللغة في حياة الإنسان فإن أول سورة نزلت من القرآن الكريم كانت تحت عل القراءة ، وتشير إلى فضل الله تعالى على الإنسان إذ أوجد في طبيعته القدرة على تعلم اللغة ، وتعلم القراءة والكتابة والعلوم والصناعات المختلفة ، والهدي والإيمان ، وما لم يكن يعلم الإنسان من قبل أن يهديه الله تعالى إلى تعلم ما وصل إليه من علم . قال الله جل شأنه :

**﴿أَقْرَأَ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ أَفَرَا
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ الَّذِي عَلِمَ بِالْقِلْمَنْ ﴾ عَلِمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢)**

وقوه القرآن أيضًا بتميز الإنسان عن غيره من المخلوقات بالقدرة على تعلم اللغة واستخدامها في الإياغة عنها في نفسه من أنكار .

«خَلَقَ الْإِنْسَنَ عَلَىٰ الْبَيَانِ»

(١) محمد عثمان نجاشي : مرجع سابق ، ص ٢٥٨ .

(٢) الرحمن : ٢ - ٣ .

(٢) المثل : ١ - ٢ .

تعلم إرادة الاختيار واتخاذ القرار :

وأراد الله سبحانه وتعالى أيضاً أن يعلم أبوينا آدم وحواء عليهما السلام بعض العادات السلوكية المفيدة في حياتهما ، والتي تلائم طبيعة تكوينهما الإنساني من مادة وروح ، وما قد ينشأ عنهما من صراع بين مطالب كل من البدن والروح . فقد أرادت مشيئة الله تعالى أن يعلمهما إرادة الاختيار واتخاذ القرار ، وتحمل مسؤولية ما يقومان به من اختيارات ، وما يتخلدانه من قرارات ، وذلك بأن نهائهما عن الأقرب من الشجرة .

«وَقُلْنَا يَكُفَادُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا تَحْتَ شِيشَةٍ
وَلَا تَنْقُرْ بِاهْدِهِ الشَّجَرَةِ فَكَوْنُوكُمَا مِنَ الظَّالِمِينَ ○ فَازْلَمْمَا الشَّيْطَنُ عَنْهَا فَأَنْجَرَهُمَا
إِبْرَاهِيمَ فِيهِ وَقُلْنَا أَهْبِطُوكُمَا بَعْضَكُمْ لِعَيْنِ عَدُوٍّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمُنْتَهٌ
إِلَى حِينٍ ○ قَلَّتْ هَادِمٌ مِنْ رَبِّهِ كَمِئَتْ قَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ أَكْوَابُ الرَّحْمَةِ »^(١)

ومن الواضح أن مثل هذا التعلم كان ضرورياً لتدريب أبوينا آدم وحواء عليهما السلام وتهيئهما لحياتهما فيما بعد على الأرض ، وهو أمر كان مقدراً لهم في علم الله تعالى . فهمما في حياتهما على الأرض سيواجهان كثيراً من الواقع التي تتطلب منها أن يتخلدا منها موقفاً ، وأن يصدرا فيها حكماً ، وأن يقوما إزاءها بالاختيار بين بدائل مختلفة ، وعليهما أن يتحملوا مسؤولية اختياراتهما وقراراتهما .

طرق التعلم في القرآن

يتعلم الإنسان بطرق مختلفة . فقد يتعلم عن طريق التقليد . فالطفل عادة يقلد والديه ويتعلم منها كثيراً من العادات وأنساط السلوك . ويتعلم الإنسان أيضاً عن طريق التجربة العملية أو المحاولة والخطأ كثيراً من الحلول المفيدة

(١) البقرة : ٣٧ - ٣٥ .

لشكلات حياته ، وما ينفعه في أمور معاشه . وقد يتعلم الإنسان أيضاً عن طريق التفكير والاستدلال العقلي .

التقليد :

يتعلم الإنسان كثيراً من سلوكه وعاداته في المرحلة المبكرة من حياته عن طريق تقليد والديه وإخوته . فهو ، مثلاً ، يبدأ تعلمه للغة بمحاولة تقليد والديه وإخوته في النطق ببعض المقاطع الصوتية التي يكررونها أمامه عدة مرات . كما يبدأ تعلمه المشي بمحاولة تقليد والديه وإخوته فيما يقومون به من اعتدال القامة ، وحركات القدمين والساقين . وهكذا يتعلم الإنسان كثيراً من عاداته وسلوكه عن طريق تقليد أفراد أسرته .

وقد ذكر القرآن مثلاً بين كيف يتعلم الإنسان عن طريق التقليد ، وذلك حينما قتل قابيل أخيه هابيل ولم يعرف كيف يتصرف في جنة أخيه ، فبعث الله تعالى له غرابة يعيش في الأرض ليدفن غرابة ميتاً ، فتعلم منه قابيل كيف يواري جنة أخيه .

«فَبَعَثَ اللَّهُ عَرَابِيَا يَسْعَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيهِ كَيْفَ يُؤْرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَاتِلَ بَنَوَتَّقَ أَبْغَزَتْ أَنَّ أَحْكُونَ مِثْلَ هَذَا الْفُرَابِ فَأَوْرِي سَوْءَةَ أَمِيْنَ فَأَصْبَحَ مِنَ الْأَنْذِيمِينَ»^(١)

ولما كان الإنسان يميل بطبيعته إلى التقليد ، ويتعلم كثيراً من سلوكه عن طريق التقليد ، كانت للقدوة الحسنة أهمية كبيرة في التربية والتعليم . وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام قدوة حسنة للصحابة رضي الله عنهم ، يتعلمون منه كيف يؤدون العبادات . فكانوا يردونه ، مثلاً ، وهو يتوضأ ، وهو يصل ، وهو يقوم بشعائر الحج ، وكانوا يتعلمون منه كيف يقومون بهذه العبادات عن طريق تقليده والاقتداء به . وعن أبي حازم رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام

(١) المائدة : ٣١ .

صلى مرة على المنبر ، ولا انتهى من صلاته أقبل على الناس فقال : « يا أيها الناس إني إنما صنعت هذا لتأتمنوا بي وتعلمتموا صلاتي »^(١) . وقد كان عليه الصلاة والسلام فدورة حسنة للصحابة رضي الله عنهم ، يقتدون به ، ويتعلمون منه ، ليس فقط شعائر العبادات ، وإنما كانوا يتعلمون منه كذلك حسن السلوك ، ومكارم الأخلاق ، وآداب التعامل الإنساني على وجه عام . وقد أوصانا القرآن بالاقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام والتعلم منه .

«لَقَدْ كَانَ لَكُورْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَأُهُنَّ مَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْأَيْمَرْ وَذِكْرُ اللَّهِ كَثِيرًا»^(٢)

طالب القرآن المسلمين بالاقتداء بآبراهيم عليه السلام والذين معه في تبرئتهم من قومهم المشركين ، ودعاهم أن يكتفوا مثله عن ولائهم لأقوامهم من المشركين .

«فَلَدَّ كَانَ لَكُورْ أَسْوَأُهُنَّ حَسَنَةً فِي إِلَزَمِهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَإِذْ قَاتُلُوا قَوْمَهُمْ إِنَّا هُنَّا فِي أُولَئِنَاءِ مِنْكُورْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُورْ وَبِمَا يَكْتُبُنَا وَبِمَا يَكْتُبُ الْمَدْعَوَةُ وَالْمُبَقْضَاءُ أَبْدَأَ حَقًّا تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَمَا يَنْهَا...»^(٣)

«لَقَدْ كَانَ لَكُورْ فِيهِمْ أَسْوَأُهُنَّ مَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْأَيْمَرْ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»^(٤)

طالب القرآن النبي عليه الصلاة والسلام بأن يقتدي بالأئباء والرمل السابقين فيما هدتهم الله تعالى إليه من عقيدة التوحيد وفضائل الأعمال .

(١) الحديث رقم ٤٠٨ . مختصر صحيح سلم للمحافظ المنظري .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

(٣) المسحة : ٤ .

(٤) المسحة : ٦ .

«أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِنَّ شُهُمْ أَفْتَدِي ..»^(١)

ويتعلم الإنسان عن طريق القدوة الحسنة عاداته الحسنة وأخلاقه الكريمة ، كما يتعلم عن طريق القدوة السيئة عاداته السيئة وأخلاقه القبيحة . وقد سبق أن أشرنا أثناء كلامنا عن جمود التفكير في الفصل الرابع الخاص بالتفكير في القرآن إلى أن الاقتداء بالأباء في عبادتهم ، والاتساع بآرائهم وتقاليدهم كان من العقبات التي عانى منها الرسل والأنبياء في جميع العصور وحالت دون قبول المشركين للدعوة التوحيدية .

التجربة العملية والمحاولة والخطأ :

ويتعلم الإنسان أيضاً عن طريق التجربة العملية في مواجهة مشكلات الحياة المختلفة ، ومحاولة حلها والتغلب عليها . ويقابل الإنسان دائماً في حياته مواقف جديدة لم يتعلم من قبل كيف يستجيب لها ، أو كيف يتصرف فيها . ويتوافق الإنسان دائماً مثل هذه المواقف الجديدة بأن يحاول أن يستجيب لها باستجابات مختلفة ، فيخطئ في بعضها ، وقد يصيب أحياناً . وهكذا يتعلم الإنسان دائماً ، عن طريق ما يسميه علماء النفس المحدثون المحاولة والخطأ (أو الإشراط الإيجاري) ، استجابات جديدة للمواقف الجديدة ، وحلولاً لما يقابلها من مشكلات في حياته العملية .

ولقد حثَ القرآن الإنسان في كثير من آياته على السير في الأرض ، والملاحظة والتفكير في آيات الله في الكون . وقد ذكرنا كثيراً من هذه الآيات من قبل في الفصل السابق الخاص بالتفكير في القرآن . ولا شك أن اهتمام القرآن بدعاة الناس إلى الملاحظة والتفكير في الكون وما فيه من مخلوقات إنما يشير بوضوح إلى اهتمام القرآن بدعاة الناس إلى التعلم عن طريق ملاحظتهم للأشياء وتجربتهم العملية في الحياة ، وعن طريق تعاملهم مع الكون وما فيه من مخلوقات وأحداث ،

(١) الأنسام : ٩٠ .

سواء كان ذلك عن طريق التجربة العملية والمحاورة والخطأ (أو الإشراط الإجرائي) ، أو عن طريق التفكير وهو ما سوف تناوله فيما بعد .

وقد أشار النبي عليه صلوات الله وسلامه إلى أهمية التعلم من التجربة العملية في الحياة . فعن عطية بن عبد الله رضي الله عنه قال : « مرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رؤوس التخل فقال : « ما يصنع هؤلاء ؟ » ، فقالوا : يلتهمون الذكر في الأثنى فيتتفتح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أظن ينفع ذلك شيئاً » ، قال : فأخبروا بذلك فتركته ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال : « إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوا ، فإني إنما ظنت ظناً ، فلا تتواخلوني بالظن ، ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخلوا به ، فإني لن أكذب على الله عز وجل »^(١) . وفي رواية أخرى قال : « أنت أعلم بأمور دنياكم »^(٢) . وقول الرسول عليه صلوات الله وسلامه : « إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوا » ، وقوله كذلك : « أنت أعلم بأمور دنياكم » ، إنما يشير إلى تعلم الإنسان عن طريق التجربة العملية استجابات جديدة لما يقابلها من مواقف جديدة ، وحلولاً لما يواجهها من مشكلات في حياته العملية . وإلى هذا النوع من التعلم عن طريق التجربة العملية أو المحاجة والخطأ يشير القرآن بقوله :

« يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ »^(٣)

ويقول القرطبي في تفسير « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا » : « يعني أمر معاشرهم ودنياهم : متى يزورونه ومتى يحصلون ، وكيف يفسرون وكيف يبنون »^(٤) . وقال ابن كثير في تفسير ذلك : « أي أكثر الناس ليس لهم علم

(١) صحيح سلم بشرح النووي ، كتاب الفضائل ، ج ١٥ ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٣) الروم : ٧ .

(٤) تفسير القرطبي ، ج ١٤ ، ص ٧ .

إلا بالدنيا وأكسابها وشزونها وما فيها ، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها ^(١) .

التفكير :

ويتعلم الإنسان أبضاً عن طريق التفكير . فحينما يفكر الإنسان في حل مشكلة معينة فإنه يقوم في الواقع بنوع من المحاولة والخطأ ذهنياً . فهو يستعرض في ذهنه الحلول المخطوطة للمشكلة ، ويرفض الحلول الخاطئة أو غير الملائمة ، ثم يختار الحل الذي يراه ملائماً وصحيحاً . فعن طريق التفكير يتعلم الإنسان حلولاً جديدة لمشكلاته ، ويكتشف علاقات بين الأشياء والأحداث ، ويستطيع مبادئ ونظريات جديدة ، ويهتدى إلى ابتكارات واختراعات جديدة . ولذلك يسمى بعض علماء النفس المحدثين عملية التفكير « عملية التعلم العليا » .

والمناقشة والحوار واستشارة أهل الرأي من العوامل التي تساعد حل توضيع التفكير مما يؤدي إلى الاهتداء إلى الحق ، والوصول إلى حلول سليمة للمشكلات التي تبحث . وقد حثَ القرآن على الشورى ، ونَهَا بفضل المؤمنين الذين يشاورون في أمورهم بغية الوصول إلى الحق وتحقيق العدل في المجتمع .

« وَالَّذِينَ أَسْتَعْجَلُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقْامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمَا رَأَقْنَاهُمْ يَتَفَقَّعُونَ » ^(٢)

وطالب الله جل شأنه النبي عليه صلوات الله وسلامه أن يستشير أهل الرأي من الصحابة رضي الله عنهم :

« .. وَشَارِرُهُمْ فِي الْأُمْرِ .. » ^(٣)

(١) تفسير ابن كثير ، جد ٣ ، ص ٤٢٧ .

(٢) الشورى ٣٨ .

(٣) آل عمران : ١٥٩ .

واستخدم القرآن أسلوب المناقشة والمحوار مع المشركين ، وساق لهم الأدلة العقلية التي ثبت بطلان عبادتهم للأوثان بغية إثارة تفكيرهم في أمر آلهتهم ، وبهدف إقناعهم بوضاحتها وحقارتها وعجزها حتى يتضح لهم عدم جدارتها بالألوهية . ومن أمثلة ذلك :

« أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَحْلِقُ شَيْئًا وَهُمْ بِهِ لَغُورٌ ① وَلَا يَسْتَطِعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا
أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ② وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكَ سَوَاءً أَعْلَمُكُمْ
أَدْهَمُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَلِيمُونَ ③ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هُنَّ
أَنَّاسٌ كُفَّارٌ فَلَا دُعْوَهُمْ قَلِيلٌ تَجْبِيرًا لَكُفَّارٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ④ الْمُمْأَذُونَ
يَمْشُونَ رَهْبًا أَمْ لَهُمْ أَنْدَيْتِهِنَّ رَهْبًا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبَصِّرُونَ رَهْبًا أَمْ لَهُمْ
هَاذَا نَيْسَانٌ يَسْمَعُونَ رَهْبًا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاهُ كُفَّارٌ لَمْ يُكِنُوكُنْ فَلَا يُنْظَرُونَ ⑤ »

وساق القرآن أيضاً كثيراً من الحجج والبراهين العقلية لايقاظ العقل البشري ودفعه إلى التفكير والتأمل في ملكوت الله تعالى . وتوجيهه إلى الاستدلال من بديع خلق الله على وجود الآلهة الخالق المبدع .

« أَفَلَا يَنْظَرُونَ إِلَى الْأَيْلَلِ كَيْفَ خُلِقُتِ الْمَاءُ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتِ ⑥
وَإِلَى الْجَبَالِ كَيْفَ نُصِبَتِ ⑦ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِّحَتِ ⑧
أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَيَّنَاهَا وَمَا لَمْ يَرَى
مُرُوجٌ ⑨ وَالْأَرْضَ مَدَدَنَاهَا وَأَقْيَنَا فِيهَا رَوَابِقَ وَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجٍ بَيْنَهُ ⑩ تَصْرَرَهُ وَذِكْرِي لِكُلِّ عَدْمٍ نَبِيِّ ⑪ وَرَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَا هُوَ
مُبَرَّكٌ كَمَا أَنْبَتَنَا يَهُ وَجَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحِصْدِ ⑫ وَالنَّعْلَ بِكَيْسَنْتِ مَلَكِ
مَلْكَعٍ نَيْضِيدُ ⑬ »

① - ١٠ .

② (١) العاشرة . ١٧ - ٢٠ .

١٩٥ - ١٩٦ (٢) الأعراف .

وجادل القرآن المشركين ، وفند أباطيلهم ، وأقام عليهم الحجة على وحدانية الله تعالى .

، لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَكَفَسْدَتَا ..^(١)
وَمَا الْحَدَادُ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعْهُ مِنْ إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يَمْبَثْ كُلُّ إِلَّهٍ إِمَّا خَلَقَ
وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصْفُرُ ،^(٢)

ومن هذه الأمثلة القليلة التي ذكرناها من حوار القرآن وجadelه مع المشركين والمعارضين للإسلام يتبيّن اهتمام القرآن بتنمية العقل البشري وتوجيهه إلى التفكير والتأمل لقبول الإسلام عن اقتناع عقلي ، واطمئنان قلبي .

مبادئ التعليم في القرآن

تم عملية التعليم في يسر ونجاح إذا ما توافرت مبادئ معينة . وقد تتعذر عملية التعليم ، وقد تفشل إذا لم تتوافر هذه المبادئ . وإذا درست المنهج الذي اتبّعه القرآن في دعوته لعقيدة التوحيد ، وفي تربيته للمؤمنين وغرس المبادئ والقيم الإسلامية في نفوسهم ، لامستطعنا أن نستخلص من هذا المنهج بعض المبادئ الهامة لعملية التعليم التي استخدمنها القرآن في تغييره لسلوك المؤمنين ، وفي تعليمهم العقائد والقيم الإسلامية . وسرى أن هذه المبادئ التي استخدمنها القرآن في التربية الروحية للمؤمنين لم يكتشف عليها النفس عن أهميتها في عملية التعليم إلا أخيراً في أوائل القرن العشرين . وسنحاول فيما يلي أن نستعرض مبادئ التعليم في القرآن .

(١) الآية : ٤٤

(٢) الآية : ٩١

الدافع :

للداعم أهمية كبيرة في العلم . فإذا توافر الداعم القوي للحصول على هدف معين ، وتوافرت الظروف المناسبة ، قام الإنسان ببذل الجهد الضروري لتعلم الطرق الصحيحة للوصول إلى هذا الهدف . وإذا جابه الإنسان مشكلة ، وشعر بحاجة شديدة إلى حل هذه المشكلة ، فإنه يقوم في العادة بكثير من المحاولات لحل هذه المشكلة ، حتى ينتهي به الأمر إلى نعلم الحل الصحيح لهذه المشكلة . وقد بنت كثيرون الدراسات التجريبية التي أجريت حديثاً على الحيوان والإنسان أهمية الدافع في حدوث التعلم . وقد استخدم القرآن في تربية الروحية المسلمين أساليب مختلفة في إثارة دوافعهم إلى التعلم . فاستخدم الترغيب والترهيب ، واستخدم الفصص للتشويق ، كما استعان بالأحداث الجارية الهامة التي تثير دافع الناس وتفعل اناتهم وتجعلهم متلهفين لتعلم العبرة من هذه الأحداث .

أ - إثارة الدافع بالترغيب والترهيب :

حينما يكون لدى الإنسان دافع قوي للحصول على هدف ما ، فإن الحصول على هذا الهدف الذي يشجع دافعه يعتبر ثواباً أو مكافأة تسبب الشعور باللذة ، أو السرور والرضا . والفشل في الحصول على هذا الهدف يعتبر نوعاً من العقاب الذي يسبب له الشعور بالألم ، أو الضيق والكدر . والإنسان - وكذلك الحيوان - يميل بطبيعته إلى ما يسبب له اللذة ، ويتجنب ما يسبب له الألم . ولذلك كان الإنسان ميالاً بطبيعته إلى تعلم الاستجابات أو الأفعال التي تؤدي إلى الحصول على الثواب ، وإلى تجنب الاستجابات أو الأفعال التي تؤدي إلى الفشل أو العقاب . وقد ثبتت التجارب الكثيرة التي أجرتها علماء النفس المحدثون هذه الحقيقة .

وقد اهتم القرآن في دعوته إلى الإيمان بعقيدة التوحيد بإثارة دافع الناس بترغيبهم في الثواب الذي سيحظى به المؤمنون في نعيم الجنة ، وترهيبهم من العقاب أو العذاب الذي سيلحق بالكافرين في نار جهنم . وأيات الترغيب التي تصف نعيم الجنة تبعث في المسلمين الأمل في الحصول على هذا العيش ، وتدفعهم

إلى التمسك بالتفوى ، والأخلاق فى أداء العبادات ، والعمل الصالح ، والجهاد فى سبيل الله ، وعمل ما يرضي الله ورسوله ، آملين أن يكونوا من أهل الجنة . والآيات التي تصف عذاب جهنم تبعث فيهم الرهبة من هذا العذاب الأليم الذي يتضرر الكافرين والمنافقين والعاصين لأوامر الله تعالى ، ويدفعهم ذلك إلى الابتعاد عن ارتكاب الذنوب والمعاصي وكل ما يغضب الله ورسوله ، آملين أن ينجيهم الله من عذاب جهنم . وهكذا كان المسلمين متاثرين بداعين قويين ، الرجال في رحمة الله يدفعهم إلى القيام بالعبادات والتکاليف وكل ما يأمرهم به الشرع ، والخروف من عذاب الله يدفعهم إلى تحبب القيام بالذنوب والمعاصي وكل ما ينهى عنهم الشرع . وشعور الإنسان بهذه الداعين القويين المتكمليين والمتقين في النهاية يجعله في حالة استعداد تام وتهيؤ كامل للطاعة التامة لله والرسول ولتحلية كل ما يطلب منه من واجبات ومسؤوليات ، وتعلم كل ما يوجهه إليه الإسلام من نظام جديد للحياة ، وطريقة جديدة في التفكير والسلوك ، وتجنب كل ما ينهى عنه الله سبحانه وتعالى ورسوله صلوات الله عليه وسلم .

ويلاحظ أن القرآن لا يعتمد فقط في إثارة الدافع لقبول الإسلام على تخفيف الناس وترهيبهم من العذاب الأليم في نار جهنم ، وإنما يعتمد أيضاً في نفس الوقت على ترغيبهم في الاستمتاع بنعم الله . وذلك لأن استخدام الترهيب وحده ، أو الترغيب وحده قد لا يكون مفيداً الفائدة المرجوة في تعديل السلوك وتوجيهه . فاستخدام الترهيب وحده قد يؤدي إلى طغيان الرهبة على النفس فتتأس من رحمة الله ، واستخدام الترغيب وحده قد يؤدي إلى استيلاء الأمل في رحمة الله على النفس مما قد يوصلها إلى الدعة والتهاون والشقاوة ، فتتمنى على الله ما ليس لها^(١) . وفي هذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس الإيمان بالمعنى ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل . إن قوماً ألهتهم أمانة المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحسنظن بالله ، وكذبوا ، لو أحسنواظن بالله لأحسنوا العمل له »^(٢) .

(١) محمد سعيد رمضان البوطي : منهج تربوي فريد في القرآن ، مجلة العربي الإسلامي (الكويت) ، السنة السابعة ، العدد ٨١ ، ١٩٧١ ، أكتوبر ١٩٧١ ، ص

١٨٥ - ملخص درس ساعتی

ولذلك ، فإن القرآن لا يعتمد على الترهيب فقط ، أو الترغيب فقط ، وإنما يعتمد على مزيج منها : الخوف من عذاب الله ، والرجاء في رحمته وثوابه . وقد خَرَجَ القرآن عن ذلك في وصف أصفاء الله من الأنبياء وعباده الصالحين فقال عنهم :

ۚ إِنَّمَا كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَسِيرَاتِ وَلَا يَحْتَمِلُونَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً وَكَانُوا لَنَا
خَلِيلِينَ^(١)

ۖ إِنَّمَا جَنَاحُهُمْ عَنِ الْمَضَارِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعاً وَمَا زَقَّتْهُمْ
يُنْفَقُونَ^(٢)

وهذا المزيج من الخوف والرجاء كفيل بإثارة الدافع القوي لدى المسلمين لتعلم ما جاء به الإسلام من نظام جديد في الحياة ، وما تضمنه ذلك من تعلم عقائد وقيم جديدة ، وأساليب جديدة في التفكير والسلوك . ومن أمثلة آيات الترغيب والترهيب التي تذكر النعم الذي سيناله المؤمنون ، والعذاب الذي سيلحق بالكافرين في الحياة الآخرة :

ۖ مَنْ مِنْ حَكَمَ بِسَيِّئَةٍ وَاحْدَدَتْ يَمِيمَ خَطِيبَتْهُ فَأَوْتَهُكَمْ أَعْتَبَ اللَّهُمْ فِيهَا
خَلِيلُونَ^(٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَوْتَهُكَمْ أَعْتَبَ الْمُكْثَرَةَ فِيهَا
خَلِيلُونَ^(٤)

ۖ لَا يَعْرِنَكَ تَقْلِبُ الدِّينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ^(٥) مَنْعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا وَلَهُمْ مِنْ سُرُورٍ
وَلِلَّهِ الْمَهَادُ^(٦) لَكِنَّ الَّذِينَ آتَقْوَاهُمْ لَهُمْ جَنَاحُ تَجْرِي مِنْ مَنْتَهَا
الْأَنْهَىٰ خَلِيلُونَ فِيهَا تُرْكَأُ مِنْ صِدِّيقِهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ^(٧)

(١) الأنبياء : ٩٠ .

(٢) السجدة : ١٦ .

(٣) البقرة : ٨٢ ، ٨١ .

وَلَئِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِغَايَتِنَا سُوفَ نُصْلِيهِمْ تَارًا كُلًّا نَضْجَعُتْ جُلُودُهُمْ بِذَلِكَنَّهُمْ
جُلُودًا غَيْرَهَا لَيَدْعُوُا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَالَّذِينَ هَامُوا
وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ سَنُنَذِّلُهُمْ جَنَاحَتِ تَجْهِيرٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِنَّ فِيهَا
إِبْدًا لَمْ يُمْسِ فِيهَا أَرْوَاحُ مُطْهَرَةٍ وَنَذِلُهُمْ طَلَالًا شَلِيلًا ﴿٢﴾

وَهَذَا اللَّهُ الَّذِينَ هَامُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ لَمْ يُمْغَرِّرْهُ وَأَبْرُ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا إِغَايَتِنَا أَوْ لَكِنْكَ أَخْبَرُ الْجَمِيعَ ﴿٤﴾

وَإِنَّهُمْ مِنْ يَأْتِ رَبِّهِمْ مَا فَلَأَنَّ لَهُ جَهَنَّمْ لَا يُمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٥﴾
وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّلِحَاتِ فَأَوْلَكِنَّكَ لَمْ يُمْدَدَدُ الْعَمَلُ ﴿٦﴾

وَفَالَّذِينَ هَامُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ لَمْ يُمْغَرِّرْهُ وَرِزْقُ كَرِيمٌ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ سَعَوا
رِفْقَ إِغَايَتِنَا مُعَذِّبِرِينَ أَوْ لَكِنْكَ أَخْبَرُ الْجَمِيعَ ﴿٨﴾

وَالْمُلْكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْكُمُ بِنَفْسِهِمْ فَالَّذِينَ هَامُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ فِي جَنَاحِ
الْجَمِيعِ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا إِغَايَتِنَا فَأَوْلَكِنَّكَ لَمْ يُمْسِ عَذَابُ مُهِونٌ ﴿١٠﴾

وَوَيْمَ نَقْوُمُ السَّاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْفَرُونَ ﴿١١﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ هَامُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ
لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يَمْرُونَ ﴿١٢﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا إِغَايَتِنَا وَلِفَاطِي
الْأَسْرَةِ فَأَوْلَكِنَّكَ فِي الْعَذَابِ يَعْضُرُونَ ﴿١٣﴾

(١) النساء : ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) المائدة : ٩١ ، ٩٢ .

(٣) طه : ٧٥ ، ٧٦ .

(٤) الحج : ٥١ ، ٥٢ .

(٥) الحج : ٥٧ ، ٥٨ .

(٦) الروم : ١٢ - ١٤ .

ولا تقتصر آيات الترغيب والترهيب في القرآن على ذكر النعيم الذي سيلقاه المؤمنون ، والعقاب الذي سيلحق بالكافرين في الحياة الآخرة فقط ، بل إنها تذكر أيضاً ما يناله المؤمنون من خير ، وما يلحق بالكافرين من ألم وعذاب في الدنيا أيضاً . ومن أمثلة الآيات التي تذكر ما يناله المؤمنون من خير في الحياة الدنيا :

**«وَيَنْقُومُ أَسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ فُوْمَا لَيْلَةٍ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِنْدَارًا
وَرَزْدَكْ قُوَّةً إِنَّ فُورَنَكَ وَلَا نَتَوَلَّ مُجْرِمِينَ»^(١)**

**«فَقُلْتُ أَسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا»^(٢) يُرسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِنْدَارًا
وَقَيْدَكْ شُمُّ بِأَسْوَلِ وَبَيْنَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا»^(٣)**

ومن أمثلة الآيات التي تذكر ما يصيب الكافرين من عذاب في الحياة الدنيا :

**«.. وَلَا يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْصِبَتْهُمْ عَاصِمَاتٍ فَارِقةً أَوْ تَحْلُلُ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَقَّ
يَلْيَى وَغَدُّ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْلِكُ الْمُعْسَادَ»^(٤)**

**«وَلَمَّا جَاءَهُمْ أَمْرُنَا كَبَيْتَكَأْشَعَبَّا وَالَّذِينَ هَامُوا مَعَهُ رِحْمَةً مِنَّا وَأَخْلَدَتِ الَّذِينَ
ظَلَّلُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثَيْمَ»^(٥)**

وذكرت بعض الآيات الأخرى حدوث التواب للمؤمنين ، ووقوع العذاب للكافرين في كل من الحياة الدنيا والحياة الآخرة معاً . ومن أمثلة ذلك :

(١) هود : ٤٢ .

(٢) نوح : ١٠ - ١٢ .

(٣) الرعد : ٣١ .

(٤) هود : ٩٤ .

«فَاتَّهُمْ اللَّهُ تُوَابَ الدُّنْيَا وَحَسْنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^(١)

وَلَمْ يُمْسِي عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَمْ يُعَذَّبُ الْآخِرَةَ أَشَقُّ وَمَا لَمْ يُمْسِي مِنَ اللَّهِ مِنْ
وَاقِعٍ^(١)

ب - إلارة الدائم بالقصص :

إن للقصة تأثيراً تربوياً هاماً مما جعل المربين منذ قديم الزمان يستخدمونها في تربية النشأ وتعليمهم المثل العليا ، والقيم الدينية والأخلاقية . فالقصة بما تصوره من أحداث ووقائع وشخصيات تشد الانتباه ، وتشوق المستمعين إلى تتبع أحداثها ووقائعها ، وتبعث فيهم مختلف الانفعالات والمشاعر التي تجعلهم يشاركون في أحداثها وجدانياً ، ويتأثرون بها عاطفياً ، فتصبح عقولهم ونفوسهم متقدمة لما تضمنته من حكم ومواعظ وعبر ، ولما ترغّبهم فيه من مثل علياً وقيم .

ولقد كان القصص من الوسائل الحامة التي استعان بها القرآن لإثارة المدافع للتعلم « لما تثيره من تشويق ، ولما تستدعيه من انتباه . وكان القرآن يبيت في ثنايا القصص ما يريد أن يبلغهم من أخبار الأنبياء والرسل السابقين وتحذيرهم من سوء المصير الذي لحق بالكافرين من الأمم السابقة ، أو ما يريد أن يعلمهم من مبادئ الدين وأصول العقيدة ، أو من غير وحكم .

«لقد حكى في تصريحاته لأولى الأئمّة ..»

ولقد امتاز القصص القرآني، بهما هو معروف عن القرآن، بجهال الأسلوب، وبلاخة البيان، وبالإيجاز في عرض جوانب معينة من وقائع وأحداث القصة التي تناسب الموضوع الذي تتناوله السورة بحيث ترد أحداث القصة منسجمة مع السياق العام لموضوعات السورة، فتكون بذلك أوقع في تأثيرها النفسي، وأعمق في تحريكها للمساعر والوجودان، وأقرب إلى إقناع العقل، وتصديق القلب.

۱۱۱ : پیش

۱۴۸ : آن میران

، ﻭ ﺖـ ﻪـ ﻢـ ﻰـ (٣)

ويلاحظ في بعض قصص القرآن أنه يبدأ أولاً بذكر ملخص القصة ، ثم يعرض بعد ذلك تفصيلات القصة من بدايتها إلى نهايتها ، كما هو واضح مثلاً في قصة « أصحاب الكهف » . وذكر ملخص القصة قبل سرد تفصيلاتها إنما يؤدي إلى تشويق المستمعين وإثارة انتباهم ل تتبع تفصيلات القصة ^(١) .

ويلاحظ في بعض القصص الأخرى أنها تبدأ أولاً بذكر عاقبة القصة ومتراها ، ثم تأتي بعد ذلك تفصيلات القصة ، كما هو ملاحظ في قصة موسى عليه السلام ، الواردة في سورة القصص . وذكر متراي القصة أولاً يؤدي أيضاً إلى إثارة تشويق المستمعين وانتباهم ل تتبع وقائع القصة لعرفة كيف تحفظت هذه الغاية ^(٢) .

ج - الاستعانة بالأحداث الهامة :

ومن العوامل التي تساعد على إثارة الدافع والانتباه وقوع بعض الأحداث أو المشكلات الهامة التي تهز وجدان الناس وتثير اهتمامهم وتشغل بالهم . ويكون الناس عادة تحت تأثير هذه الأحداث الهامة التي تمر بهم في حالة تهيز واستعداد لتعلم العبرة المتضمنة في هذه الأحداث . وقد استعان القرآن بالأحداث الهامة التي كانت تمر بال المسلمين لتعليمهم بعض العبر المقيدة لهم في حياتهم . ومن الطبيعي أن يكون المسلمون في أوقات وقوع هذه الأحداث المثيرة لوجوداتهم أكثر استعداداً ، وأكثر قبولاً لتعلم العبرة واستيعابها ^(٣) . ومن أمثلة ذلك ما حدث في غزوة حنين حينما أعجب المسلمين بكثرةهم وقوتهم واطمأنوا إلى أنهم سيفتصرون على الكفار ونسوا أن النصر يمشي الله وحده ، فأراد الله تعالى أن يعلم المسلمين أن الكثرة لا تؤدي بالضرورة إلى النصر ، وإنما ينصر الله من يشاء من عباده الذين يضر الإيمان والتقوى قلوبهم حتى ولو كانوا أقله ^(٤) .

(١) سيد قطب : التصوير الفن في القرآن ، ط ٣ . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٣) محمد شديد : منهج القرآن في التربية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٧٧ .

(٤) سيد الفتح جلال : مرجع سابق ، ص ١١٩ .

«لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذَا أَعْجَبَكُمْ كَثُرَتُكُمْ قَلْمَانِينَ
 عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ إِمَّا رَجَحَتْ فِيمْ وَإِيمَّا مُتَدَبِّرِينَ ①
 فِيمْ أَرْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَرْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا
 وَعَذَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ »^(١)

التكرار :

إن تكرار عرض آراء وأفكار معينة على الناس يؤدي عادة إلى استقرار هذه الآراء والأفكار وثبيتها في أذهان الناس . وقد بيّنت دراسات علماء النفس المحدثين أهمية التكرار في عملية التعلم . وقد فضلت المؤسسات التجارية والصناعية إلى أهمية التكرار في ثبيت الفكرة في أذهان الناس ، فقاموا باتفاق الأموال الطائلة على الإعلانات التجارية التي تقوم بتكرار عرض أفكار معينة على الناس بهدف التأثير في اتجاهاتهم لترويج سلعهم التجارية .

ونحن نجد في القرآن تكراراً لبعض الحقائق المتعلقة بالعقيدة والأمور الغيبية التي يريد القرآن أن يثبتها في الأذهان ، كعقيدة التوحيد ، وأن الله تعالى هو وحده مصدر جميع الأديان ، والإيمان بالبعث ، ويوم القيمة ، والحساب ، والثواب والعقاب في الحياة الآخرة . إن كثيراً من آيات القرآن يكرر هذه المعاني لثبيتها في الأذهان . ومن أمثلة تكرار عقيدة التوحيد ما جاء في سورة النمل وهي سورة مكية - من تكرار عبارة : «إِلَهٌ مُعَذِّبٌ مُّغْنِيٌّ خَمْسَ مَرَاتٍ حتى تثبت هذه العقيدة في الأذهان .

«أَمْنَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَرْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَا كَانَ يَتَكَبَّرُونَ حَدَّ أَيْنَ
 ذَاتٌ بِهِجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُسْتَقِرُوا بِهِجَةٍ أَوْلَهُمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
 يَعْدِلُونَ ② أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلْقَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا
 رَوْبَرٍ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوْلَهُمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ③

(١) التربية : ٢٥ ، ٢٦ .

أَمْنٌ يُجِيبُ الْمُسْتَكْرِئَ إِذَا دَعَاهُ وَيَسْكِنُهُ السُّوَاءُ وَيَجْعَلُكُمْ خَلَقَاءَ الْأَرْضِ
أَوْلَادُهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ① أَمْنٌ يَهْدِي يَكُونُ فِي ظُلُمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَنْ يُرِسِّلُ الْرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ أَوْلَادُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَزَّا
يُنْتَكُونَ ② أَمْنٌ يَبْنُوا الْخَلَقَ ثُمَّ يُعِدُّهُو وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَوْلَادُهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَؤُلَاءِ بُرْهَنَكُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ③

ونكررت الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد أربع مرات في سورة هود وهي مكية . فقد ذكر القرآن في هذه السورة ما قاله بعض الأنبياء السابقين لأقوامهم حينما كانوا يدعونهم إلى عقيدة التوحيد . فذكر ما قاله نوح عليه السلام لقومه :

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ أَهْلَكَ قَرْبَرَةَ إِنِّي لَكُنْ تَذَرِّرُ مُبِينٌ ④ أَنْ لَا تَتَبَدَّلُوا
إِلَّا لِلَّهِ .. ⑤ »

ثم ذكر القرآن ما قاله كل من هود وصالح وشعيب عليهم السلام إلى أقوامهم بصيغة واحدة تكررت ثلاثة مرات في السورة :

« وَإِنَّ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ .. ⑥ »

« وَإِنَّ قَوْمَادَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ .. ⑦ »

« وَإِنَّ مَدْنَى أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ .. ⑧ »

(١) النحل : ٦٤ - ٦١ .

(٢) هود : ٢٦ ، ٢٥ .

(٣) هود : ٥١ .

(٤) هود : ٦٩ .

(٥) هود : ٨٤ .

كما تكررت عبارة «اعبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» مرتين في سورة «المؤمنون» وهي مكية، وذلك في الآيتين رقم ٢٣ و٣٢.

ولقد جاء في القرآن أيضاً تكرار لقصص الأنبياء لكي يثبت في الأذهان حقيقة أن جميع الأديان من عند الله^(١). فهو سبحانه وتعالى الذي أرسل جميع أنبيائه إلى الناس في فترات التاريخ المختلفة لهدايتهم ودعوتهم للتوحيد وعلم الشرك بالله ، ولكن يبين أيضاً لکفار قريش المصير الذي ألقاه من قبل من كذبوا الأنبياء ، ويحذرهم من المصير الذي يتذمرون إذا ما هم كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم . فنجد ، مثلاً ، في سورة القمر ، وهي مكية ، تكراراً للذكر العذاب الذي سيلقاه الكافرون ، ولإنذار الله تعالى لهم بهذا العذاب ، وذلك بهدف إثارة انتباه كفار قريش وتذكيرهم بالمصير الذي لاقاه الذين كذبوا أنبياءه من قبل ، وتحذيرهم من لقاء نفس هذا المصير إذا ما استمروا في تكذيبهم للنبي عليه صلوات الله وسلامه^(٢) . فقد تكررت في هذه السورة الآية التالية ثلاث مرات :

«فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ»^(٣)

كما تكررت الآية التالية أربع مرات في نفس السورة :

«وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ إِنَّ اللَّهَ لَغَرِيفٌ مِنْ مُذَكَّرٍ»^(٤)

ويلاحظ أيضاً في سورة المرسلات ، وهي أيضاً مكية ، أن عبارة : «وَيَلَّا يَحْظُى بِالْمَكْذِبِينَ» قد تكررت عشر مرات . وكانت هذه السورة تذكر كثيراً من النعم التي أنعم الله تعالى بها على الناس ، وكثيراً من الشرم التي أنزلها الله تعالى

(١) ميد قطب : مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

(٢) انظر أيضاً في هذا الموضوع : عبد الوهاب حوردة : القرآن وعلم النفس . القاهرة : دار القلم ، ١٩٦٢ ، ص ٩٦ ، ٩٥ .

(٣) القراءة : ٣٠ ، ٢١ ، ١٦ .

(٤) القراءة : ٤٠ ، ٣٢ ، ٢٢ ، ١٧ .

بهم ، فكانت هذه العبارة تأتي بعد كل نعمة يذكرهم الله بها ، وبعد كل نعمة يخوفهم منها ، وذلك ليثير انتباهم إلى هذه النعم والتقويم ليكون ذلك رادعاً لهم عن التمادي في التكذيب ، وزاجراً لهم عن الاستمرار في الكفر . هذا فضلاً عما في تكرار جملة واحدة عدة مرات خلال الكلام من تأثير خطابي ، وهو أمر « مألوف للعرب معهود في خطبهم وأشعارهم »^(١) .

وفي القرآن أيضاً آيات كثيرة تتكلم عن البعث ، و يوم القيمة ، ويوم الحساب ، ونعيم الجنة ، وعذاب جهنم ، وخلق آدم وحواء ، وعداء إبليس لها . ويهدف القرآن من تكراره للذكر هذه الأمور الفنية إلى استقرار الإيمان بها في النفوس ، وإلى تثبيت ما يتباهى به سرده لها من عقائد وغير عقادات .

وليس تكرار القصص في القرآن تكراراً تاماً ، وإنما كان القرآن يذكر من القصة الأحداث التي تتفق مع سياق المعاني الواردة في السورة . وإذا كرر القرآن حلقة من القصة فإنه عادة ما يورد فيها شيئاً جديداً لم يذكره من قبل ، ويحدث في ألفاظها بعض التعديل ، وتقديم وتأخير مما تعلمه العبرة المقصودة من ذكر القصة . فالقرآن لا يسرد قصص الأنبياء باعتبارها تاريخاً يراعي فيه الترتيب الزمني للواقع ، وإنما هو يذكرها لما في أحداثها من غير عقادات . ولذلك فهو يذكر من وقائع القصة ما يناسب العبرة التي يريد أن يبيتها في الناس^(٢) .

ولا شك أيضاً في أن عرض بعض الأحداث أو الأفكار في صور أو صيغ مختلفة إنما يؤدي إلى إثارة الانتباه ، ويعين من حدوث الملل الذي يمكن أن ينتاب الإنسان إذا ما عرضت عليه فكرة معينة عدة مرات في صورة واحدة لا تتغير . وقد بيّنت دراسات علماء النفس المحدثين والمتخصصين في الدعاية والإعلام أهمية تغيير الصيغة التي يُعبّر بها عن فكرة معينة لتجنب الملل وإثارة الانتباه ، وهو أمر يراعيه الآن القائمون بالإعلان التجاري .

(١) عبد الوهاب حورو : مرجع سابق ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٥ .

والتكرار يثبت التعلم ، سواء كان ما يتعلمه الإنسان حادة حسنة ، أم عادة سيئة . فتكرار الناس للسلوك السيئ يثبته ويجعله عادة مستقرة يصعب التخلص منها إلا بجهود كبيرة وإرادة قوية . ولهذا كان تكرار المشركين لعفافهم وعباداتهم القديمة التي تعلموها عن آباءهم من عوامل استقرارها في سلوكهم بحيث لم يكن من السهل عليهم التخلص منها . وقد أشار القرآن في كثير من الآيات إلى ما لاقاه الأنبياء في جميع عصور التاريخ من صعوبة في إقناع المشركين بحقيقة التوحيد بسبب نسائهم بعباداتهم القديمة التي نشأوا عليها . وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك أثناء كلامنا عن خطأ التفكير وجموده في الفصل الرابع الخاص بالتفكير في القرآن . وقد أشار القرآن إلى تأثير تكرار غفلة الإنسان عن الله سبحانه وتعالى ، وتكرار الغماسة في الكفر ، وارتكابه للذنوب والمعاصي ، فإن ذلك يجعل "الإنسان غير متهيئ" لقبول دعوة التوحيد بسهولة . وهذا ما عبر عنه القرآن في كثير من الآيات بفكرة «الطبع على القلوب» ، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك أيضاً أثناء كلامنا عن جمود التفكير في الفصل الرابع الخاص بالتفكير في القرآن .

ويعبر القرآن أيضاً عن فكرة استقرار العادات السيئة والمعاصي نتيجة للتكرار بحيث يغشى العقل ما يشبه الصدأ فيبرقه عن التمييز ، ويصعب على النفس الإقلاع عنها اعتنادت عليه من معاصي ، وذلك في قوله تعالى :

«كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قَلْوِيهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»^(١)

وفي هذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن العبد إذا أخطأ خطيبة نكتت في قلبه نكتة سوداء . فإذا هو تزع واستغفر وتاب صقل قلبه . وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، وهو وإن الذي ذكر الله : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)»^(٢) . وفي خبر آخر : «الذنب على الذنب حتى يسود القلب فلا ترجى له الإيمان»^(٣) .

(١) المطففين : ١٤ .

(٢) رواه الترمذى . النكت : الأثر في الشيء ، وران على قلبه : أي غطى .

(٣) أبو القاسم الحسن بن محمد بن المفضل الراذب الأصفهانى : مرجع سابق ، ص ٩٧ .

الانتباه :

إن الانتباه عامل هام في التعلم واكتساب المعرفة وتحصيل العلم . فإذا لم يتبه الإنسان ، مثلاً ، إلى محاضرة ما ، فإنه لا يستطيع أن يدرك ما تضمنته من معلومات ، وهو بالتالي لا يستطيع أن يتعلمها وأن يتذكرها فيما بعد . ولذلك فإن المعلمين والمربيين يحرصون دائمًا على إثارة انتباه تلاميذهم حتى يمكنهم استيعاب الدروس وفهمها وتعلمها . ولقد كان استخدام القرآن للقصص ، كما أشرنا إلى ذلك سابقًا ، عاملاً هاماً في إثارة الانتباه إلى ما تتضمنه من مواعظ وعبر ودعاة إلى التوحيد . وقد نوه القرآن بأهمية الانتباه في استيعاب المعلومات وذلك في قوله تعالى :

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لُكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قُلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ»^(١)

وقد جاءت هذه الآية بعد آية أخرى ذكر الله تعالى فيها أنه أهلك قبل قريش أممًا كثيرة من الكفار كانوا أشد منهم بطشًا . ويشير الله تعالى في هذه الآية إلى أن في ذلك عذة لكل من له عقل ، أو استمع إلى هذا الكلام وفهمه وهو حاضر الذهن مرകز الانتباه .

ويشير القرآن أيضًا إلى أهمية الانتباه حينما يذكر في سورة المزمل أن القيام بعد النوم يجعل الإنسان أكثر انتباهاً لمعاني القرآن ، وأكثر تفهماً لها . ولعل ذلك راجع إلى راحة الذهن بعد النوم من جهة ، وإلى الهدوء الذي يسود الليل وعدم الاشتغال بالأمور المعيشية التي تشغله بالإنسان عادة أثناء النهار ، من جهة أخرى .

يقول الله تعالى :

«إِنَّ نَاسِهَا أَلَبَّلٌ هُنَّ أَشَدُ وَطْعًا وَقَوْمٌ قَبْلًا»^(٢)

(١) ق : ٣٧ .

(٢) المزمل : ٦ . قال ابن كثير في تفسير ذلك : «والقصد إن قيام الليل هو أشد مواعظه بين القلب واللسان ، وأجمع على ذلك . ولهذا قال تعالى (هي أشد وطنًا وأقزم قبلاً) أي أجمع للظاهر في أيام القراءة وفهمها من قيام الليل لأنه وقت انتشار الناس ولقطع الأصوات وأرقاث المعاش » . تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٤٣٥ .

وأشار القرآن أيضاً إلى أهمية الانتباه في الفهم والتعلم وذلك في قوله تعالى :

«وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَلَا تَسْتَعِفُوا لَهُ وَلَا تَسْتُرُوا الْعَلَّاقَةَ تُرْجِحُونَ»^(١)

فالاستماع إلى القرآن والإنصات إليه يتضمن معنى الانتباه إلى ما يقرأ من آياته لتلerner معناها وفهمها ، وتعلم ما فيها من عقائد و تعاليم وأوامر ونواه وعبر وحكم . ومن الواضح أن في ذلك إشارة إلى أهمية الانتباه في الفهم والتعلم .

وما يساعد على تركيز الانتباه ويسهل عملية التعلم عرض المعاني المجردة بطريقة بسيطة وموضحة وذلك بتبنيتها بأمور واقعية محسوسة حتى يمكن إدراكها وفهمها . ولهذا فإن المعلمين الآن كثيراً ما يستعينون بالوسائل البصرية والسمعية والتجارب العملية في شرح القرآن والنظريات العلمية ، مما يثير انتباه التلاميذ ويساعد على إدراكهم وفهمهم لها . والقصص والأمثال في القرآن إنما هي أساليب استخدمها القرآن لتجسيد المعاني العقائدية للدعوة الإسلامية وتقريرها إلى الأذهان . فالسامع لقصص القرآن يتحول إلى مشاهد لواقع وأحداث تجسد فيها هذه المعاني^(٢) ، ويؤدي ذلك بلا شك إلى شد انتباهه إلى هذه المشاهد التي تتوالى في خياله واحدة بعد أخرى . وتؤدي الأمثلة أيضاً في القرآن نفس هذا الدور ، فهي تقوم بتجسيد المعاني بتبنيتها وتصویرها بأشياء محسوسة مما يجعلها أقرب إلى إدراك الناس وفهمهم^(٣) . ومن أمثلة ذلك المثال الوارد في سورة إبراهيم والذي يشبه فيه الله تعالى عدم انتفاع الكافرين بأعمالهم الخيرة في الدنيا لعدم قيامها على أساس من الإيمان برماد يطير بسبب الريح الشديدة في يوم عاصف فلا يستطيع الإنسان الإمساك به :

«مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِرْبِيزٌ أَعْتَلُهُمْ كَعَادٌ أَشْتَدَتْ بِهِ الْرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ إِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ وَذَلِكَ هُوَ الظَّلَلُ الْعَيْدُ»^(٤)

(١) الأحزاب : ٤٠٤ .

(٢) محمد علي التسخيري : مرجع سابق : من ١٤١، ١٤٢، ١٤٣ ، سيد نطب : مرجع سابق ، من ٦٢ - ٧٣ .

(٣) محمد علي التسخيري : مرجع سابق ، من ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) إبراهيم : ١٨ .

ومن أمثلة ذلك أيضاً المثال الذي شبه به الله تعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة التي تفید الناس بشرها الطيب ، والضاربة بجذورها في عمق الأرض ، والمرتفعة بساقها وأغصانها في عنان السماء ، وتعطي ثمارها في كل وقت حدهه الله تعالى بمشيته . وكذلك كلمة التوحيد ثابتة في قلب المؤمن ، ويصعد عمله الطيب إلى الله تعالى ، وينال بركته وثوابه في كل وقت . كما شبه الله تعالى الكلمة الخبيثة بشجرة خبيثة اقتلت من الأرض فليس لها ثبات فيها . وكذلك كلمة الباطل داحضة لا ثبات لها^(١) .

**﴿أَلَرْسَكَفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً كَشَجَرَةَ طَيْبَةً أَصْلُهَا نَافِتٌ وَقَرْعَهَا
فِي السَّمَاءِ﴾** ثُقِنَ الْكَلِمَةُ كُلُّ حِينٍ زَادَنَ رَبِّهَا وَضَرَبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ^(٢) وَمَثَلٌ كَلِمَةٌ خَبِيثَةٌ كَشَجَرَةٌ خَبِيثَةٌ أَجْتَنَتْ مِنْ فَرْقِ
الْأَرْضِ مَا لَمَّا مِنْ قَرَارٍ﴾

ومن أمثلة ذلك أيضاً المثال الوارد في سورة الرعد الذي بينَ فيه الله تعالى أن الحق ييفى ، والباطل يزول . وشبه بقاء الحق وزوال الباطل بما تحمله الأنهار في جريانها مما يكون نافعاً للناس فيبقى ، وما لا يكون نافعاً لهم كالزبد فيعلو على سطحها ويذهب جفاء . كما شبه تعالى أيضاً بقاء الحق وزوال الباطل بما يحدث عند صهر المعادن بالنار ، فما ينفع الناس منها يبقى كالذهب والفضة اللذين تصنع منها الحل ، وكالحديد والنحاس اللذين تصنع منها الآلات والأدوات النافعة للإنسان ، وما لا ينفع منها يعلو السطح ويرمى وينبذ .

**﴿أَتَرَكَ مِنَ السَّمَاءِ مَا كَاهَ فَسَأَتْ أُوْرَدَيْهُ يَقْتَرِهَا فَلَا حَتَّمَ السَّيْلُ زَبَدًا رَأَيَاهَا وَمَا
يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي الظَّلَارِ أَقْفَاهُ حَلَيَهُ أَوْ مَتَّعَ زَدَهُ شَلَهُ كَذَلِكَ يَقْتَرِبُ اللَّهُ الْأَعْلَى﴾**

(١) المتتبّل في تفسير القرآن الكريم ، ص ٣٩٨ .

(٢) إبراهيم : ٤٤ - ٤٦ .

**وَالْبَيْلَنَ قَمَّا أَرْبَدَ فَيَدْعُ بِجُنَاحَهِ وَأَمَا مَا يَسْعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ
كَذَلِكَ يَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ^(١)**

وتبتعد بعض سور القرآن بحروف مثل : « آلم ، آلر ، المض ، التمر ، كهيمعن ، طسم ». وقد ذكر المفسرون تفسيرات مختلفة للمراد من هذه الحروف . وما قيل في تفسيرها أن المقصود منها إثارة انتباه المشركين للاستماع إلى القرآن لما لها من جرس خاص . فقد كان المشركون قد تواصوا بعدم الاستماع إلى القرآن ، وكان الابداء بهذه الحروف يفتح لاستماعها أسماء المشركين ، حتى إذا ما استمعوا تلى عليهم القرآن المؤلف من هذه الحروف ^(٢) .

وما يثير الانتباه أيضاً استخدام القسم فاتحة لبعض سور المكية . وقد ورد القسم في القرآن في بداية خمس عشرة سورة . ومن أمثلة ذلك : « والصلوات ، والذاريات ، والطوير ، والتجمر ، والسماء ذات البروج ، والسماء والظارق ، والقبح ، والعصر ». وكان ذلك مداعاة جذب الانتباه إلى الاستماع إلى القرآن ، « فإن البداء به هو جذب لانتباه السامع لوقع القسم على سمعه في شيء من الرهبة . فإذا حدث ذلك صحبه تهيز نفسي لتلقي ما يقال خصوصاً وإن ما يقال مبني على قسم ، والقسم شيء يهول . وفي هذه الحال يكون الإنسان أشد تأثراً بما يسمع مما لو فاتحته بما تريده من طريق الجدل والنقاش » ^(٣) .

وفضلاً عن ذلك ؛ فإن أسلوب القرآن الذي يتميز بالإعجاز البلاغي ، والإيقاع الموسيقي إنما يهز الوجدان ، ويشد إليه الانتباه . ويتميز أسلوب القرآن أيضاً بتناسق المبروس النقطي أروع التناسق مع المعاني التي تؤديها الألفاظ مما يعطي للألفاظ « بعد آخر غير البعد الدلالي المعتمد » ، وإذا بالإنسان يجسّد المعنى ضمن صافعه لصوت النقط وآدائه ^(٤) . ولا شك أن ذلك يشد الانتباه ، وبخلق

(١) الرعد : ١٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٣٧ ؛ تفسير الطمار ، جـ١ ، ص ١٢٢ .

(٣) عبد الوهاب حمودة : مرجع سابق ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٤) محمد علـ السـخـريـ : مرجع سابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

في الإنسان إحساساً بال موقف الذي يصوره القرآن مما يؤدي إلى دقة الاستيعاب والفهم .

المشاركة الفعالة :

إن تعلم المهارات الحركية يتضمن أن يقوم المتعلم بأداء هذه المهارات بالفعل ، وأن يتدرّب عليها حتى يتّقّنها . ولنست الممارسة العملية مهمة فقط في تعلم المهارات الحركية ، بل إنها مهمة أيضاً في تعلم العلوم النظرية ، وفي تعلم السلوك الخلقي والفضائل والقيم وأداب السلوك الاجتماعي . فإن أداء الفرد بنفسه لما يريد أن يتعلّم يساعد على سرعة التعلم وإتقانه . وقد تبيّن من نتائج إحدى الدراسات التجريبية أن الأفراد الذين كانوا يقرأون بأنفسهم بعض الحروف والكلمات المقابلة لها كانوا أسرع في حفظها من الأفراد الذين كانوا يستمعون فقط إلى المجرّب يقرأ عليهم هذه الحروف والكلمات ، كما كانوا يرونها في نفس الوقت تعرض أمامهم على الشاشة بوساطة فيلم سينمائي^(١) . وقد بيّنت نتائج هذه التجربة أهمية المشاركة الفعالة في عملية التعلم .

ونحن نجد في القرآن تطبيقاً لمبدأ المشاركة الفعالة ، يتضح ذلك من الأسلوب الذي اتبّعه القرآن في تعليم المسلمين المحسّال النفسية الحميدية ، والأخلاق والعادات السلوكية الفاضلة عن طريق تدريّبهم العملي عليها بما كلفهم القيام به من عبادات مختلفة . فال موضوع وأداء الصلاة في مواعيد معينة كل يوم يعلّمان المسلمين النظافة والطاعة والنظام والصبر والثابرة . والصوم يعلّمهم أيضاً الطاعة ، والصبر على تحمل المثاقل ، والمعطف على القراء . والحج يعلّمهم الطاعة ، والصبر على تحمل المثاقل . وستعرض لفوائد العبادات في شيء من التفصيل فيما بعد في الفصل العاشر الخاص بالعلاج النفسي في القرآن .

وقد عني القرآن عناية فائقة ، إلى جانب تعليم المسلمين الإيمان والعقائد الدينية ، بتوجيههم إلى العمل الصالح . فالإيمان الصادق يجب أن يعبر عنه

(١) محمد عثمان نجاشي : مرجع سابق ، ص ١٩٥ - ١٩٧ .

في سلوك المؤمن وعمله ، وذلك بالتحلي بالأخلاق الفاضلة ، وحب الخير للناس ، وبالسبق إلى أداء ما يرضي الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام . فالعمل الصالح ، والقيام بما يأمرنا به الشعاع يثبت التقوى في القلوب ، ويقرى السلوك الإسلامي السليم الذي يتفق مع القيم الدينية والفضائل الخلقية الإسلامية . وقد ورد الإيمان في كثير من آيات القرآن مصحوباً بالعمل الصالح . ومن أمثلة ذلك :

﴿ وَيَسِّرْ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَمْ يَجِدُوا تَحْرِيَّاً مِّنْ حَتَّمِهَا الْأَنْتِرُ ... ﴾^(١)

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَنْجَبُ الْجَنَّةَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ... ﴾^(٢)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَاتُوا أَرْكَزَةً لَمْ يُمْسِكْ بِهِمْ رِزْقُهُمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْرُجُونَ ... ﴾^(٣)

﴿ وَلَمَّا آتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَقِّيْمُ أَجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ... ﴾^(٤)

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مُغْفِرَةٌ وَأَبْرَارٌ عَظِيمٌ ... ﴾^(٥)

﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ بِرْزَاقٌ الْمُحْسِنُونَ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ... ﴾^(٦)

﴿ وَإِنِّي لَغَافِرٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا مِّمَّا أَهْتَدَى ... ﴾^(٧)

(١) البقرة : ٢٥ .

(٢) البقرة : ٨٢ .

(٣) البقرة : ٢٢٧ .

(٤) آل عمران : ٩٧ .

(٥) المائدة : ٩ .

(٦) الكهف : ٨٨ .

(٧) طه : ٨٢ .

توزيع التعليم :

بيت الدراسات التجريبية التي قام بها علماء النفس المحدثون أن توزيع التعلم أو التدريب على فترات متباينة تتحللها فترات راحة يساعد على سرعة التعلم وثبيته في الذاكرة ، وأن التعلم الذي يحدث باستخدام طريقة التوزيع أفضل كثيراً من التعلم الذي يحدث باستخدام طريقة التركيز ، وهو التعلم الذي يتم في فترة زمنية متصلة دون أن تتحللها فترات راحة^(١) . وقد طبق هذا المبدأ في القرآن ، إذ أنه نزل على فترات متباينة في مدة طويلة من الزمن قدرها ثلاثة وعشرون سنة وذلك حتى يستطيع الناس أن يتذمروه على مهل ، وأن يستوحبوا معانيه ، وقد ساعد ذلك على اتقان تعلمه وفهمه وحفظه . ولو كان القرآن نزل كله دفعة واحدة لكان من الصعب تعلمه ، وفهم معانيه وأغراضه .

وَقُرْءَةً أَنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأُمْ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُسْتَحِثٍ وَرَزِّلَنَاهُ تَرِيْكَلاً^(٢)

**وَقَالَ الَّذِينَ كَسَرُوا الْوَلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمَلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِتُشَبِّهَ
بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلَنَاهُ تَرِيْكَلاً^(٣)**

الدرج في تعديل السلوك :

إن التخلص من بعض عاداتنا السيئة القوية التي مارستها مدة طويلة من الزمن بحيث أصبحت ثابته ومستقرة في سلوكنا ليس بالأمر السهل بالنسبة لكثير من الناس ، إذ أن ذلك يحتاج إلى إرادة قوية ، وجهد كبير ، وتدريب طويل ، وهذا أمر قد لا يطيقه كثير من الناس . ولذلك فإن أفضل طريقة يمكن

(١) محمد عثمان نجاشي : مرجع سابق ، ص ١٩٠ - ١٩٤ .

(٢) الإسراء : ١٠٦ . جاء في المت Hubbard في تفسير القرآن الكريم في تفسير هذه الآية : « وقد فرقنا هذا القرآن ، وزملناه منجماً على مدة طويلة ، لقراءة على الناس على مهل ليومه » .

(٣) الفرقان : ٣٢ . كذلك : أي لقد أزملناه كذلك مفرقاً لمبت به موادك ، مأسك به وحفظك له . ورثناه : فرقناه ، أو قرأتاه على نساد حربيل شيئاً شيئاً على تردد وتأجيل . انظر المت Hubbard في تفسير القرآن الكريم

اتباعها للتخلص من عاداتنا السيئة المستحكمة هي أن نعمل على التخلص منها تدريجياً .

إن أحسن طريقة للتخلص من انفعال ما ، كانفعال الخوف مثلاً ، هي أن نقوم بالتدريج بإحلال انفعال معارض لانفعال الخوف كانفعال السرور أو الحب مثلاً محل انفعال الخوف حتى نصل في النهاية إلى التخلص النهائي من الخوف . وقد بيّنت بعض التجارب التي أجرتها بعض علماء النفس المحدثين أنه يمكن بهذه الطريقة تخلیص الطفل من خوفه من حيوان ما ، وتعليمه حب هذا الحيوان بدلاً من الخوف منه^(١) . وبهذه الطريقة أيضاً يمكن التخلص من عاداتنا السيئة ، بأن نحل محلها عادات معارضة ، وهو أسلوب يتبناه بعض علماء النفس المحدثين في العلاج النفسي .

ولقد كان للعرب قبل الإسلام بعض العادات السيئة المستقرة في سلوكهم ، ولم يكن من السهل في المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية أن يطلب من المسلمين التخلص من بعض عاداتهم السيئة القوية التي أفسدوا مدة طويلة من الزمن ، ولذلك فقد اتبع الإسلام في علاج هذه العادات السيئة أسلوبين . الأسلوب الأول هو تأجيل علاج هذه العادات حتى يستقر الإيمان في قلوب المسلمين بحيث يمكن الاستعانة بقوة الإيمان كداعم قوي يسهل عملية التخلص من العادات السيئة المستحكمة ، وتعلم عادات جديدة بدلاً منها . ولهذا السبب كانت معظم آيات القرآن التي نزلت بسكة في المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية تتعلق أساساً بالدعوة إلى عقيدة التوحيد . وكان الرسول عليه صلوات الله وسلامه يتعهد من يومئذ بدعوته بالتربية الروحية لترسيخ الإيمان والتفوّق في نفوسهم . ولا شك أن ذلك كان مرحلة ضرورية وهامة في الإعداد النفسي للMuslimين بحيث أصبحوا في حالة تهيؤ تام لغير سلوكهم وعاداتهم وأفكارهم ونظام حياتهم تغييراً كاماً . كما جعلهم أيضاً في حالة استعداد لقبول الآيات التي نزلت فيما بعد للنهي عن عادات كانت شائعة بينهم ، ما كان المسلمين في أول عهدهم بالإسلام مستعدين ل捨لها بسهولة كالنهي عن الخمر والربا . ولكن بعد أن رسم الإيمان

(١) محمد حسان نجاشي : مرجع سابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

في قلوب المسلمين ؛ كان الإيمان دافعاً قوياً إلى الطاعة الثامة لله والرسول ، وإلى تقبيلهم عن رضا كل ما يُؤمرُون به حتى ولو كان ذلك يتطلب منهم الامتناع عن عادات قديمة كانت قد استقرت في سلوكهم من قبل لسنوات طويلة . فجئنا نزلت آيات تحريم الخمر فيما بعد ، وكان الإيمان قد استقر في القلوب ، امتنع المسلمون جميعاً عن شربه ، وقاموا بسكب كل ما لديهم منه في شوارع المدينة .

أما الأسلوب الثاني الذي استخدمه القرآن في علاج المسلمين من عاداتهم السيئة المستمرة القوية فقد كان عبارة عن التهيئة المتدرجة لنفوس المسلمين للتخلص من هذه العادات ، وذلك عن طريق التكوبين التدريجي لاستجابة معارضة للاستجابة المطلوب التخلص منها . وقد أتبع القرآن هذه الطريقة في علاج مشكلة شرب الخمر . فقد عمد القرآن في أول الأمر إلى تغير المسلمين من شرب الخمر ، وتكرريهم لها ، دون أن يقوم بتحريمهما تاماً . ثم تدرج بهم إلى التحريم التام . فكانت أول آية نزلت في الخمر تشير إلى أن مصارها أكبر من منافعها ، وفي هذا تغير للمسلمين منها ، وحث على الامتناع عن شربها . وقد قام بعض الصحابة فعلاً بترك شرب الخمر بعد نزول هذه الآية ، ولكنهم لم يتركوها كلهم .

قال تعالى :

**وَيَسْعَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمُتَسِيرُ قُلْ فِيهِمَا إِنْ كَبِيرٌ وَمَنْ تَفَعَّلْتُمْ لِلثَّابِرِ وَلِمَنْ هُمْ مَا
أَكْبَرُ مِنْ تَقْعِيمَهَا ..**⁽¹⁾

ثم تدرج القرآن بعد ذلك إلى درجة أشد حزماً في تغير المسلمين من شرب الخمر ، وفي حثهم على الامتناع عنها ، حينما كان بعض الصحابة يذهبون إلى الصلاة وهو سكارى فيخطئون في قراءة القرآن ، فحرم عليهم القرآن أن يقربوا الصلاة وهو سكارى . وفي ذلك ، في الواقع ، تحريم لشرب الخمر في معظم أوقات اليوم .

وَيَتَابِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرِبُوا الصَّلَاةَ وَإِنْتُمْ سَكَرَى حَتَّىٰ تَهْلِمُوا مَا تَقُولُونَ ..⁽²⁾

(1) البقرة : 219 .

(2) النساء : 43 .

إن الامتناع عن شرب الخمر خمس أوقات في اليوم ، وهي أوقات تشمل معظم ساعات اليوم تقريباً ، إنما كان بمثابة تدريب المسلمين على الإقلاع عن شرب الخمر . وقد جعلهم هذا التدريب متهيئين نفسياً للانتقال إلى المرحلة التالية وهي الامتناع نهائياً عن تعاطي الخمر ، وذلك حينما نزلت الآية التي حرمت الخمر تحريراً تاماً .

﴿ يَكُلُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا يَخْمِرُ الْمُبَرِّ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْكَنُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَإِذَا جَنَّبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوْرَقَ بَيْسَكُرُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمُبَرِّ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُشْتَهِونَ ﴾^(١)

إن هذا الأسلوب في التدرج في تحريم الخمر قام بإضعاف حب المسلمين لما تدربياً ، وأنحل محل الميل إليه والرغبة فيه استجابة معارضة له هي استجابة التفوه والكره . وقد تمت هذه العملية تدريجياً حتى وصلت إلى النهاية المطلوبة بسجاح تام . فما نزلت آية التحريم حتى قام جميع مسلمي المدينة بالتخليص مما لديهم من خمر يسكنها في شوارع المدينة . ولو كانت نزلت آية تحريم الخمر في مكة أثناء المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية لما كنا نتوقع أن يكون لها في نفوس المسلمين نفس التأثير الذي احدثته حينما نزلت في المدينة في وقت كان فيه الإيمان قد استقر قوياً في قلوبهم ، وكان التحريم التدريجي للخمر قد هياهم نفسياً للإقلاع النهائي عن شربها بمجرد نزول آية التحريم . ويروى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « إنما نزل أول ما نزل منه (أي القرآن) سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل العلال والحرام . ولو نزل شيء : لا تشربوا الخمر ، لقالوا لا ندع الخمر أبداً . ولو نزل : لا تزدوا ، لقالوا لا ندع الزنا أبداً »^(٢) .

(١) الماءدة ٤٠، ٤١.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ١٩ ص ٤٨ .

وقد اتبع القرآن هذا الأسلوب ذاته في علاج الربا الذي كان متفشياً بين العرب في الجاهلية ، فقام بتحريمه تدريجياً . ويمكن أن نشير إلى أربع مراحل مرّ بها تحريم الربا ^(١) .

في المرحلة الأولى أظهر الله تعالى عدم رضاه عن الربا . وذلك في قوله تعالى :

«وَمَا أَئْتُم مِنْ رَبِّكَ لِيَرْبُوْفَ أَمْوَالَ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوْفَ عِنْدَ اللَّهِ...» ^(٢)

وفي المرحلة الثانية نزلت آية كان فيها وعيد لليهود بسبب ممارستهم للربا ، وفي ذلك تلويع بالتحريم ، وإن لم يكن نصاً صريحاً بالتحريم .

«فَإِظْلَمُوا مِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَرَّمَا عَلَيْهِمْ طَبَيْرَتِ أَحْلَتْ لَهُمْ وَرَصَّسَمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ^(٣) وَأَخْلَمُوا الرِّبَا وَقَدْ نُهَا عَنْهُ وَأَنْكِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَأَعْنَدَنَا لِكُفَّارِنَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» ^(٤)

وفي المرحلة الثالثة حرم الله تعالى الربا الفاحش الذي كان يمارسه العرب في الجاهلية ، وذلك بقوله تعالى :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَشْكَنَا مُضْعَفَةً وَأَقْهَرُوا اللَّهَ لَعْنَكُمْ تُفْلِحُونَ» ^(٥)

وفي المرحلة الرابعة حرم الله تعالى الربا تحريراً قاطعاً بقوله تعالى :

«الَّذِينَ يَأْسَكُلُونَ الرِّبَا لَا يَعْمُونَ إِلَّا كَمَا يَقُولُ الَّذِي يَتَحَبَّطُهُ الشَّيْكُلُنُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَرَمَ

(١) مصطفى الراغبي : الإسلام ومشكلات العصر . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٢ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٠ .

(٢) الروم : ٣٩ .

(٣) النساء : ١٦١ ، ١٦٢ .

(٤) آل عمران : ١٣٠ .

الرِّبُوا أَنْ جَاءُوكُم مَوْعِدَةً مِنْ رَبِّهِمْ فَأَنْتُمْ فَلَمْ يَأْتُكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَإِلَى اللَّهِ الْرِّبُوا
وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَخْضَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ۝ يَعْلَمُ اللَّهُ الْرِّبُوا
وَيَرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ حَكَارِ أَئِمَّةٍ ۝^(١)

«يَكْفِيَهَا الَّذِينَ هَامُوا أَتَقْرَأُوا اللَّهَ وَذَرُوا أَمَانَةَ بَقِيَّ مِنَ الرِّبُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝
فَإِنْ لَرْتُمْ تَقْتَلُوا فَأَذْوَأُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تَقْتَلُمْ فَلَكُمْ رَءُوسُ أَمْوَالِكُمْ
لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝^(٢)

وكان الآية الأولى التي نزلت عن الربا وهي التي تشير إلى عدم رضا الله
سبحانه وتعالى عنه مكية ، أما الآيات الأخرى التي نزلت بعد ذلك وخاصة آيات
الحريم القاطع للربا فهي مدنية . ومن ذلك يتبيّن أيضاً أن التحريم القاطع للربا
قد نزل أيضاً بعد أن استقر الإيمان في قلوب المسلمين .

والأسلوب الذي اتبّعه القرآن الكريم في علاج تعاطي المخمر والربا هو
التكوين التدريجي لاستجابة التفور والكراهية لهما حتى تصل إلى درجة من
القوة يمكنها أن تغلب على استجابة الميل والحب لهما ، وبذلك استطاع القرآن
أن يعالج بنجاح هاتين العادتين القويتين المستقرتين في سلوك العرب ، وأن ينفع
عليهما بأسلوب مخطط في غاية الدقة والحكمة .

وقد توصل بعض المعابدين النفسيين حديثاً إلى أسلوب في العلاج النفسي
مستمد من أبحاث سكرر Skinner في الإشراط الإجرائي ، وهو يشبه كثيراً
الأسلوب الذي استخدمه القرآن في علاج تعاطي المخمر والربا . ويعرف هذا
الأسلوب في العلاج النفسي «بالتشكيل» . ومن أمثلة تعديل السلوك عن طريق
التشكيل حالة مريض عقلي نزيل أحد مستشفى الأمراض العقلية كان يرفض
الذهاب إلى حجرة خاصة بالمستشفى أعدت لاجراء بعض التجارب على المرضى ،

(١) القراءة : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٢) القراءة : ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

وكانت تقع هذه العجارة في الدور الأرضي من المستشفى . وتبليغ المريض الطريقة التي اتبعت مع هذا المريض لدفعه إلى التزول إلى هذه العجارة في مكافأته على قيامه بالأفعال التي تقترب شيئاً فشيئاً من الاستجابة التالية المطلوب أداؤها . فحين يدبر المريض رأسه لأول مرة نحو الباب الموصى إلى السلم الذي يؤدي إلى الدور الأرضي أسرع المعالج بمكافأته بقطعة من الحلوى التي يحبها . وسرعان ما يعاود المريض الالتفات نحو الباب ، وكان دائماً يكافأ على ذلك بقطعة من الحلوى . وبعد تكرار ذلك عدة مرات وقف المريض في مواجهة الباب . وبعد استكمال هذه المرحلة من التدريب ، امتنع المعالج عن مكافأته إلا إذا خطأ خطوة نحو الباب . وبعد مكافأة المريض عدة مرات عقب الخطوات التي خطأها نحو الباب ، امتنع المعالج عن مكافأته إلا إذا خطأ خطوة في اتجاه السلم الموصى إلى الدور الأرضي . واستمر العلاج على هذا النحو عدة أيام حتى نزل المريض بالفعل السلالم ودخل العجارة المعدة لإجراء التجارب^(١) .

وقد استخدمت طريقة التشكيل أيضاً في تعلم الأطفال بعض الاستجابات الصعبة ، وذلك بالعمل على تكوين هذه الاستجابات لديه تدريجياً . فثلاً ، إن الطفل الذي لم يتعلم من قبل النظافة والذهاب إلى الحمام في الوقت المناسب ، ويكون قد تجاوز السن الذي يتعلم فيه معظم الأطفال ذلك ، فإنه يمكن أن تعلمه ذلك بأن تبدأ بإثباته بإعطائه حلوى ، مثلاً ، مجرد أن ينبع إلى الحمام . فإذا تعلم الطفل ذلك ، يتقلل العلاج إلى الخطوة التالية وهي أن يطلب منه أن يذهب إلى الحمام عند احتمال ظهور حاجته إلى الإخراج بطريقة لا إرادية ، ثم يثاب الطفل عندما يتم الإخراج إثابة أكبر بإعطائه قطعة أكبر من الحلوى ، وبتشاءك كثير من والديه . ثم أخيراً يثاب الطفل ثواباً أكبر إذا أخبر والديه بأنه يحتاج إلى الذهاب إلى الحمام وقبل أن يتم الإخراج بطريقة لا إرادية^(٢) . إن هذا الأسلوب في العلاج يعتمد أساساً على التكوين التدريجي للاستجابة

(١) سارنيوف أ. مدليك ، هوارد ر. بوليو ، والزيارت ف. لويس : التعلم ، ترجمة محمد عباد الدين اسماعيل ، ومراجعة محمد عثمان مجاهي . بيروت : دار الشرق ، ١٩٨١ ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) جولييان روزر : علم النفس الإكلينيكي ، ترجمة عطية محمود هنا ، ومراجعة محمد عثمان مجاهي . ط ٢ ، بيروت : دار الشرق ، ١٩٨٤ ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

المطلوب تعلمها عن طريق التعلم التاريخي لأنواع من الاستجابات المتوسطة والتي تتجه تدريجياً نحو تكوين الاستجابة المطلوبة . وهذا الأسلوب في العلاج يماثل الأسلوب الذي أتباه القرآن من قبل في علاج تعاطي الخمر والرiba .

وأتباع جوزيف ولبي Joseph Wolpe أنشأ « طريقة التدريج » ليحل محل الخوف المرتبط بأشياء معينة ، وذلك عن طريق تكوين استجابة معارضة للخوف كالاسترخاء لسلسلة متدرجة من الأشياء المشابهة للشيء الأصلي المثير للخوف ، ولكنها ترتب في نظام متدرج من أقلها إثارة للمخوف إلى أكثرها إثارة له ، ويعجّب يكود الشيء الأصلي المثير للخوف والمطلوب علاج الفرد من المخوف منه في أعلى هذه السلسلة . ثم يبدأ العلاج بتعليم المريض الاسترخاء أثناء تخيل الشيء الأدنى في هذه السلسلة حتى يزول المخوف المرتبط به . ثم ينتقل العلاج إلى تعلم المريض الاسترخاء أثناء تخيل الشيء الثاني في السلسلة والذي يثير قدرًا أكبر من المخوف ، ويستمر العلاج حتى يزول المخوف المرتبط به . وهكذا يستمر العلاج بالتخليص التدريجي من المخوف المرتبط بهذه السلسلة المتدرجة من الأشياء المثيرة للمخوف حتى يتنهى العلاج إلى التخلص من المخوف المرتبط بالشيء الذي يوجد في قمة هذه السلسلة ، وهو الذي بدأ العلاج أساساً للتخلص منه^(١) .

إن أسلوب التدريج في تعلم الاستجابات الصعبة ، أو في العلاج النفسي الذي يرمي إلى التخلص من بعض العادات أو الانفعالات غير المرغوب فيها ، والذي توصل إليه علماء النفس المحدثون أخيراً قد سبق أن استخدمه القرآن منذ أربعة عشر قرناً من الزمان في علاج تعاطي الخمر والرiba .

(١) ريتشارد م . شورن : علم الأمراض النسبية والعقلية ، ترجمة أحمد عبد المزير سلامة . القاهرة دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ ، ص ٨٤٦ - ٨٥٢ .

الفصل السادس

العلم الذي في القرآن

الإلهام والرؤيا

إن قدرة العقل الإنساني على معرفة الحقائق وتحصيل العلوم محدودة ، فهو لا يستطيع أن يحيط بجميع الحقائق الكونية ، كما أنه عاجز عن أن يصل بجهوده الذاتية إلى معرفة الحقائق الغيبة .

١٠) ... وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

وفضلاً عن ذلك ، فإن العقل الإنساني معرض لأنخطاء التفكير التي أشرنا إليها في الفصل الرابع الخاص بالتفكير في القرآن ، كما أنه معرض للغفلة والنسيان ، ولذلك كان الإنسان في حاجة من وقت إلى آخر إلى هداية الله تعالى له وتوجيهه إلى ما فيه خيره وصلاحه ، سواء عن طريق الأنبياء والرسل ، أو عن طريق الإلحاد والرؤيا . وقد كانت مهمة الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى في عصور التاريخ المختلفة هي هداية الناس وتعليمهم شعائر الدين ، وما فيه خير البشرية .

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَحْدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيًّا مُّشَرِّنَ وَمُنَذِّرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ

الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ..

(ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله وأجتنبوا الطاغوت...)

الإسماء : (١)

- 11 -

• 10 : 100 (3)

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْكُمْ فَأَتَزَّلَّنَّا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ ...»^(١)

وليس العلم اللدني^(٢) الذي يحصل عن طريق الإلحاد والرؤيا خاصاً بالأنباء والرسل وحدهم ، بل إنه يمكن أن يحصل أيضاً للناس الآخرين من غير الأنبياء والرسل إذا ما توافرت فيهم شروط معينة من الصلاح والتقوى والصفاء القلبي والشفافية الروحية .

والإلحاد هو نوع من العلم الذي يفجع الله سبحانه وتعالى به على الإنسان ، ويليقه في قلبه ، فتشكل له بعض الأسرار ، وتتضاع له بعض الحقائق . وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى العلم اللدني الذي أفاض الله تعالى به على أنبيائه ورسله . ومن أمثلة ذلك ما ذكره القرآن في سورة الأنبياء عن داود وسليمان عليهما السلام حينما قاما بالتحكيم بين رجلين أحدهما صاحب حرث اشتكى بأن غنم الرجل الثاني قد رعت فيه وأفسدته . فحكم داود عليه السلام لصاحب الحرث برقاب الغنم . وأنعم الله تعالى سليمان عليه السلام بالحكم لصاحب الحرث بالانتفاع بذر الغنم ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان ياصلاح صاحب الغنم مما غيردها إليه . وقد رأى داود رجاحة رأي سليمان فرجع إليه . قال تعالى :

﴿وَدَاؤُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمُونَ إِذْ تَقْرَبُنَّ فِي الْحَرْثِ إِذْ تَقْرَبُنَّ فِي عَنْمَ الْقَرْمِ وَكَمَا
يَحْكِمُهُمْ شَهِيدُنَّ﴾ فَهَمَّتْنَاهُ سُلَيْمَانَ وَكَلَّا ؛ أَيْتَنَا حُكْمَّاً وَعَلَّا ...^(٣)

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره الله تعالى عن تعليمه لداود عليه السلام صناعة الدروع ، وكان داود أول من صنعها .

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُلُّ رَجُلٍ خَصَّنَّاهُمْ مِنْ بَأْسِكٍ فَهَلْ أَنْتَ شَاكِرٌ ؟﴾^(٤)

(١) الحديد : ٤٥ .

(٢) العلم اللدني هو العلم الرباني الذي يصل لصاحبه عن طريق الإلحاد (انظر المعجم الوسيط) .

(٣) الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩ .

(٤) الأنبياء : ٨٠ .

وقال الله تعالى أيضاً عن داود عليه السلام : .

«... وَهَذِهِ آنَّهُ الْمُلْكُ وَالْحِكْمَةُ وَعَلِمَهُ مَا يَسْأَهُ ..»^(١)

وعلم الله تعالى يوسف عليه السلام عن طريق الإلهام تأويل الأحلام والرؤى .

«وَكَذِكَلَّتْ يَعْتَبِرُكَ رَبِّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ..»^(٢)

«... وَكَذِكَلَّتْ مُحَمَّدًا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْعَلِمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَأَنَّهُ ظَلَبَ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُ ۝ هَذِهِنَّ حُسْنَمَا وَعِلْمًا وَكَذِكَلَّكَ تَجْزِي الْمُخْبِرِينَ ۝»^(٣)

وذكر القرآن ما قاله يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن مؤكداً لما معرفته بتأويل الأحاديث ، وعلمه بالمخيبات ، وقدره على الاخبار بها قبل أن تحدث ، وذلك بما علمه الله سبحانه وتعالى وأنفمه به .

«قَالَ لَا يَأْتِيْكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا تَبَاعُكُمَا تَأْوِيلِهِ رَبِّكَ ..»^(٤)

وحينا طلب يوسف عليه السلام من إخوه أن يذهبوا بقميصه ويلقوه على وجه أخيه فتصبح بصيراً ، إنما كان يعلم مقدماً عن طريق الإلهام الإلهي أن أخيه سيفتح بصيراً حيناً يلقى القميص على وجهه .

(١) البقرة : ٢٥١ .

(٢) يوسف : ٦ .

(٣) يوسف : ٢٢ ، ٤١ .

(٤) قال يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن : « لَا يَأْتِيْكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَاهُ إِلَّا تَبَاعُكُمَا قَلْ حَضُورٍ » إليك سورة وأوصافه ، فقد كان من ماداته ... صلٰى اللهٰ عَلٰيْهِ وَسَلَّمَ ... أنه قلل حضور الطعام إليها ، يقول لها : اليوم يأتِيكما طعام من صفتكم كيت وكيت ، فيجدانه كذلك بعد حضوره ، وأنطلق التأويل على ذلك تشبيهاً له بتأويل الروايا ، غالباً يشتراكان في الاخبار بالغريب ، (التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، جمع البحوث الإسلامية بالأزهر

«أَذْهَبُوا يَقْمِصُونِي هَذَا فَالنُّورُ عَلَى وَجْهِ أُولَئِكَ يَسِيرُ كَا...»^(١)

وكان يعقوب عليه السلام يعلم عن ابنه يوسف عليه السلام بإلهام من الله ما لا يعلم أبناءه .

«فَالَّذِي أَنْتَ حَكَمْتُكُو بَقِيَ وَحْزِنْتُ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُ...»^(٢)

«فَلَمَّا أَنْ جَاءَ النَّبِيُّ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَلَرَدَ يَسِيرًا قَالَ أَلَّا أَفْلَأُكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(٣)

وقال الله تعالى أيضاً عن يعقوب عليه السلام :

«... وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلِمَ...»^(٤)

وقال الله تعالى مخاطباً محمداً صل الله عليه وسلم :

«... وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَيْكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا»^(٥)

وفي القرآن كثير من الآيات التي تشير إلى إلهام الله تعالى أنبياءه ورسلة العلم والحكمة .

ومن الأمثلة البارزة في القرآن عن العلم الذي ما جاء في سورة الكهف عن العبد الصالح الذي طلب منه موسى عليه السلام أن يرافقه ليتعلم منه .

(١) يوسف : ٩٣ .

(٢) يوسف : ٨٦ .

(٣) يوسف : ٩٦ .

(٤) يوسف : ٦٨ .

(٥) النساء : ١١٣ .

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا أَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾
 قالَ لَهُ مُوسَى مَوْمِنٌ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مَا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾^(١)

وَمَعَ أَنْ مُوسَى كَانَ نَبِيًّا وَرَسُولًا إِلَّا أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمْ مَا خَصَّ اللَّهُ
 تَعَالَىَ بِهِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ مِنْ عِلْمٍ لَدُنْهُ كَشَفَ لَهُ بِهِ مِنْ أَسْرَارِ النَّيْبِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمْ
 بِنِي اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَقَدْ عَلِمَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىَ أَنَّ هَذَا مَلَكًا يَتَعَقَّبُ
 السُّفُنَ وَيَنْتَصِبُهَا ، وَلَذِلِكَ خَرَقَ سُفْنَةً يَمْلِكُهَا بَعْضُ الْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ لِيَعْيَاهَا وَيَنْجِيَهَا
 مِنَ الْمَلَكِ الظَّالِمِ . وَعَلِمَ أَيْضًا أَنَّ الْفَلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ سِيرَهُقُّ وَالدَّيْهُ الصَّالِحِينَ فَأَرَادَ اللَّهُ
 تَعَالَىَ أَنْ يَدْعُهُمَا عَنِ الْغَلامِ الَّذِي قَتَلَهُ سِيرَهُقُّ وَالدَّيْهُ الصَّالِحِينَ فَأَرَادَ اللَّهُ
 تَعَالَىَ أَنْ يَنْتَصِرَ كَثِيرًا لِغَلَامِينَ فَقَبَرِينَ فِي الْمَدِينَةِ كَانُوا وَالَّذِهَا صَالِحُوا ، فَأَقَامَهُ لِيَخْفَظَهُ لَهُمَا
 حَتَّى يَكُبُرُوا وَيَسْتَخْرُجَا كَثِيرًا . وَقَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَنَّ مَا فَعَلَهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ أَمْرِهِ ،
 وَإِنَّمَا كَانَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَىَ .

﴿.. وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ..﴾^(٢)

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تَدْلِيلٌ عَلَىَّ أَنَّ الْإِيمَانَ أَوَ الْإِلَهَمَ الْإِلهِيِّ يَعْكُنْ
 أَنْ يَحْدُثَ لِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُولِ . فَقَدْ حَدَثَ ذَلِكَ لِأَمْ مُوسَى .

﴿إِذَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَىٰ ﴾^(٣) أَنِ اقْتَلْنِي فِي الْأَثْوَرِ فَاقْتُلْنِي فِي الْبَرِّ ..﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْ مُوسَىٰ أَنَّ أَرْضَهُمْ فَهَذَا يَحْتَلُّ عَلَيْهِ فَاقْتُلْنِي فِي الْأَرْضِ وَلَا تَحْتَنِي
 وَلَا تَحْزِقْنِي إِنَّ رَبَّهُمْ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤)

وَأَنَّهُمْ اللَّهُ تَعَالَىَ أَيْضًا الْحَوَارِيُّونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(١) الكهف : ٦٥، ٦٦.

(٢) الكهف : ٨٢.

(٣) طه : ٢٩، ٣٠.

(٤) التصوير : ٧.

**وَإِذَا أُوحِيَ إِلَى الْمُحَارِّثِينَ أَنَّهُمْ نَمُوذِجُوا وَرَسُولِ قَاتُلَوا هَامَّا وَأَفَهَدَ
بِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ ۝**^(١)

ويشير القرآن أيضاً إلى أن الإيمان والقوى والإخلاص في عبادة الله وما يؤدي إليه ذلك من صفاء القلب وشفافية الروح يجعل الإنسان مهياً لخلق الإيمانات والإلهامات من الله تعالى ليهديه إلى سبل الحق والخير ، وليرشهده إلى طرق الفضيلة والهدامة .

وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَنَاهُمْ تَقْوَتُهُمْ ۝^(٢)

وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِي سَبِيلِنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيُّ الْمُخْرِجِينَ ۝^(٣)

ۖۖۖ وَآتَنَاهُمْ اللَّهُ وَمُعَلِّمُهُ اللَّهُ ۖۖۖ^(٤)

ويوجد في الحديث النبوي الشريف ما يدل على حدوث الإلحاد الإلهي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه وسلم قال : «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون ، فإن يكفي أمتي أحد فإنه عسر»^(٥) . وقيل في تفسير محدثون ، أي ملهمون . وفي حديث آخر أخرججه أحمد والبزار عن أبي هريرة أن النبي صلوات الله عليه وسلم قال : «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»^(٦) . وأخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال : «إن كان الرجل

(١) المائدة : ١١١ .

(٢) صد : ١٧ .

(٣) المتكبر : ٦٩ .

(٤) البقرة : ٢٤٢ .

(٥) رواه البخاري ، الحديث رقم ٣٦٨٩ ، كتاب فضائل أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، فتح الباري بشرح البخاري ، ج ١٤ ، ص ١٨٩ .

(٦) رواه الترمذى عن ابن عمر (مشكلة المصاييف للطبرانى الحديث رقم ٦٠٣٣ ، ج ٣ ص ١٧٠٤) .

ليحدث عمر بالحديث فيكتبه الكلبة فيقول : إحبس هذه ، ثم يمدده بالحديث فيقول : إحبس هذه ، فيقول له : كل حديث حق إلا ما أمرتني أن أحبه^(١) . ويتبين من الحديثين السابقين ومن رواية ابن عساكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتمتع بقدر كبير من الصفاء القلبي الذي يجعله شديد القابلية لتلقي الإلهمات من الله سبحانه وتعالى .

وقد يحدث الإمام للناس عن طريق الملائكة وهو ما يسميه الصوفيون بالمخاطر الملائكة . فعن عبد الله بن مسعود أن الرسول صل الله عليه وسلم قال : « إن للشيطان ثلاثة بين آدم ، وللملائكة ثلاثة . فأمامة الشيطان فزيعاز بالشر وتكميل بالحق ، وأماملة الملك فزيعاز بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله تعالى . ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان »^(٢) .

ولا يتعرض علماء النفس للمحدثون لدراسة الإمام الإلهي ، ولكنهم حينما يدرسون التفكير المبدع فإنهم يطلقون مصطلح « الإمام » أو « الإشراق » على ظهور الأفكار المبدعة التي يبدو أنها تظهر فجأة لبعض المفكرين أثناء تفكيرهم في بعض المشكلات . وهم يفسرون هذا النوع من الإمام بأنه يبتعد من خلل المفكر نفسه ، وهو ليس شيئاً يفيض عليه من مصدر خارجي . فعانياً يفكر الإنسان في مشكلة ما مدة طويلة دون أن يهتدى إلى حلها ، فإنه عادة ما يتركها فترة من الزمن يرتاح فيها ذهنه ، ثم يعود إلى التفكير فيها فيما بعد . وتحدث في هذه الفترة من الراحة ، والتي يسميها علماء النفس بفترة الحضانة ، تغيرات هامة في عملية التفكير . فاؤلاً ، يخلص التفكير من بعض الشوائب التي كانت تعوقه عن الوصول إلى الحل . وثانياً ، يرتاح الذهن من الإجهاد الذي يصبه من مواصلة التفكير في المشكلة ، فإذا عاد إلى التفكير فيها فيما بعد يكون أكثر صفاء ونضاراة . وثالثاً ، يحدث نوع من التنظم في معلومات الإنسان مما يؤدي إلى اتضاح بعض العلاقات التي لم تكن واضحة من قبل ، وظهور بعض الأفكار الجديدة ، والاهتماء إلى حل المشكلة . ويرى بعض علماء النفس

(١) سعيد حوى : مرجع سابق ، ص ١٥٤ .

(٢) رواه مسلم والترمذى (منصور حل ناصف : الناج حل الجامع للأصول في أحاديث الرسول ، ط٤ ، القاهرة : دار الفكر ، ١٩٧٥ ، ج ٣ ، ص ٣٤٢) .

أنه يحدث نوع من التفكير اللاشعوري في المشكلة ، ويبدو أن بعض النشاط العقلي يستمر على نحو ما^(١) .

وليس هناك في الواقع تعارض بين التفسير العلمي للإمام الذي يذهب إليه علماء النفس المحدثون في تفسيرهم للتفكير المبدع ، وبين التفسير الديني له . إن علماء النفس المحدثين يتوقفون فقط في تفسيرهم عند العمليات الفسيولوجية التي تتم في المخ ، والعمليات السيكولوجية المصاحبة لها . غير أنه من وجهة نظر الدين ، فإن مع التسليم بما يقوله علماء النفس المحدثون عن العمليات الفسيولوجية التي تتم في المخ وما يصاحبها من عمليات سيكولوجية ، فإنه تتجاوز هذا المستوى من التفسير ، ونذهب إلى أن الله سبحانه وتعالى المتصرف في كل شيء في الكون ، والمدير لأموره ، قد تقتضي مشبته أن يوجه عملية التفكير لدى بعض الناس على نحو ما بحيث يهدىهم إلى اكتشاف بعض الحقائق التي يريد سبحانه أن يلهمهم بها ، فتفسح لهم هذه الحقائق كأنما أشرقت في عقولهم فجأة . وقد تقتضي مشبته الله تعالى أن يحدث الإمام أحياناً في غير أوقات التفكير المبدع ، بأن يفيف الله تعالى في أي وقت يشاء على آنباته ورسله وغيرهم من عباد الله بما يشاء من إيحاءات وإلهايات .

إن كل ما يدور في مخ الإنسان من أفكار وعمليات عقلية ، وكل ما يحول فيه من خواطر ، إنما يتم بمشيئة الله وإرادته ، فهو المتصرف والمدير لكل شيء في الكون . ولقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذه الحقيقة في الدعاء الذي كان يقول فيه : « اللهم إني عبدك ، وأباك ، وأبن عبدك ، ناصيتك بيديك ... الحديث »^(٢) . والناصية هي مقدم الدماغ الذي يحتوى على الفصين الجبيرين اللذين توجد فيها مراكز العمليات العقلية للإنسان . ويشير قول الرسول صلى الله عليه وسلم « ناصيتك بيديك » إلى أن الله سبحانه وتعالى هو المتصرف المدير لما يحدث في خلايا مخ الإنسان من عمليات فسيولوجية ولما يصاحبها من عمليات سيكولوجية ، وهو الموجه لما يدور فيها من عمليات عقلية ، وتفكير مبدع ، وخواطر وإلهايات .

(١) عبد عثمان نجاشي : مرجع سابق ، ص ٣٢٨ - ٣٣٠ .

(٢) رواه أحمد ، ج ١ ، ص ٣٦١ .

وقد قام علماء النفس المسلمين الأقدمون بتفسير «الإلهام» تفسيراً يتفق مع مفهوم الدين له ، ومع ما جاء في القرآن عنه . فابن سينا ، مثلاً ، يفسر الوحي أو الإلهام الذي يحدث لبعض الناس سواء في حال اليقظة أو في النّام في صورة رؤيا ، على أنه ناشئ عن اتصال النفس بالملائكة أو الملائكة الأعلى (العقل الفعال في نظرته) ، وتلقى الوحي أو الإلهام عنه ^(١) .

وكما أن مشيئة الله سبحانه وتعالى قد تتفتتني توجيه التفكير لدى بعض الناس إلى الاعتداء إلى الحق بما يفيض سبحانه وتعالى عليهم من إلهامات وإنجذبات ، فكذلك قد تفتتني مشيته جل شأنه توجيه التفكير بعض الناس الآخرين بعيداً عن الحق بسبب استكبارهم وعنادهم وغفلتهم .

**«أَتَعْرِفُ عَنْ هَايَنَىَ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ فِي الْأَرْضِ يَقْرَئُونَ الْحَقَّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ
هَايَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الْغَيْرِ يَخْسِلُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَذَّابُوْ بِعَايَتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ» ^(٢)**

الأحلام والرؤى

الأحلام من الظواهر النفسية المألوفة والمشائعة بين الناس . وقد حاول المفكرون والعلماء في جميع عصور التاريخ تفسيرها ومعرفة أسبابها ، ووضعوا لذلك عدة تفسيرات مختلفة . وبعض الأحلams ينشأ نتيجة إحساسات يحس بها الإنسان وهو نائم سواء كانت هذه الإحساسات تحدث نتيجة مؤثرات خارجية تؤثر في حواسه ، أو كانت إحساسات ناشئة عن مؤثرات داخلية تحدث من البدن نفسه . وبعض الأحلams الأخرى يحدث نتيجة استمرار انشغال الفكر بأمور كانت تشغله أثناء اليقظة ، وببعضها الآخر عبارة عن تذكر بعض الأحداث السابقة . وتعتبر نظرية

(١) محمد عثمان نجاشي : الإدراك الحسن عند ابن سينا ، بحث في علم النفس عند العرب ، ط ٣ ، ص ٢١٦ .
(٢) الأحراف : ١٤٦ .

فرويد في تفسير الأحلام أكثر التفسيرات شيوعاً الآن بين علماء النفس ، وهي تذهب إلى أن الأحلام طريقة رمزية للتعبير عن دوافع الإنسان اللاشعورية .

وتنحصر بحوث علماء النفس المحدثين في الأحلام على هذه الأنواع من الأحلام التي أشرنا إليها سابقاً ، وعلى الأخص الأحلام التي تعبّر عن دوافعنا اللاشعورية تبعاً لنظرية فرويد في الأحلام . ولا يتعرض علماء النفس المحدثون للأحلام النبضية ، أو الرؤى الصادقة التي تكشف عن أمور ستحدث في المستقبل ، بالرغم من أن هذا النوع من الرؤى يقع أحياناً لبعض الناس ، كما ورد ذكره في الديانات .

ويذكر القرآن «أصناف الأحلام» و«الرؤيا». وأصناف الأحلام هي الأحلام المختلفة المسطورة الغامضة^(١). ولعل القرآن حيناً ذكر أصناف الأحلام كان يشير إلى جميع أنواع الأحلام التي تناولها علماء النفس بالبحث والتفصير ، والتي أشرنا إليها سابقاً . أما الرؤيا فهي ترد في القرآن فقط بمعنى الرؤيا الصادقة التي يلقى فيها الله سبحانه وتعالى إلى أنبيائه ورسله وغيرهم من الناس بوحي أو إلهام معين ، أو يخبرهم بأمر سيحدث في المستقبل . ومن أمثلة ذلك ما ورد في القرآن عن رؤيا إبراهيم أنه يذبح ابنه اسماعيل عليهما السلام .

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ الْسَّقِيرَ قَالَ يَسْبُّنِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا
تَرَى قَالَ بِثَابَتٍ أَفْعَلْ مَا تُؤْمِنُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝
فَلَمَّا أَسْلَكَ وَتَلَمَّرَ الْجَبَّينِ ۝ وَنَذَرَنَا أَنْ يَنْكِرُنِيمُ ۝ فَقَدْ صَدَقَ الرُّؤْيَا
إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُخْسِنِينَ ۝ ۝

ومن أمثلة الروايات التي وردت في القرآن أيضاً رواية يوسف عليه السلام :

(١) في المسمى الوسيط : « أسفاق الأحلام » ما كان منها علتبساً مقطعاً بما يصعب تلويته .

٢) المصاالت : ٢٠٥_١٠٤

«إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَكْتَبْ إِلَيْ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ
وَأَيْتُهُمْ لِي سَجِيدِينَ ۝ قَالَ يَكْتُبْ لَا تَنْعَصُنِ رَبِّكَ اللَّهَ عَلَىٰ إِخْرَتِكَ فَبِكِيدُوا
لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلنَّاسِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝»^(١)

وقد تحققت هذه الرؤيا فيما بعد حينما استدعى يوسف عليه السلام أبيه وإخواته ، فلما دخلوا إليه سجدوا له سجدة تحيّة وإكبار .

«وَرَفَعَ أَبُوهُهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَتَرَوَأَ لَهُ سَجِيدًا وَقَالَ يَكْتَبْ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ
مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا...»^(٢)

وذكر القرآن أيضاً الرؤيا التي رأى فيها الرسول صلوات الله وسلامه عليه في العام الذي سار فيه إلى الحديبية أنه دخل مكة وطاف بالبيت العتيق :

«أَقْدَ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ أَرْؤَيَا بِالْمُتْقَنِ لَتَدْخُلُنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
عَامِينَ مُحْلِقِينَ رُؤْمَ وَسَكَرَ وَمَقْعِيرِينَ لَا تَحْمَلُونَ...»^(٣)

وذكر القرآن أيضاً الرؤيا التي رأها كل من القتيلين اللذين دخلا السجن مع يوسف عليه السلام ، وقيامه بتفسيرها^(٤) . كما ذكر الرؤيا التي رأى فيها ملك مصر :

«.. سَعَ بَقَرَاتٍ سِهَانٍ يَا تَكْهُنْ سَعَ عِجَافٍ وَسَعَ سُبَّلَتٍ خُضْرٍ وَأَنَّرَ
يَأْسَتٍ ..»^(٥)

وتفسير يوسف عليه السلام لها^(٦) .

(١) يوسف : ٤٠، ٤١.

(٢) يوسف : ٤٩-٤٧.

(٣) الفتح : ٢٧.

(٤) يوسف : ٤١، ٣٦.

(٥) يوسف : ٤٣.

(٦) يوسف : ٤٩-٤٧.

ومن أبي قحافة أن النبي صلوات الله عليه وسلم قال : « الرؤيا الصالحة » . وفي رواية « الرؤيا الحسنة من الله ، والحلمن من الشيطان . . . الحديث »^(١) ، وأنه قال أيضاً : « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة »^(٢) .

وكان لما ذكره القرآن عن الرؤيا تأثير كبير في آراء المفكرين المسلمين ففسروها بما جاء في القرآن عنها . ذكر الألوسي في تفسيره : « أخرج ابن أبي حاتم وابن مرحونه عن سلم بن عامر أن عمر بن الخطاب قال : العجب من رؤيا الرجل أنه يبيت فيري الشيء لم يخطر له على بال فتكون رؤياه كأنخذ باليد . ويرى الرجل الرؤيا فلا تكون رؤياه شيئاً . فقال عليٌّ كرم الله تعالى وجهه : أفلأ أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين ؟ يقول الله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تحي في متامها فيما يقضى الله تعالى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) . فما تعلى يتوفى الأنفس كلها ، فما رأت وهي عنده سبحانه في السماء فهو الرؤيا الصادقة ، وما رأت إذا أرسلت إلى أجسادها فهي الكاذبة »^(٣) .

ونجد تأثير القرآن واضحأ في تفسير الفلسفه المسلمين للرؤيا . فابن سينا ، مثلاً ، يفسر الرؤيا الصادقة بأنها تحدث نتيجة اتصال النفس بالملائكة أو بالملائكة أثناء النوم (العقل الفعال في نظرته) ، وتلقى الوحي أو الإلهام عنه ، أما أضغاث الأحلام فهي ، في رأيه ، ناشئة عن تأثير الإحساسات البدنية^(٤) .

وذهب حديثاً بعض الباحثين في أسرار القوة الروحية للإنسان إلى أن روح الإنسان تنسحب أثناء النوم وتقوم بسياحات إلى أماكن شتى . وهم يفسرون الأحلام بما تراه الروح أثناء سياحتها والإنسان نائم^(٥) . ويتحقق هذا الرأي مع الرأي الذي قال

(١) رواه الشيخان (المصطفى سعيد المحن وأخرون) : نزهة المتعين ، شرح رياض الصالحين لأبي زكريا عبيدي التورى ، ط٧ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ ، ج١ ، الحديث رقم / ٨٤٢) .

(٢) رواه الشيخان وأبو داود والترمذى (منصور على ناسف ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٣٠٤) .

(٣) أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البشدادى : روح المعانى في تفسير القرآن . القاهرة للطبعة الاميرية بيروق ، ١٣٠١ هـ ، ج٢ ، ص ٤٠٩ .

(٤) محمد حسين نجاشي : الإدراك الحسى هذه ابن سينا ، مرجع سابق ، ص ٢١٧ .

(٥) عبد الرزاق توفيق : القرآن والعلم الحديث . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٧٣ ، ص ٩٦ - ٩٩ .

به المفكرون المسلمين من قبل من حيث انطلاق الروح من الجسم أثناء النوم ، ولكن
يختلف عنه من حيث أن المفكرين المسلمين يرون أن الروح قد تصل أثناء انطلاقها إلى
الملأ الأعلى فتلتقي من هناك الروحي والإلهام في صورة رؤيا صادقة ، وقد لا تصل إلى
الملأ الأعلى ، فيكون ما تراه ، وخاصة وهي متآثره بالإحساسات البدنية أضغاث
أحلام . أما الباحثون الروحيون المحدثون فلا يتعرضون للتفرقة بين أضغاث الأحلام
والرؤيا الصادقة كما فعل المفكرون المسلمين .

الذكر والنسيان في القرآن

للذكر أهمية عظيمة الشأن في حياة الإنسان ، إذ أن تذكراً نتعلمنا السابق ، وعلوماتنا وخبراتنا السابقة يمكننا من حل ما يواجهنا من مشكلات جديدة في المستقبل ، كما أنه يساعدنا على مواصلة التقدم في اكتساب معلومات جديدة ، وفي اكتشاف حقائق جديدة ، وهو أمر هام في تطور التقدم العلمي والحضاري للإنسان .

وفضلاً عما للذكر من أهمية في حياة الإنسان العلمية والعملية ، فإن له أيضاً أهمية عظيمة الشأن من الناحية الدينية . فذكر الإنسان الدائم لله سبحانه وتعالى ، ولفضلاته ونفعه الكثيرة عليه في الحياة ، ولآخرة ويوم الحساب وما يتنتظره من ثواب أو عقاب ، إن تذكرة ذلك كلها مهم جداً للإنسان لأنها يدفعه إلى التقوى والعمل الصالح والتحلي بفضائل الأخلاق . فالذكر ، إذن ، مفید لتحقيق الخير للإنسان سواء في الدنيا أو في الآخرة . وقد حث القرآن الكريم في كثير من آياته على تذكرة الله تعالى وأياته في خلقه ، وتذكرة ما جاء به المرسلون من بينات وهدى ، وما بشروهم به ، وما أندروهم به . وقد ترددت كثيراً في القرآن عبارات مثل : «أفلا تذكرون» ، «لعلهم يتذكرون» ، «قليلًا ما تذكرون» ، «أفلا يذكرون» ، «لعلهم يذكرون» ، «قليلًا ما تذكرون» ، «وليتذكّر أولو الألباب» ، «إنما يتذكّر أولو الألباب» ، «وما يذكّر إلا أولو الألباب» .

وردت آيات كثيرة في القرآن تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه القرآن ليذكّر الناس بعقيدة التوحيد ، والبعث والحساب في الآخرة ، وبما غفلوا عنه ونسوه من تعاليم الأنبياء والرسل السابقين . ومن أمثلة هذه الآيات :

وَكِتَبْ أَزْلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي مَسْرِكَ حَرْجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذَكْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتَبْعَوْ مَا أَزْلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَبْعَوْ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ
قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۝^(١)

وَعَنْدَنَا بَلَغَتْ إِلَيْنَا وَلَيُنذِرُوا يِهِ وَلَيَعْلَمُوا أَنَّهُ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَلَيَذَكَّرُوا أَوْلَوْا
الْأَنْبِيَّ^(٢)

وَمَا كُنْتَ بِجَاهِبِ الظُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَنْهُمْ
لَذِيرُونَ مِنْ قِبْلَكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝^(٣)

وَكِتَبْ أَزْلَنَهُ إِلَيْكَ مُبَرِّئَكَ لِيَدْبُرُوا عَمَلَيْهِ وَلَيَتَذَكَّرُ أَوْلَوْا الْأَنْبِيَّ^(٤)
فَلَمَّا يَسْرَنَهُ يَلْسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝^(٥)

ۖۖۖ فَلَذِكْرُ الْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَيَعْدُ^(٦)

وَذَكْرُ فِلَادِ الْمُكْرِنِ شَفَعَ الْمُؤْمِنِينَ^(٧)

فَلَذِكْرُ إِلَّا أَنَّ مُذَكَّرٌ^(٨)

البيان :

وَمِنْ مشكلات الإنسان أنه معرض للبيان ، وهو أمر مضر به ، وهو يعوقه في

(١) الأعراف : ٤٠ .

(٢) إبراهيم : ٥٢ .

(٣) القصص : ٤٣ .

(٤) سـ : ٢٩ .

(٥) الدخان : ٥٨ .

(٦) ق : ٤٥ .

(٧) الذاريات : ٥٥ .

(٨) النازية : ٢١ .

كثير من المواقف عن التوافق السليم لما يجده من مشكلات الحياة . وقد ذكر القرآن النساء في كثير من الآيات . ونحن إذا رجعنا إلى هذه الآيات ودرست معانها لوجدنا أن النساء ورد فيها بعدة معانٍ يمكن تلخيصها فيما يلي^(١) .

١ - النساء الذي يطرأ في الذهن على الأحداث وأسماء الأشخاص والمعلومات المختلفة التي اكتسبها الإنسان من قبل . وهو النساء العادي الذي يتعرض له الناس نتيجة تراحم المعلومات وتداخلها . وقد درس علماء النفس هذا النوع من النساء دراسة مستفيضة وأرجعوا إلى تداخل المعلومات . وميزوا بين نوعين من التداخل : «التداخل الرجيسي» و«التداخل اللاحق» . يحدث التداخل الرجيسي حينما يُؤدي تعلمها لمواد جديدة إلى إضعاف تذكرنا لمواد سبق أن تعلمناها من قبل . ويحدث التداخل اللاحق في تأثير عاداتنا وأنشطتنا ومعلوماتنا السابقة في تذكرنا لما تعلمناها حديثاً . فكتلة المعلومات والأنشطة السابقة تؤدي إلى صعوبة تذكر المادة التي تعلمناها حديثاً ، بينما يكون تذكرنا لهذه المادة أحسن إذا كانت معلوماتنا وأنشطتنا السابقة أقل . وهذا كان الأطفال أكثر قدرة على تذكر تفاصيل الأحداث الماضية من الكبار^(٢) . وقد أشار القرآن إلى هذا النوع من النساء في قوله تعالى :

«سَقَرِيرُكَ فَلَا تَنسَى»^(٣)

٢ - النساء الذي ينطوي على معنى السهو ، كما ينسى الإنسان شيئاً ما في مكان ما ، أو كما يريد أن يتكلم مع شخص ما في عدة أمور فيتكلم عن بعضها وينسى البعض الآخر ، فلا بد كره إلا فيما بعد . ومثال ذلك ما حكاه القرآن عن فتى موسى في قوله تعالى :

«قَالَ أَرْهَبْتَ إِذَا أَوْيَتَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَلَمَّا كَسَيْتَ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَيْتَ إِلَّا

(١) البهـي الغولـ : مرجع سابق ، ص ١٨٢ - ١٨٤ .

(٢) سارترـ فـ ، مدـيكـ ، هـوارـدـ ، بـولـبرـ ، أـلـيزـاتـ فـ ، لـوقـائـسـ : مـرجعـ سـابـقـ ، ص ١٥٢ - ١٥٧ .

(٣) الأعلـ : ٦ .

أَتَيْكُنْ أَنْ أَذْكُرُهُ وَالْمَحْدَى سَيِّلَهُ فِي الْبَحْرِ بَعْبَراً ^(١)

ومثاله أيضاً ما قاله موسى للعبد الصالح عليهما السلام :

وَلَا تُؤَاخِذْنِي إِمَّا سَيِّلْتُ .. ^(٢)

وي يمكن تفسير هذا النوع من النسيان أيضاً بالتدخل اللاحق الذي أشرنا إليه سابقاً .

٣ - النسيان بمعنى ذهاب الاهتمام بأمر ما . ومن أمثلة هذا النوع من النسيان ما جاء في قوله تعالى :

وَلَسْوَا اللَّهُ فَنِسِيهِمْ .. ^(٣)

ويعنى «نسوا الله» أنهم تركوا طاعته للهاب اهتمامهم بخطاعة أوامره . ويعنى «فنسهم» أن الله تعالى صرف عنهم فضله وتركهم إلى نفوسهم .

ومن أمثلة هذا النوع من النسيان أيضاً ما جاء في قوله تعالى :

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ لَسْوَا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ .. ^(٤)

ويدخل في هذا المعنى النسيان الذي نسب إلى آدم عليه السلام في قوله تعالى :

وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَيْكَ أَدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنِسَى وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزَمًا ^(٥)

ويعنى ذلك أن قلب آدم قد «صار إلى لحظة من الفتور عن عهد الله جل شأنه» ^(٦) ، فنسى ما نهاه الله عنه ، فوسوس له الشيطان وأغواه وأوقعه في الخطية .

(١) الكهف : ٦٣ .

(٢) الكهف : ٧٣ .

(٣) التوبه : ٦٧ .

(٤) الحشر : ١٤ . ويعنى «أنسهم أنفسهم» : أنساهم أن يقدموا لها خيراً بالعمل الصالح في الدنيا .

(٥) طه : ١١٠ .

(٦) البيهقي الطبراني : مرجع سابق : ص ١٨٣ .

النisan والشيطان :

بنت بعض آيات القرآن أن الشيطان يجد في استعداد الإنسان للنisan مدخلًا للتأثير عليه ، فيجعله ي فهو أحياناً عن بعض الأمور المأمة التي فيها مصلحته ، كما يجعله أحياناً أخرى يغفل عن ذكر الله سبحانه وتعالى ، ويهمل في إطاعة أوامره . وقد ذكرنا سابقاً أثناء كلامنا عن النisan الناشي عن السهو الآية التي تذكر ما قاله النبي موسى عن نسيانه العحوت ، فقد قال : «وما أنساه إلا الشيطان أن ذكره» . ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى :

«وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَجْهُوْسُونَ فِي «إِيَّنَا فَأَغْرِيْنَ عَنْهُمْ حَتَّى يَجْهُوْسُوا فِي حَدِيْثٍ غَيْرِهِ، وَلَمَّا يُسْبِّيْنَكَ الشَّيْطَانَ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِيْ معَ الْقَوْمِ الظَّلَمِيْنَ»^(١)

«أَتَسْخُوْدَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أَوْ لَكِنْ يَرْبُّ الشَّيْطَانُ إِلَّا إِنْ يَرْبُّ الشَّيْطَانُ هُمُ الظَّالِمِيْنَ»^(٢)

«وَقَالَ لِلَّهِيْ لِكُنْ أَهُوَ نَاجٌ مِنْهَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْتَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرُ رَبِّهِ فَلَمْ يَكُنْ فِي السِّجْنِ وَضَعَ سِرْيَنَ»^(٣)

ووسيلة الشيطان في إغواء الناس ودفعهم إلى نسيان ذكر الله ، ونسيان ما فيه خيرهم وصلاحهم على وجه عام ، هو التأثير عليهم من ناحية دوافعهم وشهواتهم ، وهي نقطة الضعف في الطبيعة الإنسانية . إذ أن الإنسان يميل بطبيعته إلى إشاع دوافعه ، وإلى الحصول على اللذة والمتعة . ومن تلك الناحية كان مدخل الشيطان إلى نفس آدم عليه السلام^(٤) إذ متاه بالخلد ، والملك الذي لا يمل إذا ما أكل من

(١) الأسماء : ٦٨ .

(٢) المجادلة : ١٩ .

(٣) يوسف : ٤٢ .

(٤) البهوي الخوري : مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

الشجرة ، فسيآدم عليه السلام مانعه الله تعالى عنه فوقع في الخطينة . ويؤثر الشيطان على البشر جميعاً بنفس هذه الطريقة ، إذ يثير فيهم الشهوات المختلفة ، فيشغلون بالجري وراءها ، ويلهيمون ذلك عن ذكر الله .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَبَعُوا خُطُوكُتُ الشَّيْطَنِ وَمَن يَتَبَعُ خُطُوكَتَ
الشَّيْطَنِ فَلَهُ وَيَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ... ﴾^(١)

﴿ يَعْدُمُهُمْ وَمَا يَعْدُمُهُمُ الشَّيْطَنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾^(٢)

﴿ وَأَنْلَى طَهِيرَمْ نَبِأَ الَّذِي قَاتَلَنَا هَا يَقِنَّا فَإِنَّا لَنَخْلُعُ مِنْهَا فَأَتَيْنَاهُ الشَّيْطَنُ فَكَانَ
مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ هَا وَلَكِنْهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَأَتَيْنَاهُ
هَوَاهُ لَكَفَلَهُ كَفَلَ الْكَلِبِ إِنْ تَحْمِلْ طَبِيهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرْكَهُ يَلْهَثُ ... ﴾^(٣)

علاج النساء في القرآن :

إن علاج النساء الناشئ عن غفلة القلب عن الله سبحانه وتعالى إنما يكون بالذكر المستمر له تعالى ، وذكر نعمه وفضله ، وذكر آياته في خلقه ، وذكر الآخرة ويوم الحساب . وقد ذكر القرآن أهمية ذكر الله تعالى كعلاج لهذا النوع من النساء . يتضح ذلك من قوله تعالى :

﴿ .. وَادْعُ كُرْرَبَكَ إِذَا لَمْسَتَ .. ﴾^(٤)

وامتدح القرآن المؤمنين الذين يذكرون الله لوصفهم بأنهم أولو الألباب

(١) التور : ٢١ .

(٢) الساء : ١٦١ .

(٣) الأعراف : ١٧٥ . ١٧٦ .

(٤) الكهف : ٢٤ .

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآغْيَالِنِفِ الظِّلِّ وَآتَهُنَّ لَكُمْ إِلَّا زِلْلٌ
الْأَلَّابِ»^(١) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِبْلَهَا وَقُوْدًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَنْسَكُرُونَ
فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلًا سُبْحَانَكَ قَنَا عَذَابَ
أَنْارِ»^(٢)

ولَا كَانَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَاجًا لِلنِّسَانِ وَغَفْلَةُ الْقَلْبِ ، فَقَدْ أَمْرَنَا سُبْحَانَهُ أَنْ
نَذْكُرَهُ كَثِيرًا فِي النَّهَارِ وَاللَّيلِ ، وَفِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ .

«يَنْذَلِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِي كُلِّ كُثْرَى وَسَمِعُوهُ بَكْرَةً وَأَصِيلًا»^(٣)

«فَلَمَّا قَضَيْتُمُ الْأَصْلَوَةَ فَإِذْكُرُوا اللَّهَ قِبْلَهَا وَقُوْدًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ..»^(٤)

«فَلَمَّا قُضِيَتِ الْأَصْلَوَةُ فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لِعَلَّكُمْ تُمْلِحُونَ»^(٥)

إن علاج نسيان الإنسان لله سبحانه وتعالى وغفلته عن الآخرة إنما يكون بالإكثار
من ذكره تعالى بصفة مستمرة حتى يكون الله حاضراً في القلب على الدوام ، لا
يففل الإنسان عن ذكره لحظة . وهذا يذكرنا بأحد مبادئ التعلم التي تكلمنا عنها من
قبل وهو التكرار . فإن تكرار ذكر الله تعالى ، يكون عند الإنسان عادة ذكر الله
وتسبيحه ، بحيث تصبح هذه العادة ثابتة ومستقرة في سلوكه ، تتصدر عنه في كل
لحظة من لحظات حياته دون جهد أو عناء ، فيكون الله سبحانه وتعالى حاضراً
دائماً في القلب ، وهي حالة يهدف إلى تحقيقها كثير من الصوفيين من تكرار قيامهم
بالتدرييات والرياضات الروحية .

(١) آنِي عصران : ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) الأحزاب : ٤٢ ، ٤١ .

(٣) النساء : ١٠٣ .

(٤) الجمعة : ١٠ .

ولما كان القرآن كتاب عقيدة ، وليس كتاب علم ، فإنه من الطبيعي أن يعني القرآن بمشكلة نسيان الإنسان لله تعالى وغفلته عن الآخرة ، كما يعني علاج هذا النوع من النسيان لما في ذلك من أهمية عظمى بالنسبة لسعادة الإنسان سواء في الدنيا أو في الآخرة . وإذا كان المبدأ الذي يقوم عليه علاج هذا النوع من النسيان هو تكرار ذكر الله ، حتى تثبت هذه العادة وتستقر في سلوك الإنسان ، فإننا نستطيع أن نستنتج من ذلك أيضاً أن علاج النسيان العادي للمعلومات ، وهو النسيان من التوقين الأول والثاني اللذين تكلمنا عنهما سابقاً ، إنما يكون أيضاً بتكرار ذكر هذه المعلومات ، أي ، بمراجعتها واستدراكها مرات كثيرة . وهذا هو ما وصلت إليه بحوث علماء النفس المحدثين الذين قصرروا معظم اهتمامهم في دراسة النسيان على التوقين الأول والثاني فقط ، ولم يتعرضوا في دراساتهم لنوع الثالث من النسيان الذي ورد في القرآن والذي تكلمنا عنه سابقاً .

الفَصْلُ الثَّاَمِنُ

الجهاز العصبي والمخ في القرآن

استطاعت الدراسات التشريحية والفيزيولوجية الحديثة أن تحدد في لحاء المخ مناطق معينة تقوم بوظائف ميكولوجية معينة . ومن أهم هذه المناطق المنطقة الحركية التي تسيطر على حركة جميع أجزاء الجسم ، والمنطقة الحسية التي تنتهي إليها إحساسات اللمس وبعض عناصر الإحساس بالألم ، والإحساس بالتغيرات في درجة الحرارة ، والنحو (وكل جزء من أجزاء الجسم مثل في كل من المنطقة الحركية والمنطقة الحسية^(١)) ، والمنطقة البصرية وهي مركز الإيصال حيث تنتهي إليها النبضات العصبية الواردة من العين ، والمنطقة السمعية وهي مركز السمع حيث تنتهي إليها النبضات العصبية الواردة من الأذنين ، ومنطقة الترابط الجريبية التي توجد في معظم الجزء الأمامي من القصبين الجيبيين ، حيث تجتمع الرسائل الواردة من أجزاء الجسم المختلفة في إحساسات ذات معنى ، كما تتنفس فيها رسائل الحركة الصادرة إلى أجزاء الجسم المختلفة ، كما تتدخل في جميع الأنشطة التي يتحكم فيها المخ ، كما أنها تعتبر مركز العمليات الفعلية العليا كالتعلم ، والتفكير ، والكلام ، والكتابة والقراءة^(٢) .

تسجيل خبرات الإنسان في المخ :

إن مخ الإنسان يهمن ويسيطر على كل الأنشطة التي يقوم بها الإنسان . وكل ما يقوم به الإنسان من نشاط يترك أثراً في خلايا المخ . ويبقى هذا الأثر مسجلاً في خلايا المخ على نحو ما لم يعرف العلم كنه بعد . وهذه الآثار الباقية في خلايا لحاء

(١) تمثل أجزاء الجسم في كل من المنطقة الحركية والمنطقة الحسية من لحاء المخ بطريقة عكسيّة . فتجد القصبين والساق أعلى ، واليدين والقدم والرأس أدنى .

(٢) محمد هشام مجاهي : علم النفس في حياتنا اليومية ، مرجع سابق ، ص ٥٣ - ٥٨ .

المخ هي الأساس الذي تقوم عليه العمليات العقلية العليا للإنسان كالتعلم والذكاء والتخييل والتفكير . ولعلنا نستطيع على ضوء ذلك أن نفسر ما جاء في بعض آيات القرآن الكريم من أن السمع والأبصار والأسنان والجلود ستشهد على الناس يوم الحساب . والله أعلم كيف ستكون هذه الشهادة . ولكن بما أن جميع أنشطة الإنسان تسجل في خلايا مخه ، فمن المحتمل ، والله أعلم ، أن الله سبحانه وتعالى سيُسطّع هذه الخلايا فتُردد ما فيها على نحو متعدد أشرطة التسجيل ما فيها من تسجيلات . وقد اهتم العلماء المحدثون بدراسة النّفاذ الذّاكّر ، وتسجيل خبرات الإنسان في خلايا المخ . فقد ذكر حديثاً دكتور وايلدر بنسفيلد Wilder Penfield مدير معهد علم الأعصاب بمدينة مونتريال في أحد اجتماعات أكاديمية العلوم القومية أنه اكتشف جهازاً للتسجيل في جزء صغير بالمخ ، يبدو أنه يقوم بتسجيل كل شيء يمر بخبرة الفرد ، أو يلاحظه الفرد ، أو يتعلمه . ففي أثناء إجراء عملية جراحية في مخ مريضه كانت أثناء العملية محفظة بوعيها الكامل ، حدث أن مسّ دكتور بنسفيلد جزءاً صغيراً من قشرة المخ بإحدى أدوات الجراحة ، فذكرت المريضة على الفور أنها « تعيش » خبرة مرت بها من قبل في طفولتها ، وكانت قد نسيتها تماماً . وقد أدت تجارب أخرى أجريت حول هذا الموضوع إلى نفس النتائج . فعندما مُسّت بعض مناطق معينة من قشرة المخ ، فإن المرضى لم يجدوا لهم مجرد « تذكر » لخبرات قديمة ، وإنما هم كانوا « يعيشونها » ، ويشعرون أن ما يرون ، أو يسمونه ، أو يحسونه من الخبرات الأصلية كأنها هي خبرات واقعية . فكانوا الخبرات الماضية قد سجلت على شريط تسجيل ، يساعد تشغيله . أما كيف أن جهازاً صغيراً كالملحق البشري يمكن أن يخزن كمية هائلة من المعلومات ، فلا زال ذلك سراً لم يكتشف بعد » (١) .

إن مثل هذه التجارب تشير إلى أن خبرات الإنسان تسجل في خلايا مخه ، وأنه من الممكن جعل الإنسان يتذكر خبراته القديمة إذا ما استثيرت خلايا مخه بطريقة معينة . وبينما على ذلك . فإنه من المحتمل ، والله أعلم ، أن الله سبحانه وتعالى سيفعل سبط خلايا مخ الإنسان ، ويجعلها تردد ما سجل فيها من أفعال وأقوال ، فيتذكر الإنسان أفعاله وأقواله كأنما هي مشاهد حية يراها ويسمعها . وقد تكون هناك وسائل أخرى تسجل بها الله سبحانه وتعالى كل ما يصدر عن الناس من أفعال وأقوال ، وقد يكون التسجيل في

Maxwell Maltz ; Psycho - cybernetics New York - Pocel Books , 1960 . p. 22 .

(١)

خلاليا المخ هو إحدى هذه الوسائل . ومن المهم أيضاً أن يكون هناك أيضاً تسجيل يتم في خلايا أنسجة أعضاء الجسم المختلفة بطريقة ما لا يعرف كنهها .

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَقٌّ إِذَا مَا جَاءَهُ وَهَا
تَهْدِي عَلَيْهِمْ سَبِيلَهُمْ وَأَبْصِرُهُمْ وَجْهُهُمْ إِنَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا
إِلَيْلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْنَا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْكَنَّا اللَّهُ الَّذِي أَنْكَنَّا كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ
أُولَئِكَ مَرَّةٌ وَالآتِيهِ تُرْجَعُونَ ۝^(١)

وَيَوْمَ تَشَهِّدُ عَلَيْهِمْ أَسْنَتِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ إِنَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝^(٢)

وَالْيَوْمَ لَعْنَتُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتَكِلْمَنَّا أَيْدِيهِمْ وَتَشَهِّدُ أَرْجُلُهُمْ إِنَّا كَانُوا
يَسْعَسِبُونَ ۝^(٣)

وبتتكون لحاء المخ من بلايين الخلايا العصبية التي توجد في مكان ضيق نسبياً هو داخل الجمجمة ، ولذلك كون لحاء المخ كثيراً من الانخفاضات والارتفاعات . وسطح لحاء المخ في الحقيقة كبير جداً بحيث أنه لو فرش مسطحاً لبلغت مساحته ١٦ قدماً مربعاً . إن هذه المساحة الكبيرة من لحاء المخ ، والتي تتكون من بلايين الخلايا العصبية يمكنها أن تسجل جميع خبرات الإنسان والأنشطة المختلفة التي يقوم بها . إن لحاء من المخ الإنسان هو في الواقع سجل كبير ضخم لكل ما يقوم به الإنسان . ولعل تسجيل أعمال الإنسان في خلايا مخه ، كما أشرنا من قبل ، هو إحدى وسائل التسجيل التي اقتضت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن تسجل فيها أعمال الإنسان حتى تكون حجة عليه لا يستطيع إنكارها .

(١) نصت ١٩ - ٢١ .

(٢) التور : ٤٤ .

(٣) بس : ٦٥ .

وَكُلُّ إِنْسَنٍ الْزَّمَنَةُ مُلَهِّرٌ فِي هُنْقِهِ وَخُرُجٌ لِّهُ يَوْمَ الْقِبْلَةِ كِتَابًا
يَلْقَهُ مَنْ شُرِّدَ ◇ أَقْرَأَ كِتَابَ كُلِّ يَوْمٍ طَلِيكَ حَسِيبًا ◆^(١)

وَيُنْهَا إِلَى إِنْسَنٍ يَوْمَئِذٍ إِمَّا قَدَمَ وَأَنْعَرَ ◇ بَلْ إِلَى إِنْسَنٍ عَلَى نَفْسِهِ
بَصِيرَةً ◇ وَلَوْلَا أَنَّ مَعَادِرَهُ ◆^(٢)

وتسجيل أعمال الإنسان في خلايا مخه لا يمنع أن يكون هناك تسجيل آخر للأعمال جميع الناس في سجل آخر عام شامل هو الكتاب الذي أشارت إليه بعض آيات القرآن .

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ يَنْوِرُ رَبَّهَا وَرُوضَ الْكِتَابُ وَجَاءَ، بِالنَّبِيِّنَ وَالشَّهِيدَاتِ
وَقِصْرِي بِنَهْمٍ بِالْحَقِّ وَهُنْ لَا يُظْلَمُونَ ◆^(٣)

وَرُوضَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمُونَ مُشْغَلِينَ هَمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَلَوْلَكُنَا
مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَفْلِدُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَخْصَصَهَا وَوَجَدُوا مَا عَلِمُوا
حَاضِرًا وَلَا يَغْلِظُونَ رَبِّكَ أَحَدًا ◆^(٤)

وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُنْ لَا يُظْلَمُونَ ◆^(٥)

(١) الإسراء : ١٣ - ١٤ . الْزَّمَنَةُ طَالِرٌ : أَيُّ الْزَّمَنَةِ حَمَلَهُ لَوْمَ الْقَلَادَةِ للْمُنْتَقِي ، وَحَسِيبًا : أَيُّ حَاسِبَةٍ وَعَصِيَّةٍ
عَلَيْكَ عَمَلُكَ . (المتخب في تفسير القرآن الكريم) .

(٢) النَّيَامَةُ : ١٣ - ١٥ . عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ : أَيُّ هُوَ عَلَى نَفْسِهِ حِجَةٌ ، أَيُّ هُوَ شَهِيدٌ عَلَى نَفْسِهِ . وَلَوْلَا قُرْ
مَاعَنِيهِ : أَيُّ طَرْحٌ مَاعَنِيهِ لَا يَسْكُنُهُ التَّخْلُصُ مَا قَدِيلٌ : (المتخب في تفسيره الكريم ، وتفسير ابن كثير ،
ج. ١ ، ص ٤٤٨) .

(٣) الزمر : ٦٩ .

(٤) الكهف : ٤٩ .

(٥) المؤمنون : ٦٢ .

الإدراك الحسي والمخ :

تأثير أعضاء الحس بالتشبيهات الحسية التي تقع عليها من المحسوسات المختلفة ، فتتطلّق منها نبضات عصبية تمر خلال الأعصاب حتى تصل إلى مراكز الإحساس باللغة حيث يحدث الإدراك الحسي .. وقد أشار القرآن إلى بعض أعضاء الحس الخامة في كثير من الآيات التي سبق أن أشرنا إليها في الفصل الثالث الخاص بالإدراك الحسي . ومن أمثلة هذه الآيات :

وَاللَّهُ أَنْتَرِجْكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهِتُكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْمَسْعَ
الْأَكْثَرَ وَالْأَقْدَمَ لِعَلْكُمْ تَشْكُرُونَ ^(١)

وَهُمُ الَّذِي أَنْشَأُوكُمُ الْأَسْمَاءَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْقَادَ قَلِيلًا مَا يَسْكُونَ^(٢)

وقد سبق أن ذكرنا أيضاً في الفصل الثالث أثناء كلامنا عن الإفراط الحسي أن القرآن قد أشار إلى وجود أعضاء الحس الخاصة بالألم في بشرة الإنسان ، فإذا احترقت البشرة ، وتلاشت أعضاء الحس الخاصة بالألم نتيجة لذلك ، لم يعد الإنسان يحس بالألم . ولذلك ، فإن الله سبحانه وتعالى يندد بهجولود الكافرين التي احترقت جلوداً جديدة لكي يستمر عذابهم بألم الاحتراق ..

وَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِعْلَمْنَا سَوْفَ نُتَصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّا نَضْجَعُتْ جُلُودُهُمْ بِذَلِكُمْ
جُلُودًا عَغْرِيْهَا لَيُلْوِقُوْهَا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٤٣﴾

العمليات العقلية والمخ

ذكرت في مطلع هذا الفصل أنه توجد في خارج المخ مناطق معينة تقوم بوظائف سبيكلولوجية معينة . وذكرت أنه يوجد في منطقة الفصين الجبيين في مقدم الرأس مركز العمليات العقلية العليا عند الإنسان . وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى :

(١) التسلل : YA . (٢) التساد : ٩٣ .

YADDAH(Y)

«كَلَّا لَهُنَّ لَرِينَسِهِ لَتَسْفَعُمَا يَالنَّاصِيَةِ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ»^(١)

والناصية هي مقدم الدماغ حيث يوجد الفصان الجيباني اللذان يوجد بهما مركز العمليات العقلية . وإن وصف الله تعالى لناصية أن جهل الذي نزلت فيه هاتان الآياتان يأنها كاذبة وخطأته ، إنما يشير إلى ما يدور في مقدم دماغه من أقوال كاذبة ، وأفعال خطأته^(٢) . فالقول الكاذب ، والفعل الخطأ بيadan أولًا في خلايا سباء المخ ، ثم تستقبل من المخ إشارات عصبية إلى عضلات اللسان فينطق بالقول الكاذب ، أو إلى أعضاء البدن فيحدث الفعل الخطأ . إن وصف القرآن لـ الناصية بالكاذب والخطأ إنما يشير إلى هذه الحقيقة العلمية التي لم تعرف إلا في العصر الحديث عندما اكتشف علماء الفسيولوجيا مراكز العمليات السيكولوجية في المخ .

(١) المثل : ١٥ ، ١٦ . السفع : القبض على شيء وجعله بشدة .

(٢) علمت عن طريق بعض وسائل الإعلام أن أحد الباحثين ، في مؤتمر « الإجاز المعنوية في القرآن » الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٨٤ ، قد أشار إلى تفسير « ناصية كاذبة خطأته » على التحرر الذي ذكره ، ولكن لم استطع الاطلاع على هذا البحث ، حيث كتب في ذلك الوقت خارج مصر ، ولم تنشر حتى الآن بحوث هذا المؤتمر .

الفصل التاسع

الشخصية في القرآن

عندما يفكر الناس في الشخصية ، فإنهم يرونها عادة باعتبارها التأثير الذي يحدثه الفرد في الآخرين ، أو يرونها باعتبارها أهم الانطباعات التي يتركها الفرد في الآخرين كأن يرونه مثلاً شخصاً عذرياً أو شخصاً مسالماً . أما علماء النفس فإنهم حينما يدرسون الشخصية فإنهم ينظرون إليها باعتبارها الأبنية والعمليات النفسية الثابتة التي تنظم خبرات الفرد وتشكل أفعاله واستجاباته للبيئة التي يعيش فيها ، والتي تميزه عن غيره من الناس . وبعبارة أخرى ، إن الشخصية هي التنظيم الدينيامي في الفرد لتلك الأجهزة الجسمية والنفسية التي تحدد طابعه الفريد في تواقه مع بيته . فعلماء النفس حينما يدرسون الشخصية ، ينظرون إلى الفرد ككلٍّ متكاملٍ ، يعمل ويستجيب كوحدةٍ تنظم وتفاعل فيها جميع أجهزته البدنية والنفسية ، وتحدد سلوكه واستجاباته بطريقةٍ تميّز بها عن غيره من الناس^(١) .

وقد جاء في القرآن الكريم وصف للشخصية الإنسانية وسماتها العامة التي يتميز بها الإنسان عن غيره من مخلوقات الله ، كما جاء فيه أيضاً وصف لبعض الأنماط أو النماذج العامة للشخصية الإنسانية التي تميز بعض السمات الرئيسية ، وهي أنماط عامة وشائعة نكاد نراها حتى اليوم في مجتمعنا ، وفي جميع المجتمعات الإنسانية بعامة .

ونجد في القرآن أيضاً وصفاً للشخصية السوية ، والشخصية غير السوية ، ووصفاً للعوامل المكونة لكلٍّ من السواء وعدم السواء في الشخصية .

(١) لمحة مزيد عن تعريف الشخصية انظر : ريتشارد سـ لازاروس : الشخصية ، ترجمة سيد محمد شنیم ، ومراجعة محمد عثمان نجاتي : بيروت : دار الشروق ، ١٩٨١ ، ص ١٩ - ٢٢ ، محمد عثمان نجاتي : علم النفس في حياتنا اليومية ، مرجع سابق ، ص ٣٩٦ - ٣٩٢ .

ولكي نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهـماً دقيقاً وصحيحاً يجب أن ندرس بدقة العوامل المختلفة التي تحدد الشخصية . وحينما يدرس علماء النفس المحدثون هذه العوامل المحددة للشخصية ، فإنهم يدرسون عادة العوامل البيولوجية والاجتماعية والثقافية . وهم يهتمون عادة في دراسة العوامل البيولوجية بدراسة أثر الوراثة والتكون البشري وطبيعة تكوين الجهاز العصبي والجهاز الغدي . وحينما يدرسون تأثير العوامل الاجتماعية على الشخصية فإنهم يهتمون عادة بدراسة خبرات الطفولة وبخاصة في الأسرة ، وطريقة معاملة الوالدين ، كما يهتمون أيضاً بدراسة تأثير الثقافات الفرعية ، والطبقات الاجتماعية ، والمؤسسات الاجتماعية المختلفة ، وجماعات الرفاق والأصدقاء على شخصية الفرد . إن العوامل المحددة للشخصية ، إذن ، يمكن تصنيفها إلى مجموعتين رئيسيتين : عوامل وراثية ، وهي عوامل متعددة من تكوين الفرد ذاته ، وعوامل بيئية ، وهي عوامل متعددة من البيئة الخارجية الاجتماعية والثقافية . وحينما يدرس علماء النفس المحدثون محددات الشخصية المتعددة من طبيعة تكوين الفرد ذاته ، فإنهم يقتصرن اهتمامهم على دراسة العوامل الجسمية البيولوجية فقط ، متناسين أو مغفلين الجانب الروحي من الإنسان ، وذلك تمشياً مع أسلوبهم في البحث العلمي الذي يقتصر على دراسة ما يمكن ملاحظته وإخضاعه للبحث في المختبرات العلمية . ولذلك يحمل علماء النفس المحدثون دراسة الجانب الروحي من الإنسان ، وأثره على الشخصية .

ولعل لعلماء النفس المحدثين الذين يهتمون في بحوثهم المنهج الموضوعي التجاربي بعض العذر في عدم تعرّضهم للجانب الروحي في الإنسان ، وذلك لأنهم لا يعرفون كيف يتناولونه بالبحث العلمي الموضوعي . غير أن عجزهم عن تناول الجانب الروحي في الإنسان بالبحث العلمي الموضوعي لا يعني أن يؤدي بهم إلى إغفال ذلك الجانب الروحي من الشخصية إغفالاً تاماً في محاولتهم فهم شخصية الإنسان ، وفهم أسباب سلوكه سواء في سواده أو انحرافه . إن إغفال علماء النفس المحدثين للجانب الروحي من الإنسان في دراستهم للشخصية قد أدى إلى قصور واضح في فهـمهم للإنسان ، وفي محاولة معرفتهم للعوامل المحددة للشخصية السوية وغير السوية ، كما أدى ذلك أيضاً إلى عدم اهتمامهم إلى الطريقة المثلث في العلاج النفسي لاضطرابات الشخصية . وقد لاحظ إريك فروم المحلول النفسي قصور علم النفس

الحديث وعجزه عن فهم الإنسان فهماً صحيحاً بسبب إهالة دراسة الجانب الروحي في الإنسان . يبدو ذلك واضحاً في قوله : «... إن التقليد الذي بعد السيكلولوجيا دراسة لروح الإنسان دراسة تهم بفضائله وسعادته - هذا التقليد نبذ تماماً ، وأصبح علم النفس الأكاديمي في محاولة لمحاكاة العلوم الطبيعية والأساليب العملية في الوزن والحساب - أصبح هذا العلم يعالج كل شيء ما عدا الروح ، إذ حاول هذا العلم أن يفهم مظاهر الإنسان التي يمكن فحصها في العمل ، وزعم أن الشعور ، وأحكام القيمة ، ومعرفة الخير والشر ، ما هي إلا تصورات ميتافيزيقية تقع خارج مشكلات علم النفس . وكان اهتمامه ينصب في أغلب الأحيان على مشكلات تافهة تتشتت مع منبع علمي مزعم ، وذلك بدلاً من أن يضع مناهج جديدة لدراسة مشكلات الإنسان الحامة . وهكذا أصبح علم النفس علمًا يفتقر إلى موضوعه الرئيسي وهو الروح ، وكان معنياً بالميكانيزمات ، وتكتوريات ردود الأفعال ، والغرائز ، دون أن يعني بالظواهر الإنسانية المميزة أشد التمييز للإنسان : كالحب والعقل والشعور والقيم »^(١) .

إننا لا نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهماً واضحاً بدون أن نفهمحقيقة جميع العوامل المحددة للشخصية، سواء كانت بيولوجية أو روحية، أو اجتماعية وثقافية . أما الاقتصر على دراسة العوامل الجسمية البيولوجية ، والعوامل الاجتماعية والثقافية فقط ، وإهمال أثر الجانب الروحي في الإنسان ، فلن من شأن ذلك أن يعطينا صورة غير واضحة وغير دقيقة للشخصية .

تكوين الإنسان :

لقد أخبرنا القرآن كيف خلق الله تعالى الإنسان من مادة وروح . فبعد أن مرّ التراب بعدة مراحل من التكوين : من تراب إلى طين ، إلى حمأٌ مسون ، إلى صلصال كالفسخار^(٢) ، نفعن الله تعالى فيه من روحه فخلق آدم عليه السلام .

(١) بريث فروم : مرجع سابق ، ص ١١ .

(٢) أشار الله تعالى إلى مراحل خلق آدم في مواضع مختلفة من القرآن . فقال تعالى في موضع إنه خلقه من تراب ، وفي موضع آخر من طين وهو ينشأ من احتلاط التراب بالماء ، وفي موضع آخر من حمأٌ مسون وهو الطين الذي يتغير بفعل الهواء ، وفي موضع آخر من طين لازب وهو الطين المتساكن الذي يمكن تشكيله ، وفي موضع آخر من صلصال من حمأٌ مسون وهو الطين الذي يسوس وجف ويسع له صوت -

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ^(١)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ فَنَحَلَّ مَسْطُونٌ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ^(٢)

وَجاءَتْ كَلْمَةُ «الرُّوح» فِي الْقُرْآنِ بَعْدَ مَعَانٍ^(٣) ، وَإِنْ مَعْنَى الرُّوحِ الَّذِي وَرَدَ فِي الْآيَاتِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى خَلْقِ آدَمَ هُوَ : «رُوحٌ مِنْهُ تَعَالَى يَكُونُ بِهِ اسْتِعْدَادُ الْإِنْسَانِ لِمَعَالِيِ الصَّفَاتِ ، وَمَوَلَّةِ الْحَقِّ»^(٤) . «هُوَ عَنْصُرٌ عُلُوِّيٌّ يَتَضَمَّنُ اسْتِعْدَادَ الْإِنْسَانِ لِتَحْقِيقِ مَعَالِيِ الْأَمْرِ ، وَأَنْتَسِ الصَّفَاتِ ... فَهُوَ الَّذِي يَوْهِلُهُ لِلارتِفَاعِ فَوقَ مَسْتَوِيِ الْحَيْوَانِ ، وَيَقْرِرُ لَهُ أَهْدَافَهُ وَغَايَاتِهِ الْعُلَيَا فِي الْحَيَاةِ ، وَيَرْسِمُ لَهُ خَطُوطَ مَنْهَاجِهِ ، وَيُضَيِّفُ إِلَى بَشَرِيَّتِهِ التَّزُوُّعَ إِلَى مَصْدَرِ الْقِيمِ وَالْمَعْارِفِ الَّتِي تَجْعَلُ لَهُ حَقِيقَةَ إِنْسَانٍ»^(٥) .

وَبِهَذَا النَّوعِ مِنَ التَّكْوِينِ يَتَمَيَّزُ الْإِنْسَانُ عَنْ سَائرِ الْمَخْلُوقَاتِ . فَهُوَ يَشَارِكُ الْحَيْوَانَ فِي مُعَظَّمِ الْخَصَائِصِ الْجَسَمِيَّةِ وَمَا يَتَطَلَّبُهُ حَفْظُ الدَّاَتِ وَالْبَقَاءُ مِنْ دَوْافِعٍ وَانْفِعَالَاتٍ وَقَدْرَةٍ عَلَى الإِدْرَاكِ وَالتعلُّمِ ، وَلَكِنَّهُ يَتَمَيَّزُ عَنِ الْحَيْوَانِ بِخَصَائِصِ رُوحِهِ الَّتِي تَجْعَلُهُ يَتَرَعَّزُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ سَبَّاحَهُ وَتَعَالَى وَهَبَادَتِهِ ، وَالشَّوْقِ إِلَى الْفَضَائِلِ وَالْمُثَلِّ الْعُلَيَا الَّتِي تَرْتَقِعُ بِهِ إِلَى مَسْتَوَيَاتٍ عَالِيَّةٍ مِنَ الْكَانِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَهَذَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَهْلًا لِخَلْقَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ . وَبِاحْتِصَارٍ ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ مَا يَمْيِيزُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْحَيْوَانِ هُوَ قِبَسَةُ الرُّوحِ مِنْ اللَّهِ سَبَّاحَهُ وَتَعَالَى الَّتِي خَصَّتْهُ بِالاستِعْدَادِ لِمَعْرِفَةِ اللَّهِ

«صَلْصَلَةً إِذَا قَرَعَ ، وَلِي مَوْضِعٌ آخَرُ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَارِ وَهُوَ الطِينُ الَّذِي وَصَلَ إِلَى تَمَامِ جَفَانِهِ كَمَا يَحْدُثُ مِنْ تَحْرِيلِ الطِينِ إِلَى فَخَارٍ بِفَعْلِ النَّارِ . أَنْظُرْ : أَبْيُو الْقَاسِمِ الْمُسْنَ بنُ مُحَمَّدَ الْمَقْشُلِ الرَّاهِبِ الْأَسْفَهَانِيَّ : مَرْجِعُ سَابِقٍ ، صِ ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، وَمُحَمَّدُ مُنْبِرِيُّ الشَّهْرَاوِيُّ : مَرْجِعُ سَابِقٍ ، صِ ١١٧ .

(١) صِ ٧١ ، ٧٢ .

(٢) الْحَمْرَ : ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) «الرُّوح» جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بَعْدَ مَعَانٍ شَرَحَهَا ابْنُ الْقَيْمَ في كِتَابِهِ «الرُّوح» ، وَشَرَحَهَا عَنْهُ بِتَصْرِيفِ الْبَهِيِّ الْخَرْوَلِيِّ فِي كِتَابِهِ : «آدَمٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ» الَّذِي سَيِّقَ أَنَّ أَشْرَنَا إِلَيْهِ ، صِ ٢١ - ٢٢ .

(٤) الْبَهِيِّ الْخَرْوَلِيُّ : مَرْجِعُ سَابِقٍ ، صِ ٢٢ .

(٥) الْمَوْجِعُ السَّابِقُ ، صِ ٢٣ ، ٢٤ .

والإيمان به وعبادته ، وتحصيل العلوم وتسخيرها في عمارة الأرض ، والتمسك بالقيم والمثل العليا في سلوكه الفردي والاجتماعي .

ولا توجد الروح والمادة في الإنسان متفصلتين أو مستقلتين إسداهما عن الأخرى ، وإنما هما مترجانان معاً في وحدة متكاملة متناسقة . وتكون من هذا المزيج المتكامل المتناسق ذات الإنسان وشخصيته . ونحن لا نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهماً دقيقاً إلا بالنظر إلى هذا الكيان الإنساني بأكمله ، المكون من امتزاج عنصري المادة والروح .

الصراع النفسي :

إن الإنسان يتضمن في شخصيته صفات الحيوان المتمثلة في الحاجات البدنية التي يجب إشباعها من أجل حفظ الذات وبقاء النوع ، كما يتضمن أيضاً صفات الملائكة المتمثلة في تشوقه الروحي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به وعبادته وتسويقه . وقد يحدث بين هذين الجانين من شخصية الإنسان صراع ، فتجدهما أحياناً حاجاته وشهواته البدنية ، وتجدهما أحياناً أخرى حاجاته وأنشواره الروحية ، ويشعر الإنسان بالصراع في نفسه بين هذين الجانين من شخصيته . ويشير القرآن إلى حالة الصراع النفسي بين الجانين المادي والروحي في الإنسان في قوله تعالى :

﴿فَمَنْ مَنَ طَغَىٰ ۝ وَإِنَّ الْحَمَرَةَ الَّتِيَا ۝ فَإِنَّ الْجِنَّمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ۝ وَنَهَىَ النَّفْسَ عَنِ الْهُوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَىٰ﴾^(١)

وتشير عبارة «نهى النفس عن الهوى» إلى ما يشعر به الإنسان من صراع نفسي بين الميل إلى ما تهواه النفس من الملاذات الحسية ومغريات الحياة الدنيوية ، ومقاومته الانسياق وراء أهواءه التي تحرف به بعيداً عن منهج الحياة المستقيمة الذي وضعه الله تعالى لعباده . فمن تغلبه لأهواءه الدنيوية وشهواته الحسية وينسى طاعة ربِّه ، فإن مصيره

(١) الطارحة : ٤١ - ٣٧ .

إلى جهنم ، وأما من يقاوم أهواءه ، ويكتفِّ نفسه عن الانسياق وراءها ، ويحاف معصية ربه ، ويسير في حياته وفق المنبع الذي وضعه الله تعالى به ، فإن الجنة هي مأواه .

ويشير القرآن أيضاً إلى الصراع النفسي بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان في وصفه تعالى لخروج قارون على قومه في زيته مما جعل بعض الناس يتمنون أن يكون لهم ما لقارون من ثروة ، فيجد عليهم البعض الآخر بأن ما عند الله خير وأبقى .

**«مَنْخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِيَّتِيهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَكْتَبُ
لَنَا مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ قَلْرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٌ» (١) وَقَالَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَيَلْكُرُ
قَوْبَ الْمُحْسِنِينَ مَاعِنَ وَعِمَلَ صَلِيْحًا وَلَا يُلْقَنَّا إِلَّا الصَّالِحُونَ» (٢)**

ويشير القرآن أيضاً إلى الصراع بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان في وصفه تعالى لانقضاض بعض المسلمين من حول النبي صلوات الله عليه وسلم حينما سمعوا بأنباء وصول قافلة حملة بالمؤونة إلى المدينة .

**«وَإِذَا رَأَوْا نَجْرَةً أُولَئِنَّا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَرَكُوكَةَ قَاتِمَ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
مِّنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» (٣)**

ولعل مشيئة الله سبحانه وتعالى قد اقتضت أن يعني الإنسان – من بين ما يعنيه من مشاق الحياة – هذا الصراع النفسي بين مطالبه البدنية وطالبه الروحية .

«لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ» (٤)

ولعل مشيئة الله تعالى قد اقتضت أيضاً أن يكون أسلوب الإنسان في حل هذا الصراع هو الاختبار الحقيقى والأساسى الذي وضعه الله تعالى للإنسان في هذه الحياة . فلن استطاع أن يوفق بين الجانبين المادي والروحي في شخصيته ، وأن يحقق بينهما أكبر قدر مستطاع من التناقض والتوازن ، فقد تج�ج في هذا الاختبار ،

(١) البند : ٤ .

(٢) القصص : ٧٩ ، ٨٠ .

(٣) الجنة : ١١ .

واستحق أن يثاب على ذلك بالسعادة في الدنيا وفي الآخرة . وأما من انساق وراء شهواته البدنية وأغفل المطالب الروحية فقد فشل في هذا الاختيار ، واستحق أن يجازى على ذلك بالشقاء في الدنيا وفي الآخرة .

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ إِنَّمَا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَنْ يَقْعُدْ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنْتَسِرُونَ﴾**

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقُهُمْ أَبْرَعُ عَظِيمٌ﴾

**﴿فَلَدَّخْرٌ إِنْ نَفَعَتِ الْذِكْرَى ۝ سَيِّدٌ كُلُّ مَنْ يَخْشَى ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا
الْأَنْقَاصُ ۝ الَّذِي يَضْلِلُ النَّارَ الْكَبِيرَى ۝ قُمْ لَا يَمْوُثُ فِيهَا وَلَا
يَخْجُلُ ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَ ۝ وَذَكْرُ أَنْمَاءِ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ بَلْ تُؤْفَرُونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ رَّابِقٌ﴾**

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَلْوُكُ إِيَّكُمْ أَيْكُمْ أَحَسَّ عَلَّا...﴾

ولقد شامت رحمة الله تعالى وحكمته أن يهدى الإنسان بجميع الإمكانيات اللازمة لحل هذا الصراع ، واجتياز هذا الاختيار الصعب ، بأن وعيه العقل ليميز به بين الخير والشر ، وبين الحق والباطل . كما أنه سيعانى بحرية الإرادة والاختيار ل يستطيع أن يبيت في أمر هذا الصراع ، وأن يختار الطريق الذي يريد له لحل هذا الصراع . وإن حرية إرادة الإنسان ، وحريته في اختيار الطريق الذي يحل به هذا الصراع إنما يمثلان أساس مسؤوليته وحسابه .

(١) المناقورة : ٩ .

(٢) العناين : ١٥ .

(٣) الأصل : ١٧ - ١٨ .

(٤) الملك : ٤ .

وَهَدَيْنَاهُ النَّجَدَيْنَ^(١)

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السُّبْلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا^(٢)

وَنَفِسٌ وَمَا سَوَّلَهَا فَلَهُمَا بُخُورُهَا وَنَفَونَهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَشَكَهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا^(٣)

فَقَدْ جَاءَكُمْ بَصَارُكُمْ رَبِّكُمْ لَكُمْ أَبْصَرٌ فِي نَفْسِيْهِ وَمَنْ عَمِّيْ فَعَلَيْهِا^(٤)

وَقُلِّ الْحُقْقُ مِنْ رَبِّكُمْ قَنْ شَاءَ فَلَيُؤْمِنَ وَمَنْ شَاءَ فَلَيُكْفُرَ^(٥)

وَمِنْ عَمَلِ صَالِحِهَا فِي نَفْسِيْهِ وَمِنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهِا وَمَا رَأَيْتُ يُظَلِّمُ الْعَيْدَ^(٦)

كَلَّا وَالْفَقَرِ وَالْأَئْلَمْ إِذَا أَذْبَرَ وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ إِنَّا لِإِخْدَى
الْكُبُرِ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ كُلُّ
نَفِسٍ إِمَّا كَبَثَ رَهِينَةً إِلَّا أَعْنَبَ الرَّمَنِ فِي جَنَّتِ يَتَسَاءَلُونَ
عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَأْسَكُكُرْ فِي سَقَرَ قَالُوا إِنَّكُمْ مِنَ الْمُعَذَّلِينَ لَدَّ
نَكُلُّنُّمُ الْمِسْكِينَ وَكَانُوكُمْ مَعَ الْخَابِضِينَ وَكَانُوكُمْ بِيَمِّ
الرِّينِ حَتَّى أَنْشَأْتُمُ الْيَقِينَ^(٧)

إن في طبيعة تكوين الإنسان ، إذن ، استعداداً لفعل كل من الخير والشر ،
استعداداً لاتباع أهوائه وشهواته البدنية ، والاستغراق في الاستمتاع بخلذاته الحسية
ورغباته الدنيوية ، واستعداداً للتسامي إلى أفق الفضيلة والتقوى والخليل الإنسانية

(١) البعد ، ١٠ .

(٢) الكهف : ٢٩ .

(٣) نصلوة : ٤٦ .

(٤) الشمس : ١٠٧ .

(٥) المدثر : ٤٧-٣٢ .

(٦) الإنسان : ٣ .

(٧) الأنعام : ١٠٤ .

(٨) الأعراف : ١٠٤ .

العليا ، والعمل الصالح ، وما يتحققه ذلك من سكينة نفسية وسعادة روحية . ومن الطبيعي أن تتضمن طبيعة الإنسان وقوع الصراع بين الخير والشر ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين طاعة الله ومعصيته . وإن الاختيار الحقيقي للإنسان في هذه الحياة هو ما تتجه إليه إرادته ، وما يقع عليه اختياره . هل سيختار طريق الخير أم طريق الشر ، طريق طاعة الله أم معصيته ؟ هل سيساق الإنسان وراء أهوائه وشهوته ومتى الحياة الدنيوية ، ويغفل عن ذكر الله ، وينسى اليوم الآخر ، أم هل سيتحكم في أهوائه وشهوته ، ويقوم بتحقيق التوازن بين مطالبه البدنية ومتطلبه الروحية ؟

وحيثما يختار الإنسان المللات الدنيوية ، ويساق وراء أهوائه وشهوته ، وينسى ربه واليوم الآخر ، إنما يصبح في معيشته أشبه بالحيوان ، بل أضل لأنه لم يستخدم عقله الذي ميزه الله تعالى به على الحيوان .

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ أَخْدَى إِلَهُ هَوَنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَاذَابُ أَنْعَمْ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

والإنسان الذي يعيش هذا النوع من المعيشة يكون غير ناضج الشخصية ويكون أشبه بالطفل الذي لا يهمه إلا إشباع حاجاته ورغباته ، ولم تقو إراداته بعد ، ولم يتعلم بعد كيف يتتحكم في أهوائه وشهوته ، فينساق وراء إشباعها ، ويصبح خاضعاً لتوجيهه «نفسه الأمارة بالسوء» .

﴿وَمَا أَبْرَى نَفْسَ إِنَّ النَّفْسَ لَا مَارِثَةٌ يَالسُّوءِ إِلَّا مَارِحَمَ رَبُّ إِنْ رَبِّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)

وفي هذا المعنى جاء في الأثر : «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، فمن أدبها أو قمعها آمن ظلمها»^(٢) .

(١) الفرقان : ٤٣ - ٤٤ .

(٢) يوسف : ٥٣ .

(٣) أبو القاسم الحسن بن محمد المفضل الراغب الأصفهاني : مرجع سابق ، ص ٨٩ - ٨٨ .

أما الإنسان الذي يكون في مرتبة أعلى من الكمال الإنساني ، بحيث يكون ضميره مستيقظاً ، فيستذكر ضعف إرادته وانقياده لأهوائه وشهواته وملذات الحياة الدنيوية مما يوقيه في الخطية والمعصية ، فيشر بالذنب ، ويلوم نفسه على ما فرط منها ، ويتوجه إلى الله تعالى مستغراً قاتلاً ، فإنه يكون في هذه الحالة تحت تأثير « النفس اللوامة » .

« لَا أَقِيمُ بَيْرُمَ الْقِبَّةِ ○ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الْلَّوَامَةَ »^(١)

وإذا انخلص الإنسان في تقريره الله تعالى بالعبادات والأعمال الصالحة ، والابتعاد عن كل ما يغضب الله ، وتحكم حكماً كاملاً في أهوائه وشهواته ، وقام بتوجيهها إلى الإشباع بالطريقة التي حددها الشرع فقط ، وتحقق التوازن الشامل بين مطالبه البدنية ومتطلبه الروحية ، فإنه يكون في أعلى مرتبة من الكمال الإنساني ، وهي المرتبة التي تكون فيها نفس الإنسان في حالة اطمئنان وسكينة ، وينطبق عليها وصف « النفس الطمئنة » التي ذكرها القرآن في قوله تعالى :

**« يَأَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ ○ أَرْجِعِي لِكَ رَيْكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً ○
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ○ وَادْخُلِي بَحْنِي »^(٢)**

ويمكن أن نتصور هذه المفاهيم الثلاثة للنفس ، وهي النفس الأمارة بالسوء ، والنفس اللوامة ، والنفس الطمئنة على أنها حالات تتصرف بها شخصية الإنسان في مستويات مختلفة من الكمال الإنساني التي تمر بها أثناء صراعها الداخلي بين الجانبيين المادي والروحي من طبيعة تكوينها . فحينما تكون شخصية الإنسان في أدنى مستوياتها الإنسانية بحيث تسيطر عليها الأهواء والشهوات والملذات البدنية والدنيوية ، فإنها تكون في حالة ينطبق عليها وصف النفس الأمارة بالسوء . وحينما تكون الشخصية في أعلى مستويات الكمال الإنساني بحيث تكون متسلكة بقوى الله تعالى وطاعته ، ومحركة في أهوائها وشهواتها ، وتحقق التوازن الشامل بين المطالب البدنية والروحية ، فإنها تكون في الحالة التي ينطبق عليها وصف النفس الطمئنة . وبين هذين المستويين مستوى آخر متوسط ينتمي إليها يحاسب فيه الإنسان نفسه على ما يرتكب من أخطاء ، ويسعى جاهداً

(١) القبة : ٤٠١ .

(٢) الفجر : ٤٧ - ٣٠ .

إلى الامتناع عن ارتكاب ما يخ慈悲 الله ويسب له تأسيب الضمير ، ولكنه لاينبع دائمًا في مسعاه ، فقد يضعف أحياناً ويقع في الخطأ . ويطلق على الشخصية في هذا المستوى النفس اللوامة .

ويمجدونا أن نشير إلى أنه بعد نزول القرآن ينحو أربعين عشر قرناً من الزمان جاء سيد محمد فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسي بنظرية في الشخصية ميز فيها ثلاثة أقسام للنفس ييلو في بعض وظائفها بعض أوجه الشبه بمقاهيم النفس الأمارة بالسوء ، والنفس الثوامة ، والنفس المطمئنة الواردة في القرآن ، غير أنه توجد في الحقيقة اختلافات كبيرة بين هذه المقاهيم الثلاثة للنفس في القرآن وبين أقسام النفس الثلاثة في نظرية فرويد سنشير إليها فيما بعد . ذهب فرويد إلى أن للنفس ثلاثة أقسام هي : المرو ، والأنا ، والانا الأعلى ^(١) . « والمرو » في رأي فرويد هو ذلك الجزء من النفس الذي يحوي الغرائز التي تبعث من البدن . وهو يطبع « مبدأ اللذة » ، ويهدف ذاتياً إلى الإشباع من غير مراعاة للمنطق أو الأخلاق أو الواقع . والمرو ، بهذا المعنى ، يبدو أنه يشبه مفهوم « النفس الأمارة بالسوء » .

و«الآنا الأعلى» هو ذلك الجزء من النفس الذي يتكون من التعلّم الذي يلقاها الفرد من والديه ومدرسيه ومن قيم الثقافة التي ينشأ فيها ، ويصبح قوة نفسية داخلية تحاسب الفرد وترافقه وتنتقده وتهدهد بالعقاب ، وهو ما يعرف عادة بالضمير . ويرى فرويد أن الآنا الأعلى يمثل ما هو سامي في الطبيعة الإنسانية ، وهو ، بهذا المعنى ، يبدو أنه يشبه مفهوم «النفس اللوامة» .

و«الأنما» هو ذلك الجزء من النفس الذي يقبض على زمام الرغبات الفريزية المبعثة من المرو ويسطير عليها ، فيسمح بأشباع ما يشاء منها ، ويوجّل ما يرى تأجيله ، ويكتب ما يرى ضرورة كتبته مرعاً «مبدأ الواقع» أو العالم الخارجي بما يتضمنه ذلك من قوانين وقيم وأخلاق وتعاليم دينية . ويقوم الأنما في رأي فرويد بالتوفيق بين المرو ،

(١) سيد محمد فرويد : *الآنا والهو* ، ترجمة محمد عثمان بجالي ، ط٤ ، بيروت : دار الشرقي ، ١٩٨٢ ، ص ١٧ - ١٦.

سیجموند فروید : معلم التحلیل النفیس ، ترجمة محمد عثمان الجانی ، ط ٢ ، بيروت : دار الشرف ، ١٩٦٣ ، ص ٤٦

والواقع أو العالم الخارجي ، والأنا الأعلى ، بحيث يسمح بإشباع رغباته الغريزية في الحدود التي يسمح بها الواقع ، ويحد من تطرف الأنماط الأعلى بحيث لا يجعله يسرف في النقد والتهديد بالعقاب بدون مبرر معقول . وإذا نجح الأنماط في وظيفته التوفيقية يمكن أن يتحقق للإنسان الازان والسواء والصحة النفسية . وعلى ذلك ، فإنه ييلو وجود شبهة بين النتيجة التي يؤدي إليها نجاح الأنماط وظيفتها وما يتحقق للإنسان من إتزان وسعادة ، وبين حالة «النفس المطمئنة» التي يصل إليها الإنسان بالتغلب على أحواه ، وبتحقيق التوازن بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية ، مراعياً في ذلك «مبدأ الواقع» الذي يفرضه نظام الحياة في المجتمع المسلم من القيام بالعبادات المفروضة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعمل الصالح ، واتباع قواعد الأخلاق الإسلامية .

وفي الحقيقة يوجد اختلاف كبير بين هذه المفاهيم الثلاثة للنفس كما وردت في القرآن وبين أقسام النفس الثلاثة في نظرية فرويد . فمفاهيم النفس الأمارة بالسوء ، والنفس المWARE ، والنفس المطمئنة حالات مختلفة تتصف بها النفس أثناء صراعها الداخلي بين الجانب المادي والجانب الروحي في شخصية الإنسان ، وهي ليست أقساماً مختلفة للنفس ، كما أنها لا تكون أثناء مراحل نمو معينة يمر بها الإنسان . أما مفاهيم «الهو» ، و«الأنماط» ، و«الأنماط الأهل» فهي ، في نظرية فرويد ، أقسام مختلفة للنفس ، كما أنها تتكون في مراحل مختلفة من نمو الطفل . «الهو» هو نفس الطفل عقب ميلاده مباشرة ، إذ يكون الطفل واقعاً كلياً تحت تأثير متطلباته الغريزية . ثم تحت تأثير العالم الخارجي يبدأ يتكون من «الهو» جزءٌ متميّز عنه هو «الأنماط» وهو الذي يقوم بالتحكم في الغرائز النابعة من «الهو» مراعياً مقتضيات الواقع والعالم الخارجي . ومن التعاليم والشواغر التي يتلقاها الطفل من والديه والثقافة التي ينشأ فيها يتكون «الأنماط الأهل» ، وهو الضمير الذي يحاسبه ويسوّمه ويؤنيه على ما ي يقوم به من أخطاء . ويقوم بين هذه الأقسام الثلاثة صراع يحاول فيه الأنماط أن يتوافق بين متطلبات الهو والأنماط الأهل والعالم الخارجي . فإذا نجح في ذلك كان الإنسان سرياً ومتمنعاً بالصحة النفسية .

وبينما يقع الصراع النفسي في نظرية فرويد بين أقسام النفس الثلاثة ، فإنه يقع ،

وفقاً لتصویر القرآن لطبيعة تكوين الإنسان ، بين المخاتب المادي والمخاتب الروحي من شخصية الإنسان . وتنشأ تبعاً لنتيجة هذا الصراع حالات النفس الثلاث : النفس الأمارة بالسوء ، والنفس اللوامة ، والنفس الطمثنة .

التوازن في الشخصية :

لقد أشرنا من قبل إلى أن الحل الأمثل للصراع بين المخاتبين البدني والروحي في الإنسان هو التوفيق بينهما ، بحيث يقوم الإنسان بإشباع حاجاته البدنية في الحدود التي أباحها الشرع ، ويقوم في الوقت نفسه بإشباع حاجاته الروحية . ومثل هذا التوفيق بين حاجات البدن و حاجات الروح يصبح أمراً ممكناً إذا ما التزم الإنسان في حياته التوسط والاعتدال ، وتجنب الإسراف والمعطرف سواء في إشباع دوافعه البدنية أو الروحية . فليس في الإسلام رهابية تقواة إشباع الدوافع البدنية وتعمل على كيدها ، كما ليس في الإسلام إباحية مطلقة تعامل على الإشباع الشام للدوافع البدنية ، وإنما ينادي الإسلام بالتوافق بين دوافع كل من البدن والروح ، واتباع طريق وسط يحقق التوازن بين المخاتبين المادي والروحي في الإنسان ، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك أثناء كلامنا عن الصراع النفسي في الفصل الأول الخاص بالواقع في القرآن . ويشير القرآن إلى ضرورة تحقيق هذا التوازن في الشخصية بقوله :

وَآتِنَّهُ فِيمَا كَانَتْ أَنْتَكَ اللَّهُمَّ اذْدَارَ الْآتِيرَةِ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا^(١)

وفي هذا المعنى قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « ليس خيراً لكم من عمل الدنيا دون آخرته ، ولا من عمل لآخرته وترك دنياه ، وإنما خيراً لكم من عمل هذه وهذه »^(٢) .

وحياناً يتحقق هذا التوازن بين البدن والروح تتحقق ذاتية الإنسان في صورتها الحقيقة الكاملة والتي تمثلت في شخصية النبي صلوات الله عليه وسلم الذي توازنت فيه القوة الروحية الشفافة ، والحيوية الجسمية الفياضة ، فكان يعبد ربه حق

(١) الفصل : ٧٧ .

(٢) محمد جراد مغنية : *فلسفة الأخلاق في الإسلام* ، بيروت : دار العلم للملائين ، ١٩٧٧ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

عبادته في صفاء وخشوع كاملين ، كما كان يعيش حياته البشرية كغيره من البشر يشبع حاجاته البدنية في المحدود التي رسمها الشرع ، ولذلك فهو يمثل الإنسان الكامل ، والشخصية الإنسانية النموذجية الكاملة التي توازنت فيها جميع القوى الإنسانية البدنية منها والروحية^(١) .

والتوازن في الشخصية الإنسانية بين البدن والروح ليس إلا مثلاً ، للتوازن الموجود في الكون كله . فقد خلق الله تعالى كل شيء بمقدار وميزان . ولقد سبق أن أشرنا عند كلامنا على الدوافع الفطرية في الفصل الأول إلى فكرة الاتزان الحيوي في البدن ، وإلى وظيفة الدوافع الفطرية في إبقاء البدن في حالة ثابتة من الاتزان ، وهو أمر ضروري لحفظ الذات والبقاء . غير أن الاتزان في الإنسان ليس قاصراً على اتزانه البيولوجي فقط ، وإنما يشمل أيضاً شخصيته بأكملها ، إنه يشمل كذلك التوازن بين البدن والروح .

الشخصية السوية :

يبين لنا مما نقدم أن الشخصية السوية في الإسلام هي الشخصية التي يتوازن فيها البدن والروح ، وتشبع فيها حاجات كل من البدن والروح . إن الشخصية السوية هي التي تعنى بالبدن وصحته وقوته ، وتشبع حاجاته في المحدود التي رسمها الشرع ، والتي تتمسك في نفس الوقت بالإيمان بالله ، وتؤدي العبادات ، وتقوم بكل ما يرضي الله تعالى ، وتتجنب كل ما يغضبه . فالشخص الذي ينساق وراء أهوائه وشهوانه شخص غير سوي . وكذلك ، فإن الشخص الذي يكتب حاجاته البدنية ويظهر جسمه ويضعه بالرهبانية المفرطة والتشفف الشديد ، ويتزع إلى إشباع حاجاته وأشواقه الروحية فقط ، هو أيضاً شخص غير سوي . وذلك لأن كلاً من هذين الاتجاهين المتطرفين يخالف الطبيعة الإنسانية ويعارض فطرتها ، ولذلك فلا يمكن أن يؤدي أي من هذين الاتجاهين إلى تحقيق ذاتية الإنسان الحقيقة ، كما لا يمكن أن يؤدي بها إلى بلوغ كمالها الحقيقي .

(١) محمد قطب : في النفس والمجتمع ، ط ٢ . القاهرة : مكتبة وعي ، ١٩٦٢ ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

ويتضح موقف الإسلام من ضرورة التوازن بين مطالب البدن ومطالب الروح من إنكار النبي صل الله عليه وسلم لعمل ثلاثة من الصحابة كان أحدهم يصل الليل كله ولا ينام ، وكان الثاني يصوم الدهر كله ولا يفتر ، وكان الثالث يعتزل النساء ولا يتزوج ، فقال لهم النبي صل الله عليه وسلم : « أما أنا وأنت لأخشاكم الله وأنتقاكم ، ولكنني أصوم وأفتر ، وأصل وأرقد ، وأنزوج النساء ، فمن رغب عن سني فليس بي (١) .

أنماط الشخصية في القرآن

حاول المفكرون في عصور التاريخ المختلفة ، كما حاول علماء النفس في العصر الحديث دراسة أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين شخصيات الناس ، وقاموا بعدة محاولات لتصنيف الناس إلى عدة أنماط من الشخصية ، يتميز كل نمط منها بجموعة معينة من الصفات أو السمات المميزة . وقد أتي به بعضهم إلى تصنیف الناس إلى أنماط على أساس خصائص التكوين الجسدي ، وذهبوا إلى أن الناس الذين يقعون تحت نمط من هذه الأنماط الجسمية للشخصية يتشابهون في سماتهم النفسية . وإنجح البعض الآخر إلى تصنیف الناس إلى أنماط نفسية على أساس تشابههم في سماتهم النفسية (٢) .

وتصنيف الناس إلى أنماط من الشخصية يقع تحت كل نمط منها الأشخاص المشابهون في سماتهم ، إنما هي محاولة تساعد على وصف الناس وتفسير سلوكهم . فإذا قلنا ، مثلاً ، إن شخصاً معيناً ينتمي إلى نمط معين ، فإننا نستطيع بناء على ذلك وصف هذا الشخص وتفسير سلوكه ، كما نستطيع أن نتوقع نوع السلوك الذي يمكن أن يصدر منه في مواقف معينة .

(١) رواه الشیخان عن أنس (فتح الباري بشرح البخاري للمسقلاتي) ، جـ ١٩ ، الحديث رقم ٥١٩٩ ، خصر صحيح مسلم للمتندرى ، الحديث رقم ٦٢٨ .

(٢) لمحة مزيد من نظريات الأنماط في الشخصية انظر : ديشارد من ، لازوس : الشخصية ، مرجع سابق ، من ٦٢ - ٦٧ ، محمد عثمان نجاشي : علم النفس في حياتنا اليومية ، مرجع سابق ، ص ٤٥ - ٣٩٦ .

ونحن نجد في القرآن تصنيفاً للناس على أساس العقيدة إلى ثلاثة أنماط هي : المؤمنون ، والكافرون ، والمنافقون . وكل نمط من هذه الأنماط الثلاثة سماته الرئيسية العامة التي تميزه عن النمطين الآخرين . وتصنيف القرآن للناس على أساس العقيدة يتمشى مع أهداف القرآن من حيث هو كتاب عقيدة وهداية . ثم إن هذا التصنيف يشير إلى أهمية العقيدة في تكوين شخصية الإنسان ، وفي تحديد سماته المميزة له ، وفي توجيه سلوكه على نحو معين يميز به . كما يشير هنا التصنيف أيضاً إلى أن العامل الأساسي في تقييم الشخصية ، في نظر القرآن ، هو العقيدة والتمورى .

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ إِنَّمَا أَنْتُمْ كُوْنُونَ»^(١)

وقد أشار القرآن إلى هذه الأنماط الثلاثة من الناس : المؤمنين ، والكافرين ، والمنافقين في مواضع كثيرة . فقد أشار إليهم ، مثلاً ، في مطلع سورة البقرة . فذكر المؤمنين في أربع آيات (٥ - ٩) ، وذكر الكافرين في آيتين (٦ ، ٧) ، وذكر المنافقين في ثلاث عشرة آية (٨ - ٢٠) ، وأشار إليهم أيضاً في سور أخرى كثيرة ، كما أفرد لكل منهم سورة سماها باسمهم هي سور «المؤمنون» ، و«الكافرون» ، و«المنافقون»^(٢) .

ووصف القرآن كل نمط من هذه الأنماط الثلاثة بسمات خاصة يعرف بها ، ويتميز بها عن النمطين الآخرين من الناس . وسنحاول فيما يلي أن نذكر أهم السمات التي يتميز بها كل نمط من هذه الأنماط الثلاثة من الناس كما جاء في القرآن .

(١) العبرات : ٤٣ .

(٢) انظر أيضاً في هذا الموضوع : أحمد محمد فارس : *النماذج الإنسانية في القرآن الكريم* ، بيروت : دار الفكر (٤ ، ت) ، ص ٦١ - ٨٥ ; عبد الفتفي عبود : *الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر* ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧٨ ، ص ١٥٢ - ١٥٨ .

المؤمنون :

ذكر الله سبحانه وتعالى المؤمنين في كثير من الآيات في معظم سور القرآن ، ووصف سلوكهم في كثير من مجالات حياتهم : في عقيدتهم ، وعبادتهم ، وأخلاقتهم ، وعلاقتهم مع غيرهم من الناس ، وفي علاقتهم الأسرية ، وفي حبهم لطلب المعرفة ، وفي حياتهم العملية وسعدهم في طلب الرزق ، وفي سماتهم البدنية . فإذا جمعنا سمات المؤمنين التي وردت في القرآن وحاولنا تصنيفها لا يمكن أن نصنفها إلى تسعه مجالات عامة رئيسية من مجالات السلوك هي :

- ١ - سمات تتعلق بالعقيدة .
- ٢ - سمات تتعلق بالصلوات .
- ٣ - سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية .
- ٤ - سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية .
- ٥ - سمات خلقية .
- ٦ - سمات الفعالية وعاطفية .
- ٧ - سمات عقلية ومعرفية .
- ٨ - سمات تتعلق بالحياة العملية والمهنية .
- ٩ - سمات بدنية .

ويضم كل مجال من هذه المجالات العامة الرئيسية لسمات المؤمنين مجموعة أخرى من السمات الفرعية الكثيرة التي يتعلق كل منها بناحية خاصة معينة من السلوك . وتبين القائمة التالية بجموعات السمات الفرعية التي تتضمنها المجالات العامة الرئيسية لسمات المؤمنين التي ذكرناها سابقاً .

- ١ - سمات تتعلق بالعقيدة :
الإيمان بالله ، وبرسله ، وكتبه ، وملائكته ، واليوم الآخر ، والبعث والحساب ، والجنة والنار ، والغيب ، والقدر .

٢ - سمات تتعلق بالعبادات :

عبادة الله ، وأداء الفرائض من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد في سبيل الله
بمال والنفس ، وتفوى الله ، وذكره دائمًا ، واستغفاره ، والتوكيل عليه ، وقراءة
القرآن .

٣ - سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية :

معاملة الناس بالحسنى ، الكرم والإحسان ، التعاون ، التناست والاتحاد ،
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، العفو ، الإيثار ، الإعراض عن اللغو .

٤ - سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية :

الإحسان بالوالدين وبندي القربي ، حسن المعاشرة بين الأزواج ، رعاية
الأسرة والإنفاق عليها .

٥ - سمات خلقية :

الصبر ، الحلم ، الصدق ، العدل ، الأمانة ، الوفاء بعهد الله وعهد الناس ،
العفة ، التواضع ، القرة في الحق وفي سبيل الله ، عزة النفس ، قوة الإرادة ،
التحكم في أهواء النفس وشهواتها .

٦ - سمات الفعالية وعاطفية :

حب الله ، الخوف من عذاب الله ، الأمل في رحمة الله ، حب الناس وحب
الخير لهم ، كظم الغيظ والتحكم في الفعال الغضب ، عدم الاعتداء على الغير
وعدم إيمانهم ، عدم حسد الغير ، عدم العجب بالنفس ، الرحمة ، لوم النفس
والشعور بالندم في حالة ارتكاب ذنب ما .

٧ - سمات عقلية ومعرفية :

التفكير في الكون وخلق الله ، طلب المعرفة والعلم ، عدم اتباع الظن وتحري
الحقيقة ، حرية الفكر والعقيدة .

٨ - سمات تتعلق بالحياة العملية والمهنية :

الإخلاص في العمل وإتقائه ، السعي بشاطر وجدى في سبيل كسب الرزق .

٩ - سمات بدنية : القوة ، الصحة ، النظافة ، الطهارة .

إننا إذا فكرنا في مجموعة هذه السمات التي وصف القرآن بها المؤمنين ، فإننا نستطيع أن نتمثل في ذهننا صورة دقيقة تابعة بالحياة للإنسان المؤمن الذي يؤمن بربه إيماناً صادقاً ، ويعبده حق عبادته ، ويتمسك في حياته الخاصة وحياته الأسرية والاجتماعية وفي عمله المهني بالمثل الإنسانية العليا وبالأخلاق الفاضلة الكريمة ، ويكون في عمله مثال الإخلاص والأمانة والاتقان . إن صورة الإنسان المؤمن الذي يصفه لنا القرآن إنما هي صورة الإنسان الكامل في هذه الحياة في حدود الإمكانيات البشرية ، والتي يريد الله سبحانه وتعالى منا أن نسعى بكل جهدها إلى تحقيقها في أنفسنا . ولقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بتربية الرعيل الأول من المؤمنين على أساس هذه السمات فغير شخصياتهم تغييراً كاملاً ، وكانت منهم رجالاً مؤمنين حقاً استطاعوا أن يغيروا وجه التاريخ بقوة شخصياتهم ، ونبل أخلاقهم ، وعلو هممهم ، وكريم الصفات والمثل العليا التي تعلموها من القرآن والسنة .

إن صورة الإنسان المؤمن الذي ترسمه في أذهاننا مجموعة هذه السمات التي وردت في القرآن في وصف المؤمنين إنما تكون لنا نموذجاً للإنسان المؤمن يجب أن نعمل على تحقيقه واقعياً في حياتنا ، كما يجب أن نعمل على تنشئة أطفالنا عليها حتى تصبح سمات رئيسية عميقية الجذور في شخصياتهم ، وبهذه الطريقة وحددها يمكن تكوين المجتمع الإسلامي السليم .

وليست هذه السمات مستقلة ببعضها عن بعض في شخصية المؤمن ، بل إنها تتفاعل فيما بينها وتكامل ، وتشترك جميعها في توجيه سلوك المؤمن في جميع مجالات حياته ، ولذلك يبدو سلوك المؤمن متناسقاً سواء في علاقته مع ربه ، أو في علاقته مع الناس ، أو في علاقته مع نفسه . وتلعب السمات المتعلقة بالعقيدة دوراً أساسياً ومركزاً في توجيه سلوك الإنسان في جميع مجالات حياته ، بحيث يصبح إيمان الإنسان بعقيدة التوحيد ، وإيمانه بالبعث والحساب السمات الرئيسية السادسة في شخصيته ، والتي تؤثر في جميع السمات الأخرى للشخصية وتوجهها . فالمؤمن الأمين في علاقته مع ربه يكون أيضاً أميناً في علاقته مع نفسه وفي علاقته مع الناس

الآخرين ، كما يكون أميناً أيضاً في عمله . إن المؤمن الذي يخشى ربه ويتقىه ويخلص في عبادته لربه يكون أيضاً في جميع علاقاته مع نفسه ومع الناس مراعياً مرضاته الله ، وأملاً في ثوابه ، ونحائناً من خضبه وعقابه . وهكذا يمتد إيمانه بالله تعالى وعبادته له إلى جميع مجالات سلوكه في الحياة ، فيكون حسن توجيهه لنفسه عبادة ، وحسن معاملته للناس ومحبته وإسلامه الخير لهم عبادة ، وحسن أدائه لعمله وإخلاصه فيه عبادة .

وليس جميع المؤمنين في مستوى واحد من التقوى ، ولكنهم مختلفون فيما بينهم في درجة تقوتهم . وقد ذكر القرآن ثلاث درجات أو فئات للمؤمنين : الظالمن لأنفسهم ، والمقتصدين ، وال سابقين بالخيرات .

«فَمَنْ أَوْرَثَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْنَعُفَتْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَأَنْهُمْ ظَالِمُونَ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَوْمَئِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ النَّصْلُ الْكَبِيرُ»^(١)

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : «(فَنَهِمْ ظَالِمُونَ لِنَفْسِهِ) وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات ، (وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ) وهو المتودي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات ، (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَوْمَئِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ النَّصْلُ الْكَبِيرُ»^(٢) . ويقول القرطبي إن «الظالم لنفسه» هو الذي عمل الصغائر ، و«المقصد» هو الذي يعطي الدنيا حقها والآخرة حقها ، و«السابق بالخيرات» هم السابقون من الناس كلهم^(٣) . وفي تفسير الجلالين إن «الظالم لنفسه» هو المقصري في العمل بالقرآن ، و«المقصد» هو الذي يعمل به أغلب

(١) ناطر : ٣٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٥٥٤ ، ٥٥٥ .

(٣) تفسير القرطبي ، ج ١٤ ، ص ٣٤٦ . ويقول القرطبي إن «هذه الآية تشير قوله تعالى في سورة الرعاية (وَكُنْتُمْ أَنْوَاجاً ثَلَاثَةً) ... (فَنَهِمْ ظَالِمُونَ لِنَفْسِهِ) أصحاب المشائنة ، (وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ) أصحاب الميمنة ، (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) السابقون من الناس كلهم .

الأرقات ، و «السايق بالخيرات» هو الذي يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل^(١) .

الكافرون :

أشار القرآن إلى الكافرين في كثير من الآيات ، ووصفهم بسمات رئيسية يتميزون بها . ويمكن للشخص سمات الكافرين التي وردت في القرآن فيما يلي :

١ - سمات تتعلق بالعقيدة :

عدم الإيمان بالتوحيد ، وبالرسل ، وبال يوم الآخر ، وبالبعث والحساب .

٢ - سمات تتعلق بالعبادات :

يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم .

٣ - سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية :

الظلم ، عدوانيون في تصرفاتهم نحو المؤمنين فهم يسخرون منهم ويحتلون عليهم ، يأمرؤون بالذكر ، وينهون عن المعروف .

٤ - سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية :

يقطعون صلة الرحم .

٥ - سمات خلقية :

نقض العهد ، الفجور واتباع الأهواء والشهوات ، الغرور ، التكبر .

٦ - سمات الفحالية وعاطفية :

كراهيتهم للمؤمنين وخذلهم عليهم ، وحسدهم لهم على ما أنعم الله به عليهم .

(١) تفسير البلاط، ص ٣٣٧ .

٧ - سمات عقلية ومعرفية :

جمود التفكير والعجز عن الفهم والتعقل ، الختم والطبع على قلوبهم ، التقليد الأعمى لمعتقدات وتقاليد الآباء ، خداع النفس .

إن الصورة التي يرسمها القرآن لشخصية الكافرين هي أنهم لا يؤمنون بعقيدة التوحيد ، ولا بالرسل والكتب المترلة ، ولا بالأيام الآخر والبعث والحساب ، ولا بالجنة والنار . وهم يقلدون ما كان عليه آباؤهم من عبادة الأحشام التي لا تنفع ولا تضر ، ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل . وهم أشخاص قد تجدهم تفكيرهم وعجزوا عن إدراك حقيقة التوحيد التي يدعوا إليها الإسلام ، ولذلك وصفهم القرآن بقوله :

«خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ ... »^(١)

وهم يحسدون المؤمنين على ما أنعم الله به عليهم ، وبعذابهم وبكرهونهم ، ويسيرون منهم وبؤذونهم ، ويتفقون بأموالهم في مقاومتهم ومقاومة دعوة الإسلام . وهم في كراهيتهم للمؤمنين وفي إيمانهم لهم لا يراعون صلة الرحم والقرابة ، وهم ينقضون العهد ، ويتملكهم الغرور والاستكبار . وهم أشخاص ماديون نفعيون ، يهتمون بمعنى الدنيا وملذاتها ، ولذلك فهم يعيشون عيشة الفجور والفسق والانحلال في إشباع أهوائهم وشهواتهم .

وقد رأينا أثناء كلامنا عن الإيمان أن الإيمان بعقيدة التوحيد ، وبالبعث والحساب في الآخرة كان من السمات الرئيسية في شخصية المؤمنين التي أثرت تأثيراً كبيراً في جميع مفاهيم الأخرى ، وكانت بمثابة القوة المحركة والموجهة لها في سياق معين من السلوك الخاص الذي تميز به المؤمنون . وإن فقدان الكافرين للإيمان بعقيدة التوحيد وبالبعث والحساب في الآخرة قد أفقدتهم تلك القوة المنظمة والمنسقة للسمات الأخرى لشخصياتهم ، والموجهة لها نحو هدف محدد واضح في الحياة ، وهو عبادة الله وابتغاء وجهه تعالى في كل ما يقوم به الإنسان من عمل

(١) البقرة : ٧ .

أملاً في مغفرته ورضوانه ، وطمعاً في ثوابه في الدنيا والآخرة . إن غياب هذا المدف
الداعم والمرجح للسلوك قد أفقد الكافرين توازن شخصياتهم ، فانحرقوا نحو إشاع
شروراتهم وملذاتهم البدنية والدنيوية ، كما أفقدتهم اتزانهم الانفعالي فكانوا يكرهون
المسلمين ويهددون عليهم وبحسدهم ، وكانوا عدوانيين في سلوكهم معهم ،
فكانوا يؤذونهم ويعتدون عليهم . وقد ساعد عدم اتزان شخصياتهم على جمود
تفكيرهم وعدم استعدادهم لقبول دعوة التوحيد وفهمها واستيعابها .

المنافقون :

المنافقون هم فئة من الناس ضعاف الشخصية ومتزدرون لم يستطيعوا أن يتخلوا
موقعًا صريحةً من الإيمان . وقد ذكر القرآن سماتهم المميزة لهم ، وتوعدهم بأشد
العذاب .

«إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّاسِ وَكُنْ تَحْمِدْ لَهُمْ نَصِيرًا»^(١)

وي يكن تلخيصاً لأهم سماتهم التي وردت في القرآن فيما يلي :

١ - سمات تتعلق بالعقيدة :

إنهم لم يتخلوا موقعًا محدداً من عقيدة التوحيد ، فهم يظهرون الإيمان إذا
ووجدوا بين المسلمين ، ويظهرون الشرك إذا وجدوا بين المشركين .

٢ - سمات تتعلق بالعبادات :

يؤدون العبادات رباء وعن غير اقتناع ، وإذا قاموا للصلوة قاموا كسلًا .

٣ - سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية :

يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، يعملون على إثارة الفتنة بين صفوف
المسلمين ويستخدمون في ذلك الشائعات ، يميلون إلى خداع الناس ، يحسنون

^(١) النساء : ١٤٥ .

الكلام للتأثير على الساعدين ، يكترون من المحفوظ لدفع الناس إلى تصديقهم ،
يحسنون الظهور بظاهر حسن في ملبيتهم لطلب انتباه الناس والتاثير عليهم .

٤ - سمات خلقية :

ضعف الثقة بالنفس ، نقص العهد ، الرياء ، الجبن ، الكذب ، البخل ،
التفاهة والاتهازية ، اتباع الأهواء .

٥ - سمات الفعالية وعاظمية :

الخروف ، فهم يخافون كلاً من المؤمنين والشركين ، الجبن والخوف من الموت
ما يجعلهم يتخلرون عن القتال مع المسلمين ، يكرهون المسلمين ويحددون عليهم .

٦ - سمات عقلية ومعرفية :

التردد والريبة وعدم القدرة على الحكم واتخاذ القرار ، عدم القدرة على التفكير
السلمي ولذلك وصفهم القرآن « بالطيع على قلوبهم » ، يميلون إلى الدفاع عن أنفسهم
بتبرير أفعالهم .

إن هذه السمات العديدة التي يتصف القرآن بها المنافقين تعطينا صورة واضحة
لشخصية المنافق . والسمات الرئيسية لشخصية المنافق هي تردداته بين الإيمان والكفر ،
وعجزه عن اتخاذ موقف واضح صريح بالنسبة لعقيدة التوحيد . ولعل ذلك لأنه
شخص جبان ، ضعيف الثقة بنفسه ، يخشى المؤمنين ، كما يخشى الشركين ،
فيتخذ موقفاً متربداً بينهم لا يستطيع أن يصدر حكماً واضحاً صريحاً إلى أية فئة منهم
هو في الحقيقة يتبعي . وإن اتخاذ مثل هذا الموقف يجعل المنافق يلتجأ إلى الكذب ،
والرياء ، والخداع ، وإخفاء مشاعره الحقيقية من كراهيته للمسلمين وحقده
عليهم وحسده لهم ، مما يدفعه إلى إثارة الفتنة ضدهم في الخفاء مستخدماً في ذلك
سلاح الشائعات . والمنافق تفهي اتهاري إذا نال المسلمون خيراً قال إنه معهم
ليشاركون في ، وإذا نالوا الشركون خيراً قال إنه معهم ليجال نصرياً منه . وهو

جبان ، إذا دُعى إلى الاشتراك في القتال تملأه الخوف ، وتختلف عن القتال متاحلاً كثيراً من الأعذار . وهو يحاول دائماً خداع الناس ، ولذلك فهو يحاول التأثير عليهم بحسن الكلام ، وبحسن المظهر . وهو يحسن في قرارة نفسه بضعفه ، ولذلك فهو يحاول الدفاع عن نفسه بتبرير أعماله .

إن الصورة التي رسماها القرآن لشخصية المنافق صورة دقيقة حية تتطبق بدقة على نمط معين من الناس يوجدون في جميع المجتمعات الإنسانية ، ونحن نستطيع أن نعرفهم بوضوح بهذه السمات التي يتميزون بها .

الحيل العقلية في القرآن

الحيل العقلية هي عبارة عن سلوك دفاعي يلجأ إليه الإنسان لوقاية نفسه من الشعور بالقلق الذي يمكن أن يتتباه إذا ما عرفت دوافعه الحقيقة الكامنة في نفسه ، والتي يحاول إخفاءها بالاتجاه إلى الحيل العقلية .

ولقد كانت شخصية المنافقين تميز ، كما بينا ذلك من قبل ، بالشك والتردد ، وضعف الثقة بالنفس ، والخوف من الفضائح أمرهم ، والرهبة من أن يعرفهم المسلمون فيطشون بهم . وقد دفعتهم طبيعة شخصياتهم هذه إلى كثرة الاتجاه إلى الحيل العقلية كسلوك دفاعي . وقد أشار القرآن إلى ثلاثة أنواع من الحيل العقلية كان المنافقون يقومون بها وهي : الإسقاط ، والتبرير ، وتكوين رد الفعل .

الإسقاط :

الإسقاط حيلة عقلية يقوم فيها الفرد بإسقاط حالته النفسية ودوافعه وعيوبه وأخطائه على الغير فيدركتها فيه بدلاً من أن يدركها في نفسه . فعلاً ، إن الشخص الذي يضرم في نفسه العداء لأحد أصدقائه ، قد يسقط شعوره العدائي على صديقه فيدرك أن صديقه يعامله بعداء . وكان المنافقون يضرمون العداء للمسلمين ، ويختفون حقدهم عليهم وكراهيتهم لهم . وكانوا يسقطون شعورهم العدائي على المسلمين ،

فيظنون أن المسلمين يريدون البطش بهم . وقد صور القرآن ذلك أصدق تصوير في وصف المنافقين الذين يحسبون أن كل صيحة يسمعونها تصدر عن المسلمين موجهة ضدهم .

وَإِذَا رأَيْتُهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ فَإِنْ يَقُولُوا لَتَسْمَعَ لِقَوْلِهِمْ كَانُوكُمْ
خَشْبٌ مُّسَنَّدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتِلُهُمْ
الله أَنِّي يُؤْفِكُونَ^(١)

إن كل صيحة يسمعونها يظنون أنها عليهم ، ويظنون أن المسلمين يريدون أن يطشوا بهم ، وذلك نتيجة لما يفسروننه من شعور عدائى نحو المسلمين ، فيقومون بإسقاط هذا الشعور العدائى عليهم . ويلاحظ أنه بعد عبارة « يحسبون كل صيحة عليهم » تقول الآية مباشرة : « هم العدو فاحذروهم » ، وهذا يوضح أنهم هم الذين يفسرون العداء للMuslimين في الحقيقة ، وأن إدراكهم لما يسمعون من صيحات كأنها ضدهم ليس إلا وهم نتائج عملية الإسقاط .

البرير :

البرير حيلة عقلية دفاعية يحاول بها الإنسان تبرير دوافعه وأفعاله غير المقبولة بأن يعطيها تفسيراً يكون مقبولاً . وقد كان المنافقون يلجأون إلى التبرير في كثير من الأحيان لتفسير سلوكيهم تفسيراً يكون مقبولاً . فإذا أفسدوا في الأرض قالوا إنما هم يقصدون الإصلاح ، وهم بذلك إنما يقومون بتبرير أفعالهم تبريرات تبدو مقبولة ومعقولة . وقد وصف القرآن التبرير الذي يقوم به المنافقون بقوله :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ مُصْلِحُونَ^(٢) أَلَا
إِنَّهُمْ هُمُ الْمُغْرِيْدُونَ وَلَكِنَ لَا يَشْعُرُونَ^(٣)

(١) المنافقون : ٤ .

(٢) البرة : ١٢ ، ١١ .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِنَّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِنَّ الرَّسُولَ رَأَيَتَ الْمُنَافِقِينَ يَصْدُونَ
عَنْكَ صُدُودًا ۝ فَسَكَنَتْ إِذَا أَصَدَّهُمْ سُبْحَانَهُ ۝ إِذَا قَدَّمَ أَنْوَارُهُمْ ثُمَّ
جَاءُوكَ يَتَلَفَّوْنَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدَتَنَا إِلَّا إِخْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ
اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعَظِّمْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا بَلِّيْغًا ۝^(١)

والحيل العقلية سلوك يقوم به الإنسان بطريقة لاشعورية . فحينما يسقط الإنسان مثلاً شعوره العدائي على آخر فيعتقد أن هذا الشخص الآخر هو الذي يضره له الداء ، فإنه يقوم بذلك بدون وعي منه بأنه يقوم بعملية إسقاط . وكذلك حينما يقوم الإنسان بالتبير فهو لا يكون واعياً بأنه يقوم بعملية تبرير ، بل إنه يعتقد فعلاً أن ما يقوم به من أعمال سيئة إنما هي أعمال حسنة ومفيدة ، أو أنه يقصد منها الخير والإصلاح . ويشير القرآن إلى هذه الناحية اللاشعورية من الحيل العقلية بقوله في وصف سلوك المنافقين الذين يقومون بعملية التبرير . «أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ لِكُلِّ لَيْلٍ وَنَهَارٍ» . فالقول : «ولكن لا يشعرون» إنما يشير إلى عدم وعيهم بأن ما يفعلونه إنما هو إفساد وليس إصلاحاً .

تكوين رد الفعل :

وتكونين رد الفعل حيلة عقلية دفاعية يتخذ فيها الفرد سلوكاً يكون مضاداً لسلوك آخر يريد إخفاذه . فالفرد ، مثلاً ، قد ينادي كثيراً من المjalمة والأدب والاهتمام في معاملة شخص معين كوسيلة دفاعية يخفى بها كرهه له وشعوره العدائي نحوه . وقد كان المنافقون يلجأون إلى هذه الحيلة العقلية الدفاعية لإخفاء حقيقة شعورهم بالكرابية والعداء للمسلمين . فكانوا يحسنون الكلام معهم ، ويظهرون حبهم وإعجابهم بهم وتقديرهم لهم بقصد إخفاء ما تضمره نقوشهم من كراهة وعداء .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعَجِّبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَّةِ الْأَذْيَا وَيَتَهَدُّدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي

(١) النساء : ٦٣ - ٦٤ .

قَلْبِهِ وَهُوَ أَذْلِكَ الْخَصَامُ ① وَإِنَّا تَوَكَّلُ عَلَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا
وَهِيَكَ الْحَرَثُ وَالنَّشْلُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ②
وَإِذَا رَأَيْتُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَادُهُمْ فَإِنْ يَقُولُوا أَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ .. ③

وقد سبق أن ذكرت أن الحيل العقلية تحدث بطريقة لا شعرية . فالإنسان الذي يلجأ إلى التبرير ، أو إلى تكوين رد الفعل ، كحيتان عقلتين ، لا يكون ، في الحقيقة ، مدركاً أنه يحاول إخفاء حقيقة دوافعه ومشاعره . غير أنه من الممكن أيضاً أن يظهر بعض الناس دوافع مشاعر مضادة لحقيقة دوافعهم ومشاعرهم ، ويكونون مدركون أنهم يقومون بإخفاء حقيقة دوافعهم ومشاعرهم غير المقبولة . إن هؤلاء الناس ، في هذه الحالة ، إنما يقومون بعملية خداع وكذب . وقد كان المناقرون يلجأون إلى الحيل العقلية ، كما كانوا يلجأون أيضاً إلى الخداع والكذب .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ④
يُخَدِّلُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ مَامَنُوا وَمَا يَخْدِلُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ⑤

وهكذا نرى أن القرآن ، في وصفه لسلوك المناقرين في عصر النبي صل الله عليه وسلم ، قد أشار إلى بعض الحيل العقلية التي كان يستخدمها المناقرون ، وذلك منذ أربعة عشر قرناً من الزمان قبل أن يكتشف سيد محمد فرويد هذه الحيل العقلية في سلوك مرضاه الدين كان يقوم بعلاجهم .

(١) البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥ . نزلت هذه الآية في الأحسن بن شريق ، كان منافقاً حلو الكلام للنبي صل الله عليه وسلم يختلف أنه مؤمن به ومحب له فيبني مجلسه ، فأكلبه ألق في ذلك .. . نسخة الجلالين ، ص ٢٨ .

(٢) المناقرون : ٤ .

(٣) البقرة : ٩٠، ٨ .

الفروق الفردية في القرآن

توجد فروق كثيرة بين الناس في استعداداتهم وقدراتهم البدنية والنفسية والعقلية . وترجع هذه الفروق إلى تفاعل كل من العوامل الوراثية والبيئية . وقد أشار القرآن إلى الفروق بين الناس في كثير من الموارد .

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِقَاتٍ لِّرَبِّ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
لِّيَسْتُوْكُمْ فِي مَا أَنْشَأْتُكُمْ ... ﴾^(١)

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ لَهُنْ قَمَّا بِهِنْمَ مُعِيشَتَهُمْ فِي الْخَيْرَةِ الَّتِي
وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَعَذَّلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مُّغْرِبًا ... ﴾^(٢)

﴿ وَمِنْ هَايَنِيهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْجَلَفَ أَسْنَاكُمْ وَالْوَنْكَرِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣)

﴿ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ... ﴾^(٤)

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِ وَالْأَنْعَمْ مُخْلِفُ الْوَانِهِ كَذِلِكَ ... ﴾^(٥)

في هذه الآيات إشارة واضحة إلى وجود الفروق الفردية بين الناس ، كما أن هذه الآيات تتضمن أن هذه الفروق ترجع إلى كل من العوامل الوراثية والبيئية . فقوله تعالى : « وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ درجات » إنما يشمل كل أنواع الفروق بين الناس سواء كانت وراثية أم مكتسبة ، وسواء كانت بدنية أو نفسية أو عقلية .

(١) الأنعام : ١٦٥ .

(٢) الرحمن : ٣٢ .

(٣) الروم : ٢٢ .

(٤) الإسراء : ٢١ .

(٥) فاطر : ٤٨ .

أو في الثروة والمتاعيات ، أو النفوذ . قوله تعالى : « لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ، إِنَّمَا يُشَيرُ إِلَى اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي الْفَنِّ ، وَفِي الْعِلْمِ وَالْمَهْنَةِ ، بِحِيثُ يَعْمَلُ الْفَقِيرُ لِلْفَنِّ بِالْأَجْرِ ، كَمَا يَعْمَلُ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَهْنِ وَالْحَرْفِ فِي خَدْمَةِ النَّاسِ الْآخَرِينَ بِالْأَجْرِ ، وَبِذَلِكَ يَتَمُّ التَّعَاوُنُ وَتَوْزِيعُ الْعَمَلِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمَجَمِعِ مَا يَكْفِلُ سَدِّ جَمِيعِ حَاجَاتِهِمْ ، وَبِهِمْ لَمْ جُمِعْ الْمَحْدُومَاتُ الْلَّازِمَةُ لِمَ فِي مَعِيشَتِهِمْ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ مِنْ آيَاتِهِ اخْتِلَافُ أَلْسُنَةِ النَّاسِ وَأَلْوَانِهِمْ إِنَّمَا يُشَيرُ إِلَى أُثْرِ كُلِّ مِنَ الْعِوَالِمِ الْوَرَاثِيَّةِ وَالْبَيْئِيَّةِ فِي الْفَرَوْقِ الْفَرَدِيِّةِ . فَنَّ الْوَاضِعُ أَنَّ اخْتِلَافَ الْأَلْوَانِ إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى الْعِوَالِمِ الْوَرَاثِيَّةِ ، وَأَنَّ اخْتِلَافَ الْأَلْسُنَةِ وَالْلُّغَاتِ وَالْمَهَجَاتِ بَيْنَ النَّاسِ إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى الْعِوَالِمِ الْبَيْئِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْقَانِيَّةِ .

وَتَوَجَّدُ فَرَوْقٌ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، وَيَتَضَمَّنُ ذَلِكَ وَجْدَ فَرَوْقٍ بَيْنَهُمْ فِي الْقُدْرَاتِ الْمَقْلِبِيَّةِ وَالْمَدَكَاءِ . يَفْهَمُ ذَلِكَ مِنْ مَضْمُونِ الْآيَاتِ الَّتِي ذُكِرْنَا هَا سَابِقًا ، كَمَا يَفْهَمُ ذَلِكَ صِرَاطَةً مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿.. تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ أَلْسَانِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ طَهِيمٌ﴾^(١)

قَالَ ابْنُ كَثِيرَ فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ : « قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : لَيْسَ عَالَمٌ إِلَّا فَوْقَهُ عَالَمٌ حَتَّى يَتَّهَى إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبَرٍ قَالَ : كَمَا عَنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَحَدَّثَ بِحَدِيثٍ عَجِيبٍ ، فَتَعَجَّبَ رَجُلٌ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : بَشَّسْ مَا قُلْتَ ، اللَّهُ الْعَلِيمُ فَوْقَ كُلِّ عَالَمٍ ، يَكُونُ هَذَا أَعْلَمُ مِنْ هَذَا ، وَهَذَا أَعْلَمُ مِنْ هَذَا ، وَاللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَالَمٍ»^(٢) .

وَبِمَا أَنَّ النَّاسَ مُخْتَلِفُونَ فِي اسْتَعْدَادِهِمْ وَقُدْرَاتِهِمْ ، وَفِي ظَرُوفَهُمُ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْقَانِيَّةِ وَخَبَرَاتِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ فَإِنَّا ، لَا شُكَّ ، نَتَوَقَّعُ وَجْدَ اخْتِلَافَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي سُلُوكِهِمْ .

(١) يُوسُف : ٧٦ .

(٢) مُختَصَرُ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ : جِدَّ ٢ ، صِ ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

«فَلَمْ يَكُنْ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرٍ...»^(١)

وأختلاف الناس في الاستعدادات والقدرات البدنية والمقلية يؤدي بطبيعة الحال إلى اختلاف قدراتهم على العمل والكسب ، وتحصيل العلم ، وتحري الحق والعدل ، وتختلف تبعاً لذلك واجباتهم ومسؤولياتهم .

«لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا مَا أَكَبَّتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكَبَّتْ...»^(٢)

«وَلَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَنِيَا كَثُرْ بَطْلَقُ الْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»^(٣)

«... لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَتَاهَا...»^(٤)

ومن الواضح أن إشارة القرآن إلى وجود الفروق الفردية ، وإلى أن الفرد لا يكلف إلا ما في وسعه وطاقته إنما هو الفكر الأساسية فيما وصل إليه علم النفس الحديث من الاهتمام بقياس الفروق بين الأفراد في الاستعدادات والقدرات لتنظيم عملية التعليم بحيث يوجه كل فرد إلى نوع التعلم المناسب لاستعداداته وقدراته ، وهذا هو المدف من عملية التوجيه التربوي في التربية الحديثة . ويستعين علماء النفس المحدثون أيضاً بقياس الفروق الفردية بهدف تحسين عملية التوجيه المهني والاختيار المهني بحيث يمكن وضع كل فرد في العمل المناسب لاستعداداته وقدراته .

ونجد في الحديث النبوي أيضاً إشارة إلى تأثير العوامل الوراثية وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام : «تزوجوا في الحجّر»^(٥) الصالح فإن العرق دناس ، وفي قوله أيضاً عليه الصلاة والسلام : «غيروا لنفسكم فإن النساء يلدنهن أشياء أخرى عن

(١) الإسراء : ٨٤ ، أي كل يعمل حمل طبيعته أو طرقته . انظر تفسير ابن كثير ، وتفسير الجلالين .

(٢) البقرة : ٢٨٦ .

(٣) المؤمنون : ٦٢ .

(٤) الطلاق : ٧ .

(٥) رواه ابن عدي عن أنس بن مالك ، الجامع الصافر ج ١ (انظر بروأيم سوق مرس : المقولة في الإسلام . القاهرة : دار المascript ، ١٩٧٩ ، ص ٤٠) . المصنف يعنى المثبت الصالح .

وأخواتهن^(١) . وتجد في الحديث النبوى أيضاً إشارة إلى تأثير العوامل البيئية وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام : « ما من مولد إلا يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويحسانه ... الحديث »^(٢)

نمو الإنسان في القرآن

يعنى علم النفس بدراسة المراحل المختلفة التي تمر بها عملية نمو الطفل ، والخصائص العامة التي تميز هذه المراحل ، والعوامل المختلفة التي تؤثر فيها ، مما يجعلنا أكثر فهماً لشخصية الطفل ، وأكثر قدرة على توجيهه وتربيته .

ولايعد ، علم النفس بدراسة مراحل نمو الطفل منذ ساعة ميلاده فقط ، وإنما يعنى أيضاً بدراسة مراحل نموه قبل الميلاد وهو لايزال جنيناً في بطن أمه ، والعوامل المختلفة الوراثية والبيئية التي يمكن أن تؤثر في تكوين الجنين ونموه . وقد استعان علم النفس كثيراً في دراسته للنمو في مرحلة قبل الميلاد بنتائج البحوث في علم الأجنة .

النمو قبل الميلاد :

أشار القرآن الكريم في أسلوبه المعجز في إيجازه ودلالة ودلالته إلى مراحل نمو الجنين منذ بداية العمل حتى وقت الميلاد وذلك في الآيات التالية :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَانَةٍ مِّنْ طِينٍ ۝ قُمْ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارِ
مَكِينٍ ۝ قُمْ خَلَقْتَ النُّطْفَةَ عَلَقَةً تَحْلَقُنَا الْعَلَقَةُ مُضْعَفَةً خَلَقْنَا الْمُضْعَفَةَ
عِظَلَةً فَكَوَنَّا الْعِظَلَةَ حَتَّمَ قُمْ أَنْتَهُ خَلَقْنَا هَامِرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَلْقِينَ^(٣) »

« يَكَانُوا إِنْسَانٌ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثَتِ فَهَذَا خَلَقْنَتُكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ

(١) إبراهيم دسوق موسى : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٢) رواه الشيشانى وأبو داود والترمذى (ناسف ، ج ٥ ، ص ١٩٦) .

(٣) المؤمنون : ١٢ - ١٤ .

نطفةٌ لَمْ يُمْكِنْ عَلَقَةً لَمْ يُمْكِنْ مُضْعَفَةً مُخْلَقَةً وَغَيْرُ مُخْلَقَةٍ تُثْبِنَ لَكَ وَتُنْفَرِّي الْأَرْجَامَ
مَا شَاءَ^(١) إِنَّ أَجَلَ مَسْئَةٍ لَمْ يُخْرِجُكُمْ طَفْلًا لَمْ يُنْبَلِّغُوا الشُّدُّوكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ
يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِسَبَبِ لَا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عَلِيهِ شَيْئًا^(٢)
وَ... يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهِتُكُمْ خَلْقًا مِنْ يَمْدُحُ خَلْقَ فِي ظُلْمَتِ ثَلَاثَةِ^(٣)

يشير القرآن الكريم في هذه الآيات إلى مراحل نمو الجنين في الرحم منذ بداية
الحمل حينما تقوم إحدى الخلايا المنوية للأب بتخصيب بويضة الأم الناضجة
مكونة بذلك ما يسمى بالبذرة أو اللاقحة ، وهي ما عبر عنه القرآن «بالنطفة» ،
و«بالنطفة الأمشاج» .

٤. إنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ...^(٤)

ثم تأخذ النطفة الأمشاج في الانقسام ، فتضاعف عدد خلاياها باستمرار ، دون أن
يزداد حجمها ازدياداً حسوساً عن حجم البويضة الملقحة خلال الأربعين الأولين .
وتتم عملية الانقسام هذه والنطفة الأمشاج تتحرك في قنة الرحم ، التي تعرف بقناة
فالوب ، متوجهة إلى الرحم . وإذا وصلت إليه كانت كتلة من الخلايا التي تشبه في هيئتها
ثمرة التوت ، وتلذك أطلق عليها إسم التوتة *Monula* . وحينها تصل النطفة الأمشاج
إلى الرحم تفترز في جداره وتتعلق به^(٥) . وعندئذ تبدأ مرحلة «العلقة»^(٦) .

(١) « وَتُنْفَرِّي الْأَرْجَامَ مَا شَاءَ » ، يعني نفرى الارحام ما شاء من الاجنة ليكتفى بكتل عروها لولدة موته ، ومنها ما لا يكتفى غلوه فيسطل .

(٢) *الطبع* ٥ .

(٣) *الزمر* ٦ .

(٤) الإنسان : ٤ النطفة الأمشاج هي النطفة التي تتكوّن من مئات الأذكر وبويضة الأنثى .

(٥) اعتمدنا في وصف مراحل نمو الجنين على : نواد البهى السيد : *الأنس النفيسي للنمر* ، ط٤ . القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٧ ، ص ٩١ - ١٠٠ . وحامد عبد العزيز النقى . دراسات في سبيكلولوجيا الشو، الكربلا ، ١٩٧٧ ، ص ٦١ - ٦٨ . وعبد الحميد دباب وأحمد فرقوز : مع الطبع في القرآن الكريم ، ط٢ . دمشق علوم القرآن ، ١٩٨٢ ، ص ٨٩ - ٩٠ . ومحمد علي البار : خلق الإنسان بين الطبع والقرآن ، ط٦ .
جديدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٦ ، ص ١٩١ - ٢٩٦ .

(٦) يذهب المفسرون القدماء إلى أن العلقة هي الدم الجامد . غير أن البحوث الحديثة في الأجيال تبين أنه لا يوجد —

وتنتمي العلقة غذاءها من دم الأم مباشرة عن طريق الحبل السري ، ثم تبدأ الأغشية الجنينية في التكوير ، وعندئذ تبدأ مرحلة «المضفة» في الأسبوع الثالث . وحيث نهاية الأسبوع الرابع لا يكون هناك أي تمايز لأى عضو في الجنين ، ولذلك يمكن أن تسمى هذه المرحلة «بالنطفة غير المخلقة» . وابتداءً من الأسبوع الخامس تبدأ عملية التمايز في أعضاء وأجهزة الجسم . وتنتهي عملية الت分化 في نهاية الشهر الثالث . ويمكن أن تسمى هذه المرحلة «بالمضفة المخلقة» . وهذا ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى : «ثم من مضفة مخلقة وغير مخلقة»^(١) .

وتحت لفترة المضفة من نهاية الأسبوع الثاني إلى نهاية الشهر الثاني حيث تبدأ المرحلة التي يطلق عليها علماء الأجنة مرحلة الجنين^(٢) . تتميزاً لها عن المرحلة السابقة وهي مرحلة المضفة^(٣) ومرحلة الجنين مرحلة نحو سبيع ، يزداد فيه حجم الجنين بسرعة ، وتتغير نسب أعضائه حتى يصل الجنين إلى تمام نموه في نهاية الحمل . وتكون العظام والغضلات في الأسبوعين الخامس والسادس ، ثم تكسو العظام بالغضلات في الأسبوعين السادس والسابع ، وهذا ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى : «... فكسوا العظام لها...» .

ـ في البرهنة الملقحة حديثاً خلاها دورية . وعندما تتغلب البرهنة الملقحة على المرسلة التي تسمى العلقة إلى الرسم في نهاية الأسبوع الثاني وتتصدى بجداره ، تبدأ الأغشية الجنينية في التكوير ، ويعتدل الحبل السري الذي يصل البرهنة بالأم ، وتبتدئ عملية الت分化 من دم الأم ، يبدأ حيشن فقط يدخل الدم إلى العلقة حول اليوم الثامن عشر تقريباً . انظر : مزاد البهى السيد : مرجع سابق ، ص ٩١ ، ومحمد إسماعيل لراهيم : مرجع سابق ، ص ١٠٧ .

(١) في تفسير القرطبي : «قال الفراء : «مخلقة» تامة الخلق ، «وغير مخلقة» السقط . وقال ابن الأحمر : «مخلقة قد بدأ خلقها» ، «وغير مخلقة» لم تصور بعد . (وقال) ابن زيد : «المخلقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين» ، «وغير مخلقة» التي لم يخلق فيها شيء . . . (وقال) ابن عباس : «المخلقة» ما كان شيئاً ، «وغير المخلقة» السقط تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ٦ - ١٣ . والمفيدة هي تقطمة من اللحم صغيرة قدر ما يمسيخ .

Retus stage (٢)

Embryonic stage (٣)

وتبدأ الحركة في الجنين في نهاية الشهر الثالث وبداية الشهر الرابع حيث يتم اتصال الجهاز العصبي بالأجهزة والعضلات . وتبدأ نبضات القلب في بداية الشهر الرابع ، ويتم تكامل الشكل الخارجي للجنين . وصدق الله تعالى إذ يقول في وصف هذه المرحلة : «... ثم أنشأه خلقاً آخر تبارك الله أحسن الخالقين» .

ويتفق وقت حدوث الحركة في الجنين وبعض قلبه مع الوقت الذي يرسل الله تعالى فيه الملك لينفع فيه الروح ، كما جاء في الحديث الشريف . فعن عبد الله بن مسعود أن النبي صل الله عليه وسلم قال : «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علة مثل ذلك ، ثم يكون مرضه مثل ذلك ، ثم يُرسِلُ الملكُ لينفع فيه الروح ، ويُوَمِّرُ بأربع كلمات : رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشق أو سعيد... الحديث»^(١) .

ونجد حركة الجنين ونبضات قلبه ، كما ذكرنا سابقاً ، في بداية الشهر الرابع ، وستطير الأم أن تحس بما يوضح بعد الشهر الرابع . ولذلك ، فإن الأطباء يتخلوتها علامتين هامتين لتشخيص الحمل . وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة العلمية بقوله تعالى :

«وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيُدْرِكُونَ أَزْوَاجًا يَرْجِعُنَ إِلَيْنَا فَإِنَّهُمْ أَثْقَلُ رَحْمًا»^(٢) .

يقول مؤلفها كتاب «مع الطب في القرآن الكريم» : «إن وجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة ظاهرة بلاشك ، وهي تقرر ما يحسى بعنة المرأة التي توف زوجها ، حيث حددت بالضبط المدة التي يصبح عندها أو بعدها تشخيص الحمل يقيناً»^(٣) .

(١) رواه البخاري في هذه الملحقة ، ومسلم في أول كتاب الفتن (التروي)، ج ١، ص ٣٩٦، الحديث رقم ٣٩٧/١.

(٢) البقرة: ٢٣٨.

(٣) عبد الحميد دايب وأحمد فرقوز: مع الطب في القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

وتحاط الجنين وهو في الرحم بغشاء ، يسمى « غشاء السلي أو الأمنيون »^(١) ، غلوب سائل ملحي يقوم بعده وظائف هامة للجنين من بينها وقايته من الهزات العنيفة ومن تأثيرات الجاذبية^(٢) . وقد أشار القرآن إلى ذلك في الآيات التي ذكرناها سابقاً من سورة « المؤمنون » يقوله : « ثم جعلناه نعلاة في قرار مكين » ، وفي قوله أيضاً في سورة المرسلات :

﴿ أَرَأَتُمْ مَنْ مَلَأَ مِهْنَةً فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى فَتَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فِيمَنْ قَدِيرُونَ ﴾^(٣)

ويذهب المفسرون الأقدمون إلى أن الظللات الثلاث التي جاء ذكرها في القرآن في سورة الزمر التي ذكرناها سابقاً ، إنما تشير إلى ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة^(٤) .

وقد أمدنا علم الأجيال حديثاً بتفسير حديث هذه الظللات الثلاث . فقد تبين أن الجنين تحيط به ثلاثة أغشية هي :

- ١ - غشاء السلي أو الأمنيون الذي ذكرناه سابقاً .
- ٢ - غشاء الكوريون^(٥) وهو الغشاء الثاني الذي يحيط بالجنين ، وهو متوسط بين غشاء الأمنيون من الداخل ، والغشاء الساقط من الخارج .
- ٣ - الغشاء الساقط^(٦) وهو ثالث الأغشية التي تحيط بالجنين ، وهو عبارة عن عازلة الرحم السطحية . وسمى بالساقط لأنه يسقط مع الجنين عند الولادة .

Ammion (١)

(٢) حامد عبد العزيز العق : مرجع سابق ، ص ٥١ .

(٣) المرسلات : ٢١ - ٢٣ .

(٤) تفسير القرطبي : ج ١٩ ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

Chorion (٥)

Decidua (٦)

النمو بعد الميلاد :

يولد الطفل ضعيفاً في حاجة إلى من يرعاه ويعتني به حتى ينمو ويكبر . ويستمر نمو الوليد بسرعة كبيرة في الأيام الأولى من حياته ، ولكن تأخذ سرعة النمو تبطئ تدريجياً مع تقدم العمر ، وتبدو الحياة هادئة مستقرة قبل فترة المراهقة . وما أن تبدأ مرحلة المراهقة حتى تتواتي على الطفل تغيرات قوية وسريعة عضوية ونفسية ونفسية . ثم تهدأ سرعة هذه التغيرات في نهاية مرحلة المراهقة وبداية مرحلة الرشد التي تكتمل فيها عملية النمو ، وتعود الحياة مرة أخرى إلى الهدوء والاستقرار . ومع أن الرشد يكون قد بلغ تمام النضج في نموه الجسمي ، ونمو قدراته العقلية إلا أنه يستمر في تعلم خبرات جديدة ، وفي اكتساب المعرفة والخبرة والحكمة حتى يصل إلى مرحلة الشيخوخة ، فتأخذ قوته الجسمية في الانحسار ، وتبدأ قدراته العقلية في الضعف .

وقد أشار القرآن إلى مراحل النمو التي يمر بها الإنسان بعد الميلاد من الطفولة إلى الشيخوخة بقوله :

«هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّ كَثْرَةً ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلَامَكُمْ وَلِتَكُونُوا تَعِيقُونَ»^(١)

«اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَغْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَغْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَسِّأءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَدِيرُ»^(٢)

ويظهر على بعض الشيخوخ في حوالي سن السبعين نوع من الاختلاط السلوكى والعقلى يتميز بضعف الذاكرة ، وعدم القدرة على التركيز الذهنى ، والخلط بين الماضى والحاضر ، والحقيقة والخيال ، والعجز عن إصدار الأحكام العقلية ، كما يفقدون السيطرة على انفعالاتهم واندفاعاتهم فيبدو سلوكهم فى الأغلب طفلياً .

(١) عالى : ٦٧ .

(٢) الروم : ٥٤ .

ويطلق على هذه الحالة من الاضطراب السلوكى والعقلى «ذهان الشيخوخة». قد يبيّن الدراسات الحديثة أنه يحدث عادة في هذا السن المتأخر من عمر الإنسان نوع من التدهور في أنسجة الدماغ. وما يساعد على سرعة حدوث هذا التدهور تصلب الشرايين الذي يسبب قلة الأكسجين الذي يصل إلى الأنسجة العصبية بالدماغ مما يقلل من قدرة الدماغ على أداء وظائفه.

وتوجد فروق فردية بين الناس في مدى تأثيرهم بضعف الشيخوخة ، وظهور أعراض ذهان الشيخوخة عليهم . فن الشيرخ من يظل مسحتظاً بقدر كبير من قدرته العقلية ، ومنهم من تضعف قدرته العقلية كثيراً ، وتظهر عليه أعراض ذهان الشيخوخة . «ويبدو أن بعض العوامل الوراثية ، والعوامل المتعلقة بحالة الأوعية الدموية ، وحالة الغدد الصماء مما يساهم في حدوث ذهان الشيخوخة . وقد بيّنت بعض الدراسات أن بعض المسنين يعانون من تلف خطير في الدماغ دون أن يفقدوا قدرتهم على التفكير النطقي السليم مما دفع بعض علماء النفس إلى القول بأن الشيخوخة ، فيما يليه ، تعتمد على قدرة الفرد على تقبل فقدان كفايته العقلية ، وعلى مهارته في التكيف لمواقف الضغط . فالشخص الذي يتقبل أعراض الشيخوخة يكون أحسن قدرة على التكيف للتغيرات التي تحدث في الشيخوخة وعلى مواجهتها . والشخص الذي يشوه ضعف كفايته العقلية وعدم قدرته على التذكر يصبح شخصاً مبللاً وغير متزن»⁽¹⁾ .

وقد أشار القرآن إلى حالة الاضطراب السلوكي والعقلي الذي يتتبّع بعض الأفراد في مرحلة الشizophrenia في الآية التي سبق أن ذكرناها من سورة الحج :

۱۰۷.. لَمْ يَخِرُّ جُنَاحٌ طَفْلًا ثُمَّ لَيَلْقَوْا أَشَدَّ كُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ

(١) محمد عثمان نجاشي : علم النفس في حياة اليومية ، مرجع سابق ، ص ٥١٧ .

إِنَّ أَرْذِلَ الْعُمُرِ لَكُلَا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ طَهْرٍ شَيْئاً ..^(١)

فبعد أن أشار القرآن في هذه الآية إلى مراحل النمو قبل الميلاد من نطفة إلى علقة إلى مضغة قام بذلك مراد النمو بعد الميلاد من الطفولة إلى الرشد حيث يكتمل النمو ويبلغ الإنسان أشده وكمال نضجه ، ثم إلى الشيخوخة حيث يبدأ الإنسان في الصغر جسرياً وعقلياً . وأشار القرآن أيضاً في هذه الآية إلى ما يتتاب بعض الناس في مرحلة الشيخوخة من اضطراب قدراتهم العقلية ، وما يظهر عليهم من أعراض ذهان الشيخوخة .

وقد أشار القرآن أيضاً في مواضع أخرى إلى هذه الحالة من الاضطراب السلوكي والعقلي التي تتتاب بعض الشيوخ .

**وَاللهُ خَلَقَكُمْ بِتَنَزُّلِكُمْ مِنْ يَرْدَانَ أَرْذِلَ الْعُمُرِ لَكُلِّ لَا يَعْلَمُ
بَعْدَ طَهْرٍ شَيْئاً إِنَّ اللهَ عَلَيْمٌ فَدِيرٌ^(٢)**

**وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَفْرِيدٍ فَمَرَدَدَنَا أَسْفَلَ سَافِلِينَ
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مُنْتَوْنَ^(٣)**

وَمَنْ نَعِرَهُ نَسْكِنْهُ فِي الْخَنْقَى أَفَلَا يَعْقِلُونَ^(٤)

(١) المعجم : « .. أَرْذِلَ الْعُمُرِ » هو الهرم والشيخوخة وما يصاحبها من تلاشي القوة الجسمية والعقلية . ولكلبا يعلم من بعد علم شيئاً ، أي اضطراب القدرة العقلية والرجوع إلى حالة الطفولة ، فلا يعلم ما كان يعلم من قبل من الأمر . انظر شهير الهرطلي ، ج ٩ ، ص ١٢٠ ، ١٤١ ، ١٦١ ، وج ١١ ، ص ٦ - ١٣ .

(٢) التعليل : ٧٠ .
(٣) المتن : ٤ - ٦ . في تفسير الجلالين (ص ٥١٤) : « (ثُمَّ مَرَدَدَنَا) في بعض أجزاءه (أسفل سافلين) كناية عن الهرم والضعف فيتعذر على المؤمنين من زمن الشباب وبكون له أخوه لقوله تعالى (إِلَّا)
أَيْ لَكُنْ (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مُنْتَوْنَ) مقطوع . وفي الحديث : (إِذَا بلغ
المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل) .

(٤) بس : ٦٨ .

النمو الحسي للوليد :

بيت الدراسات الفسيولوجية الحديثة أن حساسية شبكته العين للضوء تكون ضعيفة عند الميلاد ، وهي تنمو حتى تصل إلى كمال نضجها الوظيفي تقريباً في نهاية العام الأول من عمر الطفل . ولا يستجيب الوليد عقب ولادته مباشرة للأصوات الشديدة ، ولكنه يبدأ منذ اليوم الثاني يتعلم تدريجياً أن يستجيب للأصوات المختلفة بضم العينين أو باللقاء رأسه إلى الوراء في حركة آلية لتجنب الأصوات الشديدة . وبسبب نقص التكوين الشبكي لدى الوليد فإن صور الأشياء لا تبدو له واضحة حتى الشهر السادس من عمره حينها يتم تكوين الشبكي في عينيه^(١) . وتحرك عين الوليد في أول الأمر في تبعيما للأشياء الساكنة أو المترددة حرکات غير متناسقة . فقد تنظر عينه إلى شيء ما ، بينما تنظر عينه البشري إلى شيء آخر مما يدل على الناظرين أن يعني الوليد حولاً . ثم تزداد بالتدریج قدرة الطفل على تحريك عينيه حرکات متناسقة ، فتتحرّك عيناه معًا في المواجه واحد عند تحدّيقه في شيء ما^(٢) .

ويبنّا لا يستطيع الوليد أن يرى الأشياء بوضوح إلا في النصف الثاني من العام الأول من عمره ، فإننا نلاحظ أنه يستجيب للأصوات الحادة العالية ، وإن كان لا يستجيب للأصوات المخافتة الضعيفة . وير أيضًا الإدراك السمعي للوليد بمراحل نمو ، فيأخذ بالتدریج يميز بين الدرجات المختلفة للأصوات المبابنة ، ثم تأخذ قدرته على التمييز السمعي تتطور تطوراً سريعاً ابتداء من السنة الثالثة بعد الميلاد حتى تصل إلى كمال نضجها بعد سن الثالثة عشر بقليل^(٣) .

وعلى ضوء هذه المعلومات التي توصلنا إليها من الدراسات الفسيولوجية الحديثة التي بيّنت أن الوليد لا يستطيع أن يرى الأشياء بوضوح في المرحلة المبكرة من عمره ، بينما يستطيع سماع الأصوات الشديدة ، تستطيع أن تفهم الحكمة في بحثي «كلمة السمع» قبل «الأبصار» في قوله تعالى :

(١) فؤاد البهيم السيد : مرجع سابق ، ص ١٢٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٢١ - ١٢٣ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٢٤ .

«وَأَنَّهُ أَتَرْجَمُكُمْ مِنْ بَطْرُونَ أَمْهِنْكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَالْأُفْيَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»^(١)

ولعلنا نستطيع أيضاً أن نفهم من نتائج الدراسات الفسيولوجية التي أشرنا إليها سابقاً ، والمتصلة بعدم تناسق حركتي العينين عند الوليد عند النظر إلى الأشياء ، فتسيراً لإشارة القرآن إلى حاسة السمع بصيغة الفرد ، بينما أشار إلى حاسة البصر بصيغة الجموع . وفضلاً عن ذلك ، فإن ذكر «الأبصار» في صيغة الجموع ، بينما يذكر «السمع» في صيغة المفرد إنما يشير إلى عدة حقائق أخرى قد سبق أن أشرنا إليها أثناء كلامنا عن «الحواس في القرآن» في الفصل الخاص «بالإدراك الحسي في القرآن» .

ويلاحظ أيضاً أن ذكر الأفئدة في الآية السابقة قد جاء بعد ذكر حاسة السمع والبصر ، ولعل ذلك لأن قدرة الطفل على الإدراك العقلي والتمييز تبدأ في الظهور في مرحلة تالية من النمو بعد أن تكون حاستا السمع والبصر وكذلك الحواس الأخرى قد بدأت في النمو من قبل .

(١) الفصل : ٧٨ .

الفصل العاشر

العلاج النفسي في القرآن

نزل القرآن الكريم أساساً هداية الناس ، ولدغتهم إلى عقيدة التوحيد ، ولتعليمهم قيمًا جديدة وأساليب جديدة من التفكير والحياة ، ولإرشادهم إلى السلوك السوي السليم الذي فيه صلاح الإنسان وغير المجتمع ، ولتوجيههم إلى الطرق الصحيحة لتربيه النفس وتنشئتها تنشئة سليمة تؤدي بها إلى بلوغ الكمال الإنساني الذي تتحقق به سعادة الإنسان في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة .

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُنَهِّيُّ الظُّمُرَى الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ إِذْ لَمْ تُمْ أَجْرًا كَبِيرًا»^(١)

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم مُّوَحِّدٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَرَشَّاقًا لَّمَّا فِي الصُّدُورِ
وَهُدُى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ»^(٢)

«وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا»^(٣)

«... قُلْ هُوَ لِلّٰهِ مَنْ آمَنَوا هُدُى وَرَشَاقًا...»^(٤)

«هَذَا بَصَرَتِهِ لِلنَّاسِ وَهُدُى وَرَحْمَةٌ لِّلْقَرْبَانِ يُوقِنُونَ»^(٥)

(١) الإسراء : ٩ .

(٢) يونس : ٥٧ .

(٣) الإسراء : ٨٢ .

(٤) فصلت : ٤٤ .

(٥) الحجّة : ٢٠ .

ولقد كان للقرآن الكريم أثر عظيم الشأن في نفوس العرب ، فقد غيرَ شخصياتهم تغييرًا تاماً ، وغيرَ أخلاقهم وسلوكياتهم وأسلوب حياتهم ، وكُونَ منهم أفراداً ذوي مبادئ ومثل وقيم إنسانية نبيلة ، وكُونَ منهم مجتمعًا متهدلاً منظماً متعاوناً ، فاستطاعوا أن يهزموا الروم والفرس أكبر دولتين في العالم في ذلك الوقت ، وانتشروا في معظم بلاد العالم ، وقاموا بنشر دعوة الإسلام فيها . إن هذا التغيير العظيم الذي أحدثه القرآن في نفوس العرب وفي نفوس جميع المؤمنين به من مختلف شعوب العالم لم يعرف التاريخ تظيراً له بين جميع الدعوات العقائدية التي ظهرت عبر عصور التاريخ المختلفة .

ولا شك أن في القرآن طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان . فهو يهز وجوداته ، ويرهف أحاسيسه ومشاعره ، ويصفل روحه ، ويوقد إدراكه وتفكيره ، ويجلب بصيرته ، فإذا بالإنسان بعد أن يتعرض لتأثير القرآن يصبح إنساناً جديداً ، كأنه خلق مخلقاً جديداً .

إن كل من يقرأ تاريخ الإسلام ، ويتابع مراحل الدعوة الإسلامية منذ أيامها الأولى ، ويرى كيف كانت تغير شخصيات الأفراد الذين كانوا يتعلمون الإسلام في مدرسة الرسول عليه صلوات الله وسلامه ، يستطيع أن يدرك إدراكاً واضحاً مدى التأثير العظيم الذي أحدثه القرآن ودعوة الإسلام في نفوسهم .

وبالرغم من الجهود الكثيرة التي تبذلها المجتمعات الحديثة في ميادين التربية والتعليم لتجيئ النشء وتعليمهم وإرشادهم لكي يكونوا مواطنين صالحين ، إلا أن هذه الجهود لم تثمر الشرة المرجوة في تكوين المواطن الصالحين . فالجرائم والاتحرافات المتناثرة في جميع المجتمعات لدليل واضح على فشل أساليب التربية الحديثة وعجزها عن تكوين المواطن الصالحين .

وقد بذلت أخيراً جهود كبيرة في ميدان العلاج النفسي للأفراد الذين يعانون من اضطرابات الشخصية والأمراض النفسية ، وظهرت في هذا الميدان أساليب مختلفة للعلاج النفسي ، غير أنها جمِيعاً لم تحقق النجاح المرجو في القضاء على الأمراض النفسية أو الوقاية منها . فقد بيَّنت بعض الدراسات أن معدلات الشفاء

بين المرضى النفسيين الذين يعالجون بطريقة التحليل النفسي تراوح بين ٦٠٪ و٦٤٪، وهي معدلات غير مرضية إذا أخذنا في اعتبارنا أن معدلات المرضى النفسيين الذين يتخلصون من أعراضهم من غير أن يتلقوا أي علاج نفسي تراوح بين ٤٤٪ و٦٦٪. أضاف إلى ذلك أن بعض المرضى كانت تسوء حالتهم بعد العلاج النفسي. وفي دراسة أخرى تبين أن المرضى النفسيين من المجموعة الصابعة التي لم يتلق أفرادها أي علاج نفسي قد أظهروا تحسناً ملحوظاً للتحسين الذي أظهره المرضى الذين عوبلجوا نفسياً. كما بينت الدراسة أيضاً أن بعض هؤلاء المرضى الذين عوبلجوا قد زادت حالتهم سوءاً^(١). وبين مثل هذه الدراسات أن معدلات الشفاء نتيجة العلاج النفسي لم تصل بعد حتى الآن إلى درجة تبعث على الرضا.

وفضلاً عن ذلك، فإنه ليس من المهم أن نقوم فقط بعلاج الأمراض النفسية بعد حدوثها، ولكن لا شك أنه يكون من الأهم والأفضل أن نعمل على الوقاية منها، ونحاول منع حدوثها، أو على الأقل نحاول أن نقلل من حدوثها على قدر الإمكان. وقد بدأ أخيراً بعض الباحثين في الاهتمام بموضوع الوقاية من السلوك المتردف، وقاموا بمحاولات للتدخل في الأزمات التي تنشأ في العلاقات الإنسانية في بعض البيئات المختلفة بهدف إيجاد حلول لهذه الأزمات تحول دون ظهور أعراض السلوك المتردف. غير أن هذه المحاولات لا تزال محدودة في مجالات ضيقة جداً كتدخل رجال الشرطة في الأزمات العائلية التي تقع في بعض الأحياء في بعض المدن الكبيرة بالمجتمع الأمريكي^(٢). ولا زال موضوع الوقاية من السلوك المتردف يمثل تحدياً كبيراً لعلماء النفس وعلماء الاجتماع، ولا تزال جهودهم في هذا المجال ضئيلة جداً.

ثم إن الاختلافات الكثيرة الموجودة الآن بين المدارس المختلفة للعلاج النفسي في نظرتها إلى طبيعة الواقع الأساسية المحركة للسلوك، وإلى طبيعة التهديدات المثيرة للقلق، والمسيبة لنشوء أعراض الأمراض النفسية والعقلية، يجعل من الصعب

(١) ريتشارد مـ. شورين : مرجع سابق ، ص ٨٩٤.

(٢) شيلتون كاشدان : علم نفس الشراذ ، ط ٢ ، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة ، ومراجعة محمد عثمان بحالي . بيروت : دار الشرق ، ١٩٨٣ ، ص ٢٢١ - ٢٢٦ .

الوصول إلى اتفاق عام بين هذه المدارس المختلفة حول نظرية متكاملة في الشخصية ونواتها ، وفي العوامل المسببة لسوء التوافق ، وفي أساليب العلاج النفسي . فكل مدرسة من هذه المدارس تنظر إلى الإنسان من زاوية معينة محددة ، ولم تستطع أن تنظر إليه نظرة كلية شاملة ، الأمر الذي جعلها عاجزة عن فهم الإنسان فيما سلباً وديقاً . ولكن يبدو أن هناك اتجاهًا جديداً بدأ يظهر أخيراً بين علماء النفس والمعالجين النفسيين يدعو إلى اهتمام أكبر بتأثير العوامل الاجتماعية والثقافية في الشخصية ، وبطبيعة الإنسان الاجتماعية وحاجاته إلى الاتّهاء ، مما جعلهم يميلون إلى التأكيد على أهمية العلاقات الإنسانية في توافق الشخصية وفي سوء توافقها . ويقول شيلدون كاشدان Sheldon Cashdan في هذا الصدد : إن «نموذج المستقبل قد يزداد تأكيداً على ما يربط بين الناس من اعتماد بعضهم على بعض . ولذلك تقول إن بعض المفاهيم من قبيل العلاقة الوثيقة ، والتبادل ، والالتزام قد تحل في آخر الأمر محل مفاهيم من قبيل الآنا الأعلى ، والشبيت ، والعصاب ، والذهان . بل إن نموذج المستقبل قد يتضمن كذلك مفهوماً جديداً ، ذلِّكم هو مفهوم الحب »^(١) . ويبدو أن هذا الاتجاه سوف يؤدي بعلماء النفس والمعالجين النفسيين في آخر الأمر إلى تبني وجهة نظر الدين ، أو على الأقل ، وجهة نظر قرية من وجهة نظر الدين في طبيعة الإنسان ، وأسباب انحرافه ، وأساليب علاجه .

وقد بدأت كذلك تظهر حديثاً المحاولات بين بعض علماء النفس تجاهي بأهمية الدين في الصحة النفسية وفي علاج الأمراض النفسية ، وترى أن في الإيمان بالله قوة خارقة تمدّ الإنسان المتشدّن بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة ، وتحبّه القلق الذي يتعرّض له كثير من الناس الذين يعيشون في هذا العصر الحديث الذي يسيطر عليه الاهتمام الكبير بالحياة المادية ، ويسوده التنافس الشديد من أجل الكسب المادي ، والذي يفتقر في الوقت نفسه إلى الغلاء الروحي ، مما سبب كثيراً من الضغط والتوتر لدى الإنسان المعاصر ، وجعله نهياً للقلق ، وعرضة للإصابة

(١) المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

بالأمراض النفسية . ومن بين من نادى بذلك من علماء النفس المعحدثين ولم يجدهم James William الفيلسوف وعالم النفس الأمريكي ، فقد قال : «إن أعظم علاج للقلق ، ولا شك ، هو الإيمان» . وقال أيضاً : «الإيمان من القوى التي لا بد من توافرها لمساعدة المرء على العيش ، وقدره نذير بالعجز عن معاناة الحياة» . وقال أيضاً : «إن بيننا وبين الله رابطة لا تفصم ، فإذا نحن أخضتنا أنفسنا لإشرافه - تعالى - تتحققت كل أمانيانا وأمالنا» . وقال أيضاً : «إن أمواج المحيط المصطحبة للتقلبات لا تذكر قط هدوء القاع العميق ولا تقلق أمنه ، وكذلك المرء الذي عمق إيمانه بالله ، خلائقه بألا تذكر حلمأيته التقلبات السطحية الموقته . فالرجل المتدبر حقاً عصيًّا على القلق ، سمحفظ أبداً بائزاته ، مستعد دائماً لمواجهة ما عسى أن يأتي به الأيام من صروف»^(١) . وقال كارل يونج Carl G. Jung المحلل النفسي : «استشارني في خلال الأعوام الثلاثين الماضية أشخاص من مختلف شعوب العالم المتحضر ، وعالجت مئات كثيرة من المرضى فلهم أجد مريضاً واحداً من مرضى الذين كانوا في النصف الثاني من عمرهم - أي جاؤوا من الخامسة والثلاثين - من لم تكن مشكلته في أساسها هي افتقاره إلى وجهة نظر دينية في الحياة . وأستطيع أن أقول إن كل واحد منهم قد وقع فريسة المرض لأنه فقد ذلك الشيء الذي تمنعه الأديان القائمة في كل عصر لأتباعها ، وأنه لم يتم شفاء أحد منهم حقيقة إلا بعد أن استعاد نظرته الدينية في الحياة»^(٢) . ويقول أ. أ. بريل A. A. Brill المحلل النفسي : «إن المرء المتدبر حقاً لا يعني قط مريضاً نفسياً»^(٣) . وذكر هنري لينك Henry Link العالم النفسي الأمريكي في كتابه «العودة إلى الإيمان» أنه وجد نتيجة خبرته الطويلة في تطبيق الاختبارات النفسية على العمال في عملية الاختيار المهني والتوجيه المهني أن الأشخاص المتدبرين والذين يتربدون على دور

(١) دليل كارل يونج : دع القلق وأبدأ الحياة ، ترجمة عبد المنعم الريادي ، طـ١ ، القاهرة : مكتبة المغامس ، ١٩٥٦ ، ص ٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ .

(٢) Carl G. Jung: *Modern Man In Search of A Soul*. London: Routledge & Kegan Paul, Ltd., 1966, p. 264.

(٣) دليل كارل يونج : مرجع سابق ، ص ٢٨٦ .

العبادة يتمتعون بشخصية أخرى وأفضل من لا دين لهم أو لا يقومون برأية عبادة^(١).

وفضلاً عن علماء النفس والملحنين النفسيين فقد أشار كثيرون من المفكرين الغربيين في العصر الحديث إلى أن أزمة الإنسان المعاصر إنما ترجع أساساً إلى افتقار الإنسان إلى الدين والقيم الروحية . فقد أشار المؤرخ أرنولد توينبي A. Toynbee إلى أن الأزمة التي يعاني منها الأوروبيون في العصر الحديث إنما ترجع في أساسها إلى الفقر الروحي ، وأن العلاج الوحيد لهذا التمزق الذي يعانون منه هو الرجوع إلى الدين^(٢).

إن للإيمان تأثيراً عظيماً في نفس الإنسان ، فهو يزيد من ثقته بنفسه ، ويزيد قدرته على الصبر وتحمل مشاق الحياة ، ويؤتى الأمان والطمأنينة في النفس ، ويعزز على راحة البال ، ويغير الإنسان بالشعور بالسعادة . كيف يفعل الإيمان ذلك بالإنسان ؟

الإيمان والشعور بالأمان :

تفق جميع مدارس العلاج النفسي على أن القلق هو السبب الرئيسي في تشوّه أعراض الأمراض النفسية ، ولكنها تختلف فيما بينها في تحديد العوامل التي تسبب القلق . وتتفق هذه المدارس أيضاً على أن الهدف الرئيسي للعلاج النفسي هو التخلص من القلق ، ويؤتى الشعور بالأمان في نفس الإنسان ، ولكنها تتبع لتحقيق هذا الهدف أساليب علاجية مختلفة . وهذه الأساليب العلاجية المختلفة لا تتجزأ دائمًا في تحقيق الشفاء التام من الأمراض النفسية ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

وكمدنا دراستنا لتاريخ الأديان ، وبخاصة تاريخ الدين الإسلامي ، بأدلة على نجاح الإيمان بالله في شفاء النفس من أمراضها ، وتحقيق الشعور بالأمان والطمأنينة ،

(١) يوسف القرضاوي : الإيمان والحياة ، ط٦ ، القاهرة : مكتبة رهبة ، ١٩٧٨ ، ص ٣٤٢ .

(٢) أنور الجندى : مذاهب العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام ، القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٧ ، ص ١٩٥ .

والوقاية من الشعور بالقلق وما قد ينشأ عنه من أمراض نفسية . وما يحدى ملاحظته أن العلاج يتخلل عادة بعد حدوث الإصابة بالمرض النفسي ، أما الإيمان بالله إذا ما بث في نفس الإنسان منذ الصغر ، فإنه يكسبه مناعة ووقاية من الإصابة بالأمراض النفسية . وقد وصف القرآن ما يحده الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن بقوله :

«الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْمِسُوا لِمَأْتِيهِمْ يُطْلَمُ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوْهُمْ مُهْتَدُونَ»^(١)
 «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطَمَّنُوا فُلُوْبِهِمْ يَرْتَجِعُ إِلَيْهِمْ أَلَّا يَرْدَعُهُمْ اللَّهُ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ»^(٢)
 «مَا أَصَابَ مِنْ مِصِيبَةٍ إِلَّا يَأْتِيَنَّ اللَّهُ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَأَلَّا يَرْكَلْ شَفْقَةً وَعَلِيمٌ»^(٣)

وتحتفق للمؤمن سكينة النفس وأمنها وطمأنيتها لأن إيمانه الصادق بالله ينبع بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته وحمائه . إن المؤمن دائم التوجه إلى الله تعالى في عبادته وفي كل ما يقوم به من أعمال اهتمامه مرضاته سبحانه وتعالى ، ولذلك فهو يشعر أن الله تعالى معه دائمًا ، وهو في عونه دائمًا . وإن شعور المؤمن بأن الله تعالى في عونه كفيل بأن يبث في نفسه الشعور بالأمن والطمأنينة^(٤) .

إن المؤمن بالله إيماناً صادقاً لا يخاف من شيء في هذه الحياة الدنيا ، فهو يعلم

(١) الأنعام : ٨٢ . أي «الذين آمنوا بالله ، ولم يغطوا إيمانهم بما يعاذه أحد سواه ، هؤلاء وجلهم هم الأحق بالطمأنينة ، وعم وحدهم للهتدون إلى طريق الحق والخير» . المتفسب في تفسير القرآن الكريم ، ص ١٨٥ .

(٢) الرعد : ٢٨ .

(٣) التغابن : ١١ . «(وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) أي ومن أصحابه صبية علم أنها بقضاء الله وقدره ، فصبر واحتب عروضه عما كانه من الدنيا حتى في قلب وبقيها صادقاً . قال ابن حماس : يعني يهد قلبه للبين ، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليحيطه فعلم أنها من عند الله ليرضى ويسلم مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٥١٠ .

(٤) يوسف القرضاوي : مرجع سابق ، ص ١١٣ - ١١٥ .

أنه لا يمكن أن يصيغ شر أو أذى إلا بمشيئة الله تعالى ، ولا يمكن لأي إنسان أو لآية قوة أخرى في هذه الحياة أن تتحقق به ضرراً أو تخぬ عن خيراً إلا بمشيئة الله تعالى . ولذلك قال المؤمن الصادق الإيمان إنسان لا يمكن أن يتسلكه الخوف أو القلق .

**وَبَلَّ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَبْرُورُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ
لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَخْزُنُونَ^(١)**

**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ أَسْتَقْدَمُوا لِتَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ الْأَنْجَلُوْرَا وَلَا
يَخْرُجُوْرَا وَأَبْشِرُوْرَا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُوْنَ^(٢) إِنَّمَا أُولَئِكُوْرَا فِي الْحَيَاةِ
الَّذِيَّا وَقِيَ الْآتِيَّةِ وَكُلُّ فِيهَا مَا تُشَرِّقُ أَنْفُسُكُوْرَا وَكُلُّ فِيهَا مَا تَدَعُونَ^(٣)
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ أَسْتَقْدَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزُنُونَ^(٤)**

والمؤمن الصادق الإيمان يعلم أيضاً أن رزقه بيده الله ، وأنه سبحانه وتعالى قد قسم الأرزاق بين الناس وقدرها ، ولذلك فهو لا يعاف الفقر . وإذا قدر الله تعالى له أن يكون قليل الرزق ، فهو راض بما قدره الله له ، فنوع بالقليل الذي لديه ، كثير الحمد والثناء لله تعالى على نعمه الأخرى الكثيرة عليه ، نعمة الحياة ، ونعمة الإيمان ، ونعمة الصحة وراحة البال . إن المؤمن الصادق الإيمان لا يعرف الخوف حول الرزق ، لأن الله جل شأنه هو الرزاق ذو القوة المتن .

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّيْنِ^(٥)

(١) البقرة : ١١٢ .

(٢) فصلت : ٣١ ، ٣٠ .

(٣) الأحزاب : ١٣ .

(٤) الباريات : ٥٨ .

وَرَفِيْقُ النَّسَاءِ رِزْقُكُوكَ وَمَا نُوعِدُونَ^(١)

وَمَا مِنْ دَائِيْرَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا^(٢)

وَكَانَ مِنْ دَائِيْرَةٍ لَا يَحْتَلُ رِزْقَهَا إِلَّا يَأْكُوكَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(٣)

اللَّهُ يَسْطِعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِيرُ^(٤)

وَالْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ الْإِيمَانُ لَا يَخَافُ الْمَوْتَ . إِنَّهُ يَتَظَرَّفُ إِلَى الْمَوْتِ نَظَرَةً وَاقِعَةً ،
فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ حَقِيقَةٌ لَا مُفْرَّغٌ مِنْهَا ، وَأَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ أَجَلًا مُحَدَّدًا ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُ
فَلَنْ يَسْتَطِعَ أَنْ يُؤْخَرَهُ .

وَكُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ^(٥)

أَبْيَنَمَا كَوْفَوْا بِدِرْكَكُوكَ الْمَوْتَ وَلَوْمَكُمْ فِي بُرُوجِ شَيْرَةِ^(٦)

إِنَّكَ مَيْتٌ وَلَأَنْتُمْ مَيْتُونَ^(٧)

وَلِكُلِّ أَيَّامٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْنِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ^(٨)

وَلَمَنْ يُؤْتَرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهُ^(٩)

(١) التاریخات : ٢٢ .

(٢) هود : ٦ .

(٣) السنکریت : ٦٠ .

(٤) الرعد : ٢٦ .

(٥) آل عمران : ١٨٥ .

(٦) النساء : ٧٨ .

(٧) الزمر : ٣٠ .

(٨) الاعراف : ٣٤ .

(٩) المناقذون : ١١ .

١٠.. وَمَا يُعْرِمُ مِنْ مُعْمَرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُورَةٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ ..^(١)

«قُلْ لَئِنْ يَنْفَعَكُمُ الظِّرَارُ إِنْ فَرَدُوكُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا يُمْتَهِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا»^(٢)

«قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّمَا مُلْقِيْكُمْ ثُمَّ تُرْدُونَ إِلَى عَلَيْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهِيدَةِ فَيُنَزِّلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»^(٣)

إن المؤمن الصادق الإيمان يعلم أنه ليس في هذه الحياة الدنيا إلا كعباً سبيلاً ، سرعان ما ينتقل إلى الحياة الآخرة الباقيه . ولذلك فهو ي العمل في حياته الدنيا على هذا الأساس ، معداً نفسه للحياة الآخرة بالإيمان بالله وعبادته والعمل الصالح . إن المؤمن الصادق الإيمان لا يخاف الموت كما يخافه معظم الناس ، إذ أنه يعلم أن الموت سيقتله إلى جوار الله سبحانه وتعالى حيث ينعم برضوانه ، ويسعد بلقاء النبيين والصديقين ، ويحظى بما وعد الله تعالى المؤمنين من نعم الجنة .

ومؤمن الصادق الإيمان لا يخاف من مصائب الدهر ، وغواصات الأيام . إنه لا يخاف أن تصيبه الأمراض ، أو تقع له الحوادث ، أو تحل به الكوارث . فهو يؤمن بالقضاء والقدر ، ويعلم حق العلم أن ما يحل بالناس من سراء أو ضراء إنما هو ابتلاء من الله تعالى ليعلم من سيحمدنه على ما يناله من سراء ، ومن سيصبر على ما يناله من ضراء . ولذلك فهو لا يجزع إذا أصابه شر ، بل يتحمل ويصبر ويحمد الله تعالى ، ويدعوه أن يرفع عنه الشر والبلاء .

(١) فاطر : ١١ .

(٢) الأحزاب : ٦٦ .

(٣) الجمعة : ٨ .

١٠.. وَتَبَلُّوْكُم بِالشَّرِّ وَأَنْتُمْ فِتْنَةٌ وَإِنَّمَا تُرْجِعُونَ^(١)

والمؤمن الصادق الإيمان لا يجرأ أحزانه ، ولا يعيش مهوماً به ذكريات الماضي ، ولا ينسى على ما قاتله ، ولذلك فهو لا يشعر بالظم الذي يقتل كاهلاً كثيراً من الناس الذين يعيشون في أحزان الماضي وألامه^(٢) ، كما أنه إذا نال خيراً لا يبطر ولا يستكبر ولا يطغى ، بل يحمد الله تعالى على ما أنعم عليه من خير .

**«مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا قَاتَلَنَفَسَكُرٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ
أَنْ تَبَرَّأُهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِسِيرٍ لِكُلِّ دُنْيَا سَوْا عَلَى مَا فَاتَكُرٌ وَلَا تَفَرُّوا
مِمَّا أَنْكَرُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَلِفٍ فَخُودُهُ^(٣)**

**«بِكُلِّهِمَا الَّذِينَ هَامُوا لَا يَكُونُوَا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَاتَلُوا لِإِخْرَاجِهِمْ إِنَّمَا ضَرَبُوا فِي
الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَأْتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ
ذَلِكَ حَسْنَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَيَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ بِصِيرٍ^(٤)**

والمؤمن الصادق الإيمان لا يشعر بالقلق الناشئ عن الإحساس اللاشعوري بالذنب ، وهو ما يعني منه كثير من المرضى النفسيين . ويرجع ذلك لعدة أسباب . فأولاً ، إن المؤمن الذي تربى منذ طفولته على التربية الإسلامية الصحيحة لا يتعرض بسهولة للإغراءات التي تدفعه إلى ارتكاب الذنب والمعاصي التي تورق خimerه ، وتشعره بالدونية وحقارة النفس ، وتجعله فريسة للشعور بالذنب وتأنيب الضمير . ثانياً ، إن المؤمن إذا أخطأ ، وهو أمر لا مفر منه ، إذ أن كل إنسان معرض للخطأ ، فإنه لا يلبث أن يندكر خطأه ويعرف به ، ويستغفِر الله تعالى على ما ارتكب من خطأ ، ويتوب إليه . وهو يعلم أن الله سبحانه وتعالى يقبل التوبة ، ويغفر الذنب .

(١) الأنبياء : ٣٥ .

(٢) يوسف القرضاوي : مرجع سابق ، ص ١١٩ - ١٢١ .

(٣) الحديدة : ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) آل عمران : ١٥٦ .

«وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ لَمْ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجْعَلُ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا»^(١)

«وَإِنَّ الْغَافِرَ لِمَنْ تَابَ وَأَمَانَ وَعَمِلَ صَالِحًا لَمْ يَهْتَدِئْ»^(٢)

«قُلْ يَدْعِيَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَنْ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْطُلُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(٣)

إن اعتراف المؤمن بذنبه ، واستغفاره لله سبحانه وتعالى ، وتوبيه إليه تحول دون محاولة إقصاء فكرة الذنب عن ذهنه تخلصاً مما تسببه له من ألم نفسي . وإن محاولة إقصاء فكرة الذنب عن الذهن تؤدي في النهاية إلى الكبت اللاشعوري لفكرة الذنب . غير أن كبت فكرة الذنب لا يقضي على الطاقة الانفعالية التي كانت مصاحبة لها ، وهي الشعور بالذنبية ، فبظهور هذه الطاقة الانفعالية بصورة قلت غامض مهم يزعج الإنسان ويسبب له كثيراً من التوتر النفسي ، فيحاول أن يختلف من حدته بالاتتجاه إلى أعراض الأمراض النفسية . وإن كثيراً من مجهد العالج النفسي في مثل هذه الحالات يتجه إلى البحث عن هذه المخبرات المؤثرة القديمة المكتوبة في اللاشعور ، ودفع المريض إلى تذكرها ومواجهتها من جديد ، وإصدار نوع من الحكم العقلي فيها بدلاً من إنكارها والتهرب من مواجهتها عن طريق الكبت . وهذا كان تذكر المؤمن للذنب ، واعترافه بها ، واستغفاره لله سبحانه وتعالى عن ارتكابه لها ، وتوبيه إليه إنما يعمل على وقايته من الكبت اللاشعوري للإحساس بالذنب ، وهو ما يسبب القلق ونشوء أعراض الأمراض النفسية .

يبين لنا مما سبق أن المؤمن الصادق الإيمان لا يختلف من الأشياء التي يخاف منها معظم الناس عادة وهي : الموت ، والفقر ، والمرض . كما أنه لا يختلف الناس ، ولا مصالب الدهر . وهو ذو قدرة كبيرة على تحمل المصائب ، لأنه يرى فيها

(١) النساء : ١١٠ .

(٢) طه : ٨٢ .

(٣) الزمر : ٥٣ .

ابتلاء من الله تعالى يجب أن يصبر عليه . وهو لا يكتب شعوره بالذنب ، بل يعترف بذلك ويستغفر الله عنها . فلا غرابة ، بعد ذلك كله ، أن يكون المؤمن الصادق الإيمان آمن النفس ، مطمئن القلب ، يغمره الشعور بالرضا وراحة البال .

**﴿مَنْ عَمِلَ مِثْلِهَا مِنْ ذَكْرٍ أَوْ أُنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنْ تُحِيطُنَّ حَيْثَةً طَيْبَةٌ
وَلَنْ تَجِدُنَّهُمْ أَبْرَمُوا يَأْخُذُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)**

إن فقدان الإيمان بالله يجعل الحياة خالية من المعنى السامي ، والقيم الإنسانية النبيلة ، ويفقد الإنسان الشعور برسالته الكبيرة في الحياة ك الخليفة لله في الأرض ، فتضيع منه الرؤية الواضحة لأهدافه الكبرى في الحياة وهي عبادة الله تعالى ، والتقرب إليه ، وبجامدة النفس في سبيل بلوغ الكمال الإنساني الذي تتحقق له به السعادة في الدنيا والآخرة . وقد شبه القرآن حالة الصراع والفقق والمحنة والضياع التي تصيب الإنسان الذي يفقد إيمانه بالله بالحالة التي يشعر بها الإنسان الذي يفتر من السماء فخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق .

**﴿.. وَمَنْ يُشْرِكُ بِإِلَهٍ فَكَانَ مَا نَعَمَ فَتَخَطَّفُهُ الظَّيْرُ أَوْ تَهُوَيْ بِهِ الْرِّيحُ
فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٢)**

ويؤكد القرآن بالقسم حالة الخسارة والضياع التي يعانيها الكافرون .

**﴿وَالْعَمَرُ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَنِي خُسْرٌ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَقَوَاصُوا بِالْحَقِّ وَقَوَاصُوا بِالْصَّيْرِ﴾^(٣)**

(١) التحل : ٩٧ .

(٢) الحج : ٢١ .

(٣) سورة المصر .

إن الإيمان بالله تعالى ، واتباع منهجه الذي رسمه للإنسان في القرآن ، وبيتهه السنة ، هو السبيل الوحيد للتخلص من الهم والقلق^(١) ، والطريق الوحيد الذي يؤدي إلى تحقيق أمن الإنسان وسعادته . وإن فقدان الإيمان بالله ، وعدم اتباع منهجه في الحياة ، يؤدي إلى الهم والقلق والشقاء .

**«فَالْأَعْيُّطَا مِنْهَا بِجِيعِهِ بِعَضُّكُورِيْعِينَ عَدُوْ فَلَمَّا يَأْتِنَّكُمْ مِنْ هُدَىٰ قَرِّنْ
أَتَبْعَ هُدَىٰ فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَسْقَنْ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَهُوَ لَهُ
مَعِيشَةٌ ضَنْكًا وَخَسْرَهُ يَوْمُ الْقِيَمَةِ أَعْنَىٰ ۝»^(٢)**

الإيمان وشعور الانتماء إلى الجماعة :
يبحث القرآن المؤمن على أن يحب إخوانه المؤمنين ، وأن يحسن إليهم ، ويمد
إليهم يد العون والمساعدة .

«إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا حَوَّلَهُمْ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَأَنْقُوا اللَّهَ لَمَلَكُرْ تَرْحُونَ ۝»^(٣)

**«وَالَّذِينَ تَبَرُّهُ الدَّارُ وَالْإِيْمَنَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْهَنَّمَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا
يَجِدُونَ فِي صَدَرِهِمْ حَاجَةً كُمَا أَوْتُوا وَلَا يُزَرُّونَ عَلَى الْفَسِيمِ وَلَوْ كَانَ يَوْمَ
خَصَامَةً وَمَنْ يُوقَنُ بِعُجُّ تَقْسِيمِهِ فَأَوْلَاهُكُمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝»^(٤)**

**«فَوَيْلٌ لِلْمُعْصِيْنَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ
هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَسْعُونَ الْمَاعُوتَ ۝»^(٥)**

(١) انظر في هذا المعنى أيضاً : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن خالب : الأخلاق والسير في مذكرة النقوس . بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٨ ، ص ١٦ ، ١٥ .

(٢) ط ٤ : ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٣) العبرات : ١٠ .

(٤) الحشر : ٩ .

(٥) الماسون : ٤ - ٧ .

ويبحث القرآن المسلمين على التعاون والتكافل وتكوين مجتمع موحد الكلمة متضامن يشعر فيه المؤمن أنه لبنة في بناء واحد متكامل .

١٠.. وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالثَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِعْجَمِ وَالْمُنْذَوَىٰ ..^(١)

وقد حرص القرآن على بث روح الجماعة في نفوس المسلمين بفرض صلاة الجمعة يوم الجمعة حيث يجتمع المسلمون في المساجد للصلوة والتعارف ، كما حث النبي عليه الصلاة والسلام على صلاة الجماعة وفضلها على الصلاة الفردية .

إن حرص القرآن على توجيه المسلمين إلى حب الآخرين ، وإلى التجمع وتوحيد الصفوف ، إنما يرمي في تقويمهم عاطفة حب الغير ، ويقوي فيهم الميل إلى الإيثار ، والعمل على خير الناس والمجتمع عامة ، ويضعف فيهم انفعالات الكراهة والبغضاء ، ودافعه القلم والمدواو ، والميل إلى حب الذات والأثرة . ولا شك أن القنطرة على حب الناس ، وإسداءه الخير لهم ، والقيام بأعمال مفيدة للمجتمع ، إنما يقوي الشعور بالانتماء إلى الجماعة ، ويقضي على مشاعر العزلة والوحدة التي يشعر بها المرضى النفسيون . إن لشعور الفرد بانتمائه إلى الجماعة ، وبيان له دوراً فعالاً في المجتمع أهمية كبيرة في الصحة النفسية للإنسان . وقد فعلن كثير من المعابدين النفسيين إلى أهمية العلاقات الإنسانية في الصحة النفسية . فقد اهتم الفرد أدلر Alfred Adler ، مثلاً ، بتوجيه مرضاه النفسيين إلى الاهتمام بالناس الآخرين ، ومحاولته التربية عنهم ، ومساعدة المحتاجين منهم ، وكان يرى أن المريض النفسي إذا اندمج في المجتمع ، وتحسنت علاقته بالناس ، فإنه يشفى من مرضه النفسي . يقول أدلر في هذا الصدد : «... وأبصري من ذرءه هذا كله أن أحول اهتمام مرضائي إلى الغير . فتتي اندمج المريض في جماعته ، وأصبح مع أفرادها على قدم المساواة يعاونهم ويساعدتهم ، فقد يرى ... وعندئلي أن أهم ما أوصي به الدين هو حب الجار وتعاونه . والشخص الذي يحجم عن معاونة غيره حقيق أن تصب عليه المتاعب والمشكلات . إن كل ما تتطلب الحياة من الفرد أن يكون عاملاً متجهاً معيلاً للناس ، فعالاً في الحب

(١) المائدة : ٤ .

والزواج^(١) . ويرى أدلر أن الإنسان يستطيع أن يتخلص من شعوره بالقلق بتفويته علاقاته بالناس المحيطين به وبالمجتمع الإنساني على وجه عام عن طريق العمل الاجتماعي النافع ومحبة الناس وصدقهم ، أي بمعنى آخر ، إذا حقق انتهاءه إلى الإنسانية^(٢) .

لا شك أن انتهاء الفرد إلى جماعة يحبونه ويحبونه ، وارتباطه بهم بعلاقات إنسانية جيدة ، إنما يعتبران من العوامل الهامة التي تساعد على تكوين شخصيته تكريباً سليماً ، وعلى تحقيق الأمن والطمأنينة في نفسه .

أسلوب القرآن في علاج النفس

لكي تستطيع أن تحدث تعديلاً أو تغييراً في شخصية إنسان ما وفي سلوكه ، فلن الضوري أن تقوم بتعديل أو تغيير أفكاره واتجاهاته ، إذ أن سلوك الإنسان يتأثر تأثيراً كبيراً بأفكاره واتجاهاته . ولذلك ، فإن العلاج النفسي يهدف أساساً إلى تغيير أفكار المرضى النفسيين عن أنفسهم ، وعن الناس ، والحياة ، والمشكلات التي عجزوا عن مواجهتها من قبل وكانت سبباً في فلسفتهم . وحينما تغير أفكار المريض النفسي نتيجة للعلاج ، فإنه يصبح أقدر على مواجهة مشكلاته وأقدر على حلها ، بل إنه غالباً ما يرى أن مشكلاته التي كانت تقلقه في الماضي والتي أدت إلى مرضه لم تكن في الحقيقة بالضخامة التي كان يتوهمها ، ولم يكن هناك في الحقيقة سبب يدعو إلى قلقه الشديد بسببيها .

وعملية التعلم هي في أساسها عملية يتم فيها تعديل وتغيير الأفكار والاتجاهات والعادات والسلوك . والعلاج النفسي هو في أساسه عملية تصحيح تعلم سابق غير سليم اكتسب فيه المريض أفكاراً خطأة أو وهمية عن نفسه وعن غيره من الناس ، وعن الحياة والمشكلات التي تجاهله وتسبب له القلق ، وتعلم أساليب معيبة

(١) عن ديل كاربنجي : مرجع سابق ، ص ٢٦٢ - ٢٦٤ .

Alfred Adler: *Understanding Human Nature*. New York: Greenberg Publishers, (٢) Inc., 1927, p. 239; Rollo May: *The Meaning of Anxiety*. New York: The Ronald Press Co., 1950, pp. 128-130.

من السلوك الدفاعي التي يهرب بها عن مواجهة مشكلاته ، ويختفف بها من حدة قلقه . ويحاول المعالج النفسي أن يصحح أفكار المريض ، ويجعله ينظر إلى نفسه ، وإلى الناس ، وإلى مشكلاته نظرة واقعية صحيحة ، وأن يواجه مشكلاته بدلاً من الهرب منها ، ويحاول حلها بدلاً من الاستمرار في حالة الصراع النفسي الناشئ عن العجز عن حلها . إن هذا التغيير في نظرية المريض النفسي إلى نفسه ، وإلى الناس ، وإلى الحياة ، يمده بالقدرة على مواجهة مشكلاته وحلها ، فيتخلص بذلك من الصراع النفسي وما يسببه له من قلق . ويتبين عن ذلك عادة شعور المريض بالنشاط والحيوية ينبعثان فيه من جديد ، ويدأب يمارس حياته الطبيعية بفاعلية ، مما يجعله يشعر بعمق الحياة ، وبالرضا النفسي ، وراحة البال ، والسعادة .

«...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا يُغَيِّرُونَ...»⁽¹⁾

ولقد نزل القرآن الكريم لتغيير أفكار الناس واتجاهاتهم وسلوكيهم ، ولهدايتهم ، وتغيير ما هم فيه من ضلاله وجهل ، وتوجيههم إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم ، ومدتهم بأفكار جديدة عن طبيعة الإنسان ورسالته في الحياة ، وبقيم وأخلاق جديدة ، ومثل عليا للحياة . وقد نجح القرآن بمحاجأ عظيمًا في التأثير في شخصيات الناس ، وفي تغييرها تغييرًا كبيرًا . كانت له نتائج بعيدة الأثر في وضع أسس جديدة لتنظيم حياة الإنسان الشخصية ، ولنظام العلاقات الإنسانية سواء في داخل الأسرة ، أو في المجتمع بعامة . وباختصار ، نجح القرآن بمحاجأ لا تظفر له بين جميع الدعوات الدينية في جميع عصور التاريخ في إحداث تغيرات عظيمة الأثر في شخصيات المسلمين ، وفي المجتمع الإسلامي . فقد نجح القرآن في فترة وجيزة من الزمن في تكوين الشخصية الإنسانية المتكاملة المترنة الآمنة المطمئنة التي استطاعت بظافتها الجبارية التي نولدت عن هذا التغيير الذي حدث فيها ، أن تهز العالم وتغير مجرى التاريخ . كيف استطاع القرآن أن يعالج نفوس العرب ، وأن يغير شخصياتهم ؟ هذا هو ما منحناه أن نتناوله فيما يلي .

(1) الرعد : ١١ .

الإيمان بعقيدة التوحيد :

إن أول شيء أراد القرآن أن يغيره في نفوس العرب هو العقيدة . ولذلك فإن آيات القرآن التي نزلت بمكة في المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية كانت تهدف أساساً إلى تأكيد عقيدة التوحيد . وكان أسلوب القرآن الفاتق في بلاغته بما لم يعهد العرب بهطله من قبل ، واستدللاًاته العقلية المقنعة فيما يعرضه من القضايا والآحكام ، وما جاء فيه من قصص وأمثال توضح المعاني وتبسطها وتقر بها إلى الأذهان ، وتثير في المستمعين الاهتمام والانتباه ، وما استخدمه القرآن من أساليب الترغيب والترهيب لإنارة الدافع إلى التعلم ، وتكرار بعض المعاني لتأكيدها في الأذهان ، وغير ذلك من مبادئ العلم التي سبق أن ذكرناها أثناء كلامنا عن التعلم في القرآن في الفصل الخامس ، كل ذلك كان له أكبر الأثر في تقبل الناس للدين الجديد ، وفي إيمانهم بعقيدة التوحيد . وقد كان الإيمان بعقيدة التوحيد هو الخطوة الأولى في إحداث تغيير كبير في الشخصية . فهو يولد في الإنسان طاقة روحية هائلة تغير مفهومه عن ذاته ، وعن الناس ، والحياة ، والكون بأكمله . إنه يمده بمعنى جديد للحياة ولرسالته فيها ، ويملاً قلبه بالحب لله وللرسول وللناس من حوله وللإنسانية عامة ، ويعث في الشعور بالأمن والطمأنينة ، كما سبق أنينا ذلك أثناء كلامنا عن الإيمان والشعور بالأمن .

التفوى :

صاحب الإيمان بالله وتبصره تقوى الله . والتقوى هي أن يقي الإنسان نفسه من غضب الله وعذابه بالابتعاد عن ارتكاب المعاصي ، والالتزام بمنع الله تعالى الذي رسمه لنا القرآن ، وبينه لنا رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فنفعل ما أمرنا الله تعالى به ، ونبعد عما نهاانا عنه .

ويتضمن مفهوم التقوى تحكم الإنسان في دوافعه وانفعالاته ، وسيطرته على ميوله وأهوائه ، ليقوم بإشاع دوافعه في الحدود التي يسمح بها الشرع فقط . ولا يتضمن مفهوم التقوى كبت الدوافع الفطرية ، بل يتضمن فقط ضبطها والتحكم فيها وإشاعها في الحدود المسموح بها شرعاً . وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك أثناء كلامنا عن ضبط الدوافع في الفصل الأول الخاص بالدوافع في القرآن .

ويتضمن مفهوم التقوى أيضاً أن يتوخى الإنسان دائماً في أعماله الحق والعدل والأمانة والصدق ، وأن يعامل الناس بالحسنى ، ويتجنب المدحون والظلم . ويتضمن مفهوم التقوى كذلك أن يؤدي الإنسان كل ما يوكل إليه من أعمال على أحسن وجه ، لأنه دائم التوجّه إلى الله تعالى في كل ما يقوم به من أعمال ابتعاده عن رضاته وثوابه . وهذا يدفع الإنسان دائماً إلى تحسين ذاته ، وتنمية قدراته وملوّماته ليؤدي عمله دائماً على أحسن وجه . إن التقوى بهذا المعنى تصبح طاقة موجهة للإنسان نحو السلوك الأفضل والأحسن ، ونحو نمو الذات ورقّها ، وتحجب السلوك السيئ والمنحرف والشاذ . وهذا يتطلب من الإنسان مجاهدة نفسه والتحكم في أهوائه وشهواته ، فيصبح هو المسيطر عليها والموجه لها . فالتفوى ، إذن ، من العوامل الرئيسية التي تؤدي إلى نضوج الشخصية وتكاملها وازماتها ، وتدفع بالإنسان إلى الارتفاع بذاته متعلماً إلى بلوغ الكمال الإنساني .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتُكُمْ كُفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ

(١) وَيَجْعَلُ لَكَ نُورًا مُّكْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝

وَيَأْكُلُ الَّذِينَ هُمْ مُنْتَهٰى لِنَفْعِهِمْ لَا يَرْجُونَ حُكْمَ رَبِّهِمْ وَلَا يَكْفُرُ عَنْهُمْ بِمَا عَلِمُوا

وَيَنْهَا لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْقُبْلَيْنِ^(١) :

وَكَتَبْلَمْ لَكُمْ أَعْنَالَكُمْ

وَيَعْلَمُ لَكُمْ ذُنُوبُكُمْ وَمَن يَعْلَمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَانَّا فَوْزًا عَظِيمًا^(٢)

وَمَنْ يَتَّقِ اللهُ يَعْصِمُهُ مِنْ أَمْرِهِ بِسْمِهِ

(١) العدد : ٢٨ . و يزوركم كثرين من رحمة ، أي ضيوف من رحمة . و يجعل لكم نوراً نتشرون به ، أي هلي يضرر به من العصى والجهالة . مختصر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٤٥٦ .

(٢) الأفال : ٢٩ . فرقاً يُعنى قدرة تصرّفون بها بين الحق والباطل . المتثبت في تفسير القرآن الكريم ، من ٢٤٧ ، المختصر في تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٩٩ .

(٣) الأحزاب : ٧١ ، ٧٠ .

٤٢) المطلاع :

العبادات :

إن تغيير الأفكار خطوة أولى وضرورية لتغير شخصية الإنسان وسلوكه ، غير أن تعلم سلوك جديد يقتضي أيضاً ممارسة هذا السلوك مدة طويلة ، أي يقتضي التدريب عليه حتى يستقر ويثبت . ولقد سبق أن أشرنا أثناء كلامنا عن التعلم في القرآن في الفصل الخامس إلى أهمية مشاركة المتعلم بطريقة فعالة في عملية التعلم ، وذكرنا التجربة التي بينت أن الأفراد الذين يرددون الكلمات المطلوب تعليمها يتعلمون أسرع من الأفراد الذين يسمعون فقط هذه الكلمات ويرونها تعرض أمامهم ولكنهم لا يرددونها . وتوضح أهمية المشاركة الفعالة أيضاً في تعلم المهارات الحركية ، والحرف المهنية المختلفة ، حيث لا يستطيع الفرد تعليمها من غير ممارسته الفعلية لها ، وتدريبه عليها .

وفي العلاج النفسي أيضاً ، لا يكفي لشفاء المريض أن يعرف حقيقة مشكلاته ، وأن تتغير أفكاره عنها ، وأن تغير نظرته إلى نفسه وإلى الحياة ، بل إنه من الضروري أيضاً أن يمر المريض النفسي بخبرات جديدة في الحياة يطبق فيها أفكاره الجديدة عن نفسه وعن الناس ، وأن يرى بنفسه كيف أن سلوكه الجديد قد حقق نجاحاً في علاقاته الإنسانية ، وأحدث تغييراً واضحاً في سلوك الناس الآخرين نحوه ، فبدأوا يظهرون نحوه قدرأً كبيراً من العواطف الإيجابية كالصداقة والودة والتقدير . وبهذه الممارسة الفعلية في الحياة للسلوك الجديد المبعث من أفكاره الجديدة ، وما تؤدي إليه من نتائج مرضية ، يحدث التغيير الكبير في شخصية المريض ، ويسير بخطى سريعة نحو الشفاء .

وقد اتبع القرآن في تربيته لشخصيات الناس ، وفي تغيير سلوكهم أسلوب العمل والممارسة الفعلية للأفكار والعادات السلوكية الجديدة التي يريد أن يفرضها في نفوسهم . ولذلك فرض الله سبحانه وتعالى العبادات المختلفة : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج . إن القيام بهذه العبادات في أوقات معينة بانتظام يعلم المؤمن الطاعة لله تعالى ، والامتثال لأوامره ، والتوجه الدائم إليه في عبودية تامة ، كما يعلمه الصبر ، وتحمل المشاق ، ومجاهدة النفس والتحكم في أهوائها وشهواتها ، كما يعلمه حب الناس ، والإحسان إليهم ، وينهي في نفسه روح التعاون والتكافل

الاجتماعي . وكل هذه خصال حميدة تميز بها الشخصية السوية الناضجة المتكاملة . ولا شك أن قيام المؤمن بهذه العبادات بالخلاص وبيان قيام إنما يؤدي إلى اكتسابه هذه الخصال الحميدة التي توفر له مقومات الصحة النفسية السليمة ، كما يعده بوقاية من الأمراض النفسية ، كما سيتضح لنا من شرحنا التالي لتأثير العبادات في شخصية المسلم .

أـ الصلاة :

يشير اسم «الصلاة» إلى أن فيها صلة بين الإنسان وربه . ففي الصلاة يقف الإنسان في خشوع وتضرع بين يدي الله سبحانه وتعالى خالقه وخالق الكون كله ، ويقف بجسمه الفسيل الضعيف أمام الإله العظيم القادر على كل شيء ، التحكم في كل ذرة في الوجود ، المدير للأمر في السموات والأرض ، الذي يديه الحياة والموت ، والموزع الأرزاق بين الناس ، والذي يتم بأمره القضاء والقدر وكل ما يصيّنا في هذه الحياة من خير أو شر . إن وقوف الإنسان في الصلاة أمام الله سبحانه وتعالى في خشوع وتضرع يعده بطاقة روحية تبعث فيه الشعور بالصفاء الروحي ، والاطمئنان القلبي ، والأمن النفسي . في الصلاة ، إذا ما أداها الإنسان كما ينبغي أن تودي ، يتوجه الإنسان بكل جوارحه وحواسه إلى الله تعالى ، وينصرف عن كل مشاغل الدنيا ومشكلاتها ، ولا يفكر في شيء إلا في الله سبحانه وتعالى ، وما يردده من آيات القرآن . إن هذا الانصراف التام عن مشكلات الحياة وهو منها ، وعدم التركيز فيها أثناء الصلاة ، ووقوفه أمام ربِّه في خشوع تام من شأنه أن يبعث في الإنسان حالة من الاسترخاء التام^(١) ، وهدوء النفس ، وراحة العقل . وهذه الحالة من الاسترخاء والهدوء النفسي التي تحدثها الصلاة أثرها الملابسي الشام في تخفيف حدة التوترات العصبية الناشئة عن ضغوط الحياة اليومية ، وفي خفض القلق الذي يعاني منه بعض الناس . يقول الطبيب توماس هايسلوب : «إن أهم مقومات النوم التي

(١) انظر في هذا أيضاً : حمال ماضي أبو الزائم : مرجع سابق ، وأسامه محمد الراضي : الإسلام وأمراض مصر . ثورة علم النفس والإسلام ، كلية التربية بجامعة الرياضة (مطبع حل الآلة الكاتبة) ، المجلد الأول ، ١٩٧٨ .

عرفتها في خلال سنتين طويلة قضيتها في الخبرة والتجارب هو الصلاة . وأنا أتفى هذا القول بوصفني طيباً ، إن الصلاة أهم أداة عرفت حتى الآن لبث الطمأنينة في النفوس ، وبث المدحه في الأعصاب »^(١) .

إن الاسترخاء من الوسائل التي يستخدمها بعض المعالجين التفسين المحدثين في علاج الأمراض النفسية . والاسترخاء عادة يمكن أن يتعلمه الإنسان بالتدريب . وتمدنا الصلاة خمس مرات في اليوم بأحسن نظام للتدريب على الاسترخاء وتعلمها . وإذا تعلم الإنسان عادة الاسترخاء ، فإنه يستطيع أن يتخلص من التوتر العصبي الذي تسببه ضغوط الحياة وهمومها . وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول لبلال رضي الله عنه حين تمنى أروقات الصلاة : « يا بلال أرجوك بالصلاحة »^(٢) . وفي الحديث : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حَزَّهُ أمر صلٍ »^(٣) . وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « ... جعلت قرة عيني في الصلاة »^(٤) .

وتساعد حالة الاسترخاء والهدوء النفسي التي تحدّثها الصلاة على التخلص أيضاً من القلق الذي يشكو منه المرضى النفسيون . فإن حالة الاسترخاء والهدوء النفسي التي تحدّثها الصلاة تستمر عادة فترة ما بعد الانتهاء من الصلاة . وقد يواجه الإنسان وهو في هذه الحالة من الاسترخاء والهدوء النفسي بعض الأمور أو المواقف المثيرة للقلق ، أو قد يتذكرها . وتكرار تعرض الفرد لهذه الأمور أو المواقف المثيرة للقلق أو تذكره لها أثناء وجود هذه الحالة من الاسترخاء والهدوء النفسي عقب الصلوات إنما يؤدي إلى « الانفظاء » التدريجي للقلق ، وإلى ارتباط هذه الأمور أو المواقف المثيرة للقلق بحالة الاسترخاء والهدوء النفسي ، وبذلك يتخلص الفرد من القلق الذي كانت تثيره هذه الأمور أو المواقف .

إن هذا الأثر الهام للصلاة في علاج القلق يماثل الأثر الذي يحدّثه أسلوب

(١) دليل كاريبيجي : مرجع سابق ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٢) رواه أنس بن مالك بن أبي الجند عن رجل من أسلم ، ج ٥ ، ص ٣٦٤ ، ٣٧١ .

(٣) رواه أبو داود ، الحديث رقم ١٣١٩ ، ج ٢ ، ص ٤٥ .

(٤) رواه النسائي وأبي داود والحاكم (مسنون على ناصف) : صحيح الم箭ع للأصول في أحاديث الرسول ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .

العلاج النفسي الذي يتبعه بعض المعالجين النفسيين السلوكيين المحدثين في علاج القلق . إن هؤلاء المعالجين النفسيين ، مثل جوزيف ولبي ، يتبعون في علاج القلق أسلوباً يعرف بالكاف المتبادل^(١) ، ويطلق عليه أيضاً « العلاج الاسترخائي » ، أو « العلاج بالقليل من الحساسية الانفعالية » . وفي هذا الأسلوب من العلاج يقوم المعالج أولاً بتدريب المريض النفسي على الاسترخاء العميق ، وفي أثناء وجود المريض في حالة الاسترخاء ، يطلب منه المعالج أن يتصور شيئاً من الأشياء المثيرة لقلقها . ويتبع المعالج في ذلك نظاماً معيناً يتيحه للأشياء المثيرة للقلق الخفيف ، متدرجأ إلى الأشياء المثيرة للقلق الشديد . فإذا ظهر على المريض القلق حينما يتصور شيئاً من الأشياء التي تثير قلقه ، طلب المعالج من المريض إبعاد هذا الشيء من ذهنه ، وطلب منه أن يعود مرة أخرى إلى حالة الاسترخاء . وبعد أن يهدأ المريض ويعود إلى إلى حالة الاسترخاء يطلب منه مرة أخرى تصور هذا الشيء المثير للقلق . ويستمر العلاج بهذا الأسلوب حتى يستطيع المريض أن يتصور هذا الشيء مع وجود حالة الاسترخاء بدون أن يشعر بالقلق . ثم يتقلل المريض بعد ذلك إلى تصور شيء آخر يثير فيه درجة أقل من القلق ، وذلك أثناء وجوده في حالة الاسترخاء . وهكذا يستمر العلاج حتى يتخلص المريض من قلقه تماماً . إن الأسلوب الذي اتبعه ولبي وغيره من المعالجين النفسيين السلوكيين يعتمد أساساً على مبادئ الإشراط^(٢) ، وفيه يحاول المعالج أن يربط بين المواقف المثيرة للقلق وبين استجابة معارضة للقلق ، وهي الاسترخاء^(٣) .

ومن الواضح وجه الشبه بين أسلوب العلاج النفسي الذي يتبعه المعالجون النفسيون السلوكيون وبين الأثر العلاجي الذي تحدثه الصلاة . فيان تكرار اقتران حالة

Reciprocal inhibition (١)

Conditioning (٢)

(١) ديفيد م . شرين : مرجع سابق ، ص ٨٤٦ - ٨٥١

روبرت هاربر . التحليل النفسي والعلاج النفسي . ترجمة سعد جلال . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ١٦١ - ١٦٧

شيلتون كاشدان : مرجع سابق ، ص ٢٢٢ - ٢٣٠

جوليان روت : مرجع سابق ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

الاسترخاء والمدحوم النفسي التي تحدثنا الصلاة - والتي تستمر عادة فترة ما بعد الاتهاء من الصلاة - بالمواصف المثيرة لقلقه ، إما بمواجهتها فعلياً في الحياة أو بشذكراها ، إنما يؤدي في النهاية إلى تكوين ارتباطات شرطية جديدة بين هذه المواقف وبين استجابة الاسترخاء والمدحوم النفسي التي تحدثها الصلاة ، وهي استجابة معارضة لاستجابة القلق . وبذلك يتخلص الإنسان من القلق . وهذا هو نفس الأسلوب الذي يستخدمه المعالجون النفسيون السلوكيون في علاج القلق ، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً .

ويقوم الإنسان عقب الصلاة مباشرة بالتسبيح والدعاة إلى الله تعالى ، وهذا يساعد على استمرار حالة الاسترخاء والمدحوم النفسي لفترة ما عقب الصلاة . وفي الدعاء يقوم الإنسان بمناجاة ربه ، وبيت إليه ما يشكوه وما يعانيه في حياته من مشكلات تزعجه وتقلقها ، ويطلب منه أن يعينه على حل مشكلاته وقضاء حاجاته . إن مجرد تعبير الإنسان عن مشكلاته التي تزعجه وتقلقها وهو في هذه الحالة من الاسترخاء والمدحوم النفسي يؤدي أيضاً إلى التخلص من القلق ، بنفس الأسلوب الذي شرحناه سابقاً ، وهو تكوين ارتباط شرطي جديد بين هذه المشكلات وحالة الاسترخاء والمدحوم النفسي ، فتفقد هذه المشكلات قدرتها على إثارة القلق تدريجياً ، وترتبط ارتباطاً شرطياً بحالة الاسترخاء والمدحوم النفسي ، وهي حالة معارضة للقلق .

وفضلاً عن ذلك ، فإن مجرد إفشاء الإنسان بمشكلاته وهموه والتغيير عنها إلى شخص آخر يسبب له راحه نفسية . ومن المعروف بين المعالجين النفسيين أن تذكر المريض النفسي مشكلاته وتحديثه عنها يؤدي إلى تخفيف حدة قلقه . وإذا كانت حالة الإنسان النفسية تحسن إذا أفضى الإنسان بمشكلاته لصديق حميم ، أو لمعالج نفسي ، فما بذلك يقدار التحسن الذي يمكن أن يطرأ على الإنسان إذا أفضى بمشكلاته لله سبحانه وتعالى ، وقام عقب كل صلاة بمناجاة ربه ، ودعائه ، والاستعانة به ، وطلب العون منه .

أصف إلى ذلك أن مجرد الدعاء إلى الله تعالى والانصراع إليه يؤدي إلى تخفيف حدة القلق من ناحية أخرى . وذلك لأن المؤمن يعلم أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم :

وَقَالَ رَبُّكُمْ أَذْهَرْتِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ..^(١)

وَإِذَا سَأَلْتَ عِبَادِي عَنِّي قُلْتِي قَرِيبٌ أَبْجِبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَنِ ..^(٢)

ولذلك كان الدعاء لله تعالى يساعد على تخفيف حدة القلق ، حيث يأمل المؤمن في استجابة الله تعالى له في حل مشكلاته ، وقضاء حاجاته ، ورفع المهم والقلق عنه . وبصرف النظر عن كون الله تعالى قد استجاب فعلاً لدعاء الإنسان أو لم يستجب ، فإن مجرد التوجه إلى الله تعالى بالدعاء ، وأمل الإنسان في استجابة الله تعالى له ، يؤدي - من طريق الإيمان الشفائي باحتفال استجابة الله تعالى لدعائه - إلى تخفيف حدة قلقه .

ومن المعروف أن القلق ينشأ عن عجز الإنسان عن حل صراعاته النفسية . والصراع النفسي يستذلك جزءاً كبيراً من الطاقة النفسية للإنسان . ولذلك ، كان المرضى النفسيون عاجزين عن التعبير عن قدراتهم وإمكاناتهم تعبيراً صحيحاً بسبب صراعاتهم النفسية التي تستذلك طاقتهم ، وتقطع قدراتهم وإمكاناتهم . وحينما يتم علاجهم ، وتتحرر طاقتهم النفسية من قيود صراعاتهم النفسية ، فإنهم يظهرون في العادة كثيراً من الحيوية والنشاط ، وتزداد قدرتهم على العمل والإنتاج .

ويلاحظ أن الصلاة تؤدي إلى نفس النتيجة التي يؤدي إليها العلاج النفسي الناجح . فإن ما تحدثه الصلاة من شعر بالأمن وتحرر من القلق يساعد على انتلاق طاقة الإنسان النفسية التي كانت مقيدة في أغلال القلق ، فيشعر الإنسان بتدفق النشاط والحيوية في كيانه .

غير أن أثر الصلاة يفوق كثيراً أثر العلاج النفسي من ناحية أخرى . فضلاً عن تحرر طاقة الإنسان النفسية من قيود القلق ، فإن الاتصال الروحي بين الإنسان وربه أثناء الصلاة يمده بطاقة روحية تجدد فيه الأمل ، وتقويه فيه العزم ، وتطلق في

(١) غافر : ٦٠ .

(٢) البقرة : ١٨٦ .

نفسه قدرات هائلة تمكنه من تحمل المشاق والقيام بجملات الأعمال . وفي الواقع ، إن الإنسان يتضمن في كيانه قوى وطاقات عظيمة لا يستخدم منها عادة إلا جزءاً صغيراً . يقول وليم جيمس في هذا الصدد : «إذا قست أنسنة إلى ما يجب أن تكون عليه ، يتضح لنا أنها أنساف أحياء . فإننا لا نستخدم إلا جانباً يسيراً من مواردنا الجسدية والذهنية ، أو بمعنى آخر ، إن الفرد منا يعيش في حدود ضيق يحيط بها داخل حدوده الحقيقة . إنه يمتلك قوى كبيرة مختلفة ، ولكنه عادة لا يفطن إليها ، أو يتحقق في استخدامها»^(١) . ولعل اتصال الإنسان الروحي بربه أثناء الصلوة ، وتقبله منه تعالى نوعاً من الفيض الإلهي أو القيس الروحاني إنما يطلق فيه طاقاته الروحية الكامنة ، فيشتد عزمه ، وتقوى إرادته ، وتعلو همة ، فيصبح أكثر استعداداً لقبول العلم والمعرفة ، وأكثر قدرة على القيام بجمل الأعمال . وقد لاحظ الطبيب الفرنسي الكيس كاريل أن الصلوة تحدث نشاطاً روحياً معيناً يمكن أن يؤدي إلى الشفاء السريع لبعض المرضى في أماكن العج والعبادات^(٢) . وقد رد سيرل بيرت عالم النفس الإنجليزي فيما بعد رأى وليم جيمس في تأثير الصلوة فقال إننا بالصلوة نستطيع أن «نلتح بباب ذخيرة كبيرة من النشاط العقلي لا نستطيع إليها وصولاً في الظروف العادبة ، ولقد كانت هذه فكرة واحدة من أشهر علماء النفس .. وليم جيمس»^(٣) .

وبالإضافة إلى كل ذلك ، فإن لصلة الجماعة أثراً علاجياً هاماً . فتردد الفرد على المسجد لصلة الجماعة يتبع له فرصة التعرف بغيره و بكثير من الأفراد الآخرين من يسكنون في نفس الحي الذي يسكن فيه ، مما يساعد على تفاعله مع الناس الآخرين ، وعلى تكوين علاقات اجتماعية سليمة ، وعلاقات صداقة ومودة معهم . إن مثل هذه العلاقات الاجتماعية وعلاقات الصداقة والودة

(١) ديل كاريليني : مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

(٢) الكيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول ، ط ٣ . ترجمة شقيق أسد فريد ، بيروت : مكتبة المعرف ، ١٩٨٠ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٣) سيرل بيرت : علم النفس النبوي . ترجمة سمير عبد . دمشق : دار دمشق للطباعة والنشر (د . ت) ، ص ٢١ .

مع الآخرين يساعد على نمو شخصية الفرد ، وعلى نضجه الانفعالي ، كما يشجع حاجته إلى الانتهاء الاجتماعي والتقبل الاجتماعي مما يؤدي إلى الوقاية من القلق الذي يعاني منه بعض الناس نتيجة شعورهم بالوحدة والعزلة وعدم الانتهاء إلى الجماعة ، أو شعورهم بعدم تقبل الجماعة لهم .

وتؤدي صلاة الجمعة دوراً علاجياً هاماً ، حيث يستمع فيها المصلون إلى خطبة الجمعة التي يناقش فيها الإمام عادة بعض المشكلات الاجتماعية والحياتية التي يعاني منها الناس ، ويقوم بشرح أسبابها وطرق علاجها . وقد يتناول بعض أنواع السلوك الشاذ والمنحرف ، ويشرح أسبابها ، وبين وسائل التغلب عليها . ولا شك أن المصلين يغبون كثيراً من الاستماع إلى مثل هذه الخطب التي تتناول مشكلاتهم الاجتماعية والشخصية بالشرح ، والتي تندهم بكثير من النصائح والإرشادات عن كيفية مواجهة مشكلاتهم والتغلب عليها ، وعن أساليب السلوك السليم الذي يحقق لفرد الأمن النفسي وراحة البال .

إن صلاة الجمعة تقوم ، في الواقع ، بدور وقائي ودور علاجي في نفس الوقت . أما دورها الوقائي فيرجع إلى أنها تمد الفرد ، إذا ما داوم على صلاة الجمعة منذ صغره ، بأنواع من المعلومات الدينية ، والإرشادات العملية التي توجه سلوكه في الحياة توجيهًا سليماً ، وتزيد من قدرته على مواجهة مشكلات الحياة . أما دورها العلاجي فيرجع إلى التأثير الذي تحدثه خطب صلاة الجمعة في زيادة استهصار الفرد للذاته ولما يعانيه من بعض مشكلات الحياة ، وفي تقوية إرادته على مواجهتها ومقاومتها والتغلب عليها . وقد يلتجأ بعض الأفراد إلى التحدث مع الإمام بعد الانتهاء من الصلاة عما يعانون من مشكلات ، وقد يجدون في نصائح الإمام ما يخفف حدة قلقهم ويوجههم إلى الطريق السليم للتغلب على مشكلاتهم . إن الدور الذي تقوم به صلاة الجمعة بعامة ، وصلاة الجمعة بخاصة ، في تقويم شخصية الأفراد وعلاجها إنما يشبه إلى حد ما الدور الذي يقوم به العلاج النفسي الجماعي . وقد قام كلاً بغان Klapman وأخرون حديثاً بنوع من العلاج النفسي الجماعي التعليمي⁽¹⁾

(1) روبرت هاربر: التحليل النفسي والعلاج النفسي مرجع سابق ، ٢١٠ ، ٢٠٩ .

الذي يعتمد أساساً على مادة المحاضرات لزيادة استبصار المرضى لمشكلاتهم ولأنواع الصراع النفسي التي يعانونها ، وعملياتهم الدفاعية التي يقومون بها ، وما إلى ذلك من المعلومات التي يحتاج إليها المرضى النفسيون لمساعدتهم على التغلب على مشكلاتهم . ومن الواضح أن هذا النوع الحديث من العلاج النفسي الجماعي التعليمي إنما يشبه في أساسه الدور الذي تقوم به خطبة صلاة الجمعة^(١) في علاج بعض المشكلات النفسية الخفيفة الناشئة عن ضغوط الحياة ، أو في الوقاية منها .

وما يعذر أن نلاحظه أن العلاج النفسي يتدخل عادة لمساعدة المريض بعد حدوث المرض النفسي . غير أن الصلاة بعامة ، وصلاة الجمعة بخاصة ، إنما تعمل على وقاية الفرد من الإصابة بالمرض النفسي . ولا شك أن الوقاية خير من العلاج . ولذلك كان فضل الصلاة من هذه الناحية عظيماً . وقد بدأ أخيراً بعض علماء النفس يهتمون بموضوع الوقاية من المرض النفسي كما سبق أن أشرت إلى ذلك من قبل .

ثم إن الموضوع استعداداً للصلوة ليس تطهيراً للجسم فقط مما علق به من أوساخ وأدران ، وإنما هو أيضاً تطهير للنفس من أوساخها وأدرانها . فال موضوع ، إذا ما أديّ كما ينبغي ، يشعر المؤمن بالنظافة البدنية والتفسية معاً ، ويشعره أنه تطهر من أدران أخطائه وذنوبه . وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إذا توضاً العبد المسلم ، أو المؤمن ، غسل وجهه خرج من وجهه كل خطيبة نظر إليها بيته مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يده خرج من يديه كل خطيبة كانت بطيتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجله خرجت كل خطيبة مشتبها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى

(١) يلاحظ أن خطبة الجمعة قد لا تؤدي الآن في أغلب الأوقات الدور الذي وصفناه هنا في الوقاية من اضطرابات السلوك أو علاجها . ويرجع ذلك إلى عدم الإعداد الكافي لكتير من المساجد للقيام بهذا الدور . ومن الضروري أن يعاد النظر في خطبة إعداد أمينة المساجد بحيث يراهن أن تكون لديهم النظافة العامة والتفسية الكافية للقيام بذلك كموجهين ومرشدين للناس لا في الواسع الديبة فحسب ، وإنما أيضاً في كثير من نواحي حياتهم الاجتماعية والشخصية .

يخرج نقياً من الذنوب^(١) . وإن هذا الشعور بالطهارة البدنية والنفسية يعني الإنسان للاتصال الروحي بالله سبحانه وتعالى ، والدخول في حالة الاسترخاء الجسدي والنفسي أثناء الصلاة .

وفضلاً عن هذا التأثير النفسي للوضوء ، فإن له أيضاً تأثيراً فسيولوجياً أشار إليه من قبل بعض الكتاب والأطباء^(٢) ، إذ بين أن الاغتسال بالماء خمس مرات يومياً وعلى فترات مماثلة من العمل اليومي إنما يساعد على استرخاء العضلات ، وتحقيق سهولة التوتر البدني والنفسي . ولذلك أوصى النبي عليهما الصلاة والسلام بالوضوء إذا غضب الإنسان ، فقد قال عليهما الصلاة والسلام : «إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليغسل^(٣) ، رواه أبو داود^(٤) .

بـ الصيام :

والصيام فوائد نفسية كثيرة ، ففيه تريرية ونهلية للنفس وعلاج لكثير من أمراض النفس والجسم . فالإمساك عن الطعام والشراب من قبل النجس إلى غروب الشمس في جميع أيام شهر رمضان ، إنما هو تدريب للإنسان على مقاومة شهواته والسيطرة عليها ، ويؤدي ذلك إلى بث روح القوى فيه .

**وَيَنْهَا الَّذِينَ آتَمُوا أَكْبَرَ طَبِيعَتِ الصِّيَامُ كَمَا كُبِّلَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ^(٥)
لَعْلَكُمْ تَتَفَقَّدُونَ^(٦)**

أي «لعلكم تتذرون العاصي فإنه يكسر الشهوة التي هي بمذوها»^(٧) . وفي الحديث الشريف ، رواه البخاري وأبو داود عن أبي هريرة : «الصيام جنة»^(٨) ، فإذا كان أحدكم صائمًا ، فلا يرفث ، ولا يجهل ، فإن أمره قائله ، أو شائعه غليظ : إلى صائم

(١) الحديث رقم ١٢١ ، مختصر صحيح مسلم .

(٢) جمال ماضي أبو العزائم : مرجع سابق ، أسماء محمد الرامي : مرجع سابق .

(٣) الحديث رقم ٧٨٤ من سن أبي داود ، ج ٣ ، ص ٤٤٩ .

(٤) البقرة : ١٨٣ .

(٥) تفسير الجلالين ، ص ٢٥ .

(٦) أي مانع من العاصي .

مرتين ، والذى نفس محمد بيده ، مخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح الملك ، يترك طعامه وشرابه وشهواته من أجل ، الصيام لـ ، وأنا أجزى به ، والحسنة بعشرة أمثالها^(١) .

إن استمرار هذا التدريب على خبطة الشهوات والسيطرة عليها مدة شهر كل عام ، لا شك سيؤدي إلى تعلم الإنسان قوة الإرادة ، وصلابة العزيمة ، لا في التحكم في شهواته فقط ، وإنما في سلوكه العام في الحياة ، وفي القيام بمسؤولياته ، وأداء واجباته ، ومراعاة الله تعالى في كل ما يقوم به من أعمال . وفي ذلك أيضاً تربية لضمير الإنسان ، فيصبح الإنسان ملتزمًا دائمًا بالسلوك الحسن الأمين بوازع من ضميره من غير حاجة إلى رقابة من أحد عليه .

وفي الصيام أيضاً تدريب للإنسان على الصبر على الجوع والعطش والامتناع عن الشهوات . ويقوم الإنسان بعد ذلك بتعميم خصلة الصبر التي تعلمتها من صيامه على جميع نواحي حياته الأخرى ، فيتعلم الصبر على تحمل مشاق السعي وراء الرزق ، وألم المرض ، ومتاعب الحياة ومصائبها . والصبر من الخصال الإنسانية الحميدة التي أوصى الله تعالى الإنسان أن يتخلق بها ، فهي خير معين له على تحمل مشاق الكفاح في الحياة ، وبمحاهدة النفس ، ومقاومة أهوائها وشهواتها ، كما سنوضح ذلك فيما بعد أثناء كلامنا عن الصبر .

ومن الفوائد النفسية للصيام أيضاً أنه يشعر الفقير بالآلام الجوع ، ويعيث في نفسه عواطف الرحمة والشفقة على الفقراء والمساكين ، فيدفعه ذلك إلى البر بهم والإحسان إليهم مما يقوى في المجتمع روح التعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي .

وفضلاً عن هذه الفوائد النفسية للصيام ، فإن فيه أيضاً فوائد طبية وعلاجية من الأمراض البدنية . ومن المعروف أن لصحة الإنسان البدنية تأثيراً في صحة النفسية ، ومن الحكم الشائعة : « إن العقل السليم في الجسم السليم » .

(١) السيد حافظ ، هذه السنة ، الجلد الأول . بيروت : دار الكتاب العربي (د . ت) ، من ٤٢١ ودالك ، الفحش في القول ، ولا يجهل ، أى لا يسمى . المخلوف : ثقب راتحة الفم بسبب الصوم .

جـ - الزكاة :

وفريضة الزكاة التي تفرض على المسلم إخراج نصيب معلوم من ماله كل عام لإنفاقه على الفقراء إنما هي تدريب للمسلم على المطاف على المحاججين من الناس ، ومد يد العون إليهم ومساعدتهم على سد حاجاتهم الضرورية . إنها تقوى في المسلم الشعور بالمشاركة الوجدانية مع الفقراء والمساكين ، وتبث فيه الشعور بالمسؤولية نحوهم ، وتدفعه إلى العمل على إسعادهم والتربية عليهم . إنها تعلم المسلم حب الآخرين ، وتحلله من الأنانية وحب الذات والبخل والطمع . وقد سبق أن أشرنا إلى أن قدرة الفرد على حب الناس وإسداء الخير إليهم والعمل على إسعادهم يقوى فيه الشعور بالانتماء الاجتماعي ، ويشعره بدوره الفعال المفيد في المجتمع ، مما يجعله يشعر بالرضا عن نفسه ، وهو أمر له أهمية كبيرة في صحة الإنسان النفسية . وقد قال القرآن عن الصدقة ، سواء كانت زكاة مفروضة أو نطوعاً ، إنها تطهر النفس وتركتها :

﴿ خَذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتَرْكِيهِمْ يَهْبَطُ ﴾^(١)

فالزكاة تطهر النفس من دنس البخل والطمع والأثرة وحب الذات والقصوة على الفقراء . وهي تركي النفس ، وأي تنبئها وترفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية ، حتى تكون بها أهلاً للسعادة الدنيوية والآخرية^(٢) . وروى أحمد عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل من نعم سنته كيف ينفق ماله : « تخرج الزكاة من مالك فإنها طهارة تطهيرك ، وتصل أقربائك ، وتعرف حق المسكين والجار والسائل »^(٣) .

دـ - الحج :

والحج أيضاً فوائد نفسية عظيمة الشأن . فزيارة المسلم لبيت الله الحرام في

(١) التوبه : ١٠٣ .

(٢) السيد سابق : مرجع سابق ، ص ٣٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

مكة المكرمة ، ولمسجد رسول الله عليه الصلوة والسلام في المدينة المنورة ، ولمنازل الوحي ، وأماكن البطولات الإسلامية تمد المسلم بطاقه روحية عظيمة تربى عنده كروب الحياة وهمومها ، وتغمره بشعور عظيم من الأمان والطمأنينة والسعادة .

وفضلاً عن ذلك ، فإن في الحج تدريباً للإنسان على تحمل المشاق والتعب ، وعلى التواضع حيث يخلع الإنسان ملابسه الفاخرة ويرتدي ملابس الحج البسيطة التي يتساوى فيها جميع الناس الفقير والفقير ، والسيد والمسود ، والحاكم والمحكوم . وهو يقوي روابط الأخوة بين جميع المسلمين من مختلف الأجناس والأمم والطبقات الاجتماعية ، حيث يجتمعون جميعاً في مكان واحد يعبدون الله تعالى ويتهنون إليه ويتضرعون . ويبين هذا التجمع المائلي للمسلمين من مختلف الشعوب الإسلامية فرص التألف والتعرف وتكون العلاقات والصداقات بينهم .

وفي الحج أيضاً تدريب للإنسان على ضبط النفس والتحكم في شهواتها واندفاعاتها ، إذ يتزه الحاج وهو محرم عن مباشرة النساء ، وعن الجدل والخصام والشحنه والسباب ، وعن المعاصي وكل ما نهى الله تعالى عنه ، وفي ذلك تدريب للإنسان على ضبط النفس ، وعلى السلوك المهذب ، وعلى معاملة الناس بالحسنى ، وعلى فعل الخير .

وَالْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَتُ فَمَنْ قَرَضَ فِينَ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا
رِجَالَ فِي الْحَجَّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَزَرُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الرِّزْدِ
الْتَّقَوْيَ وَأَنْتُوْنَ يَكْتُوْلِي الْأَلْتَبِ⁽¹⁾

فالحج ، على هذا الأساس ، هو جهاد للنفس ، يجتهد فيه الإنسان أن يهذب نفسه ، ويقاوم أهواءه واندفاعاته ، ويدرب نفسه على تحمل المشاق ، وعلى فعل الخير وحب الناس . عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى النبي عليه

(1) القراءة : ١٩٧ .

الصلوة والسلام فقال : إني جبار ، وإنني ضعيف ، فقال : « هلم إلى جهاد لا شوكة فيه : الحج »^(١).

ويعلم المسلم أن الحج المبرور يغفر الذنب ، ويرجع المسلم من الحج كريم ولدته أمه . ففي الحديث عن أبي هريرة : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كريم ولدته أمه »^(٢) . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنها يتضمنان الفقر والمذنب كما ينفي الكبير »^(٣) حيث (٤) الحديد والذهب والفضة . وليس للحجارة المبرورة ثواب إلا الجنة » ، رواه النسائي والترمذى^(٥) . ولا شك أن معرفة المسلم أن الحج المبرور يغفر الذنب يجعل الحاج يعود من حجه مبشرًا ، يشعره الشعور بالأمن والطمأنينة وراحة البال . وينتهي هذا الشعور الغامر بالسعادة والأمن بطاقة روحية هائلة تشهي هموم الحياة ومتاعبها ، وما تؤدي إليه من توقيرات عصبية وقلق .

الصبر :

يدعو القرآن المؤمنين إلى التحلي بالصبر لما فيه من فائدة عظيمة في تربية النفس ، وتقوية الشخصية ، وزيادة قدرة الإنسان على تحمل المشاق ، وتجديد طاقته لمواجهة مشكلات الحياة وأعبائها ، ونكبات الدهر ومصالبه ، ولتعزيز قدراته لمواصلة الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى .

« وَاسْتَعِنُوا بِالصَّابِرَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ لَا أَعْلَمُ أَنْتُمْ بِهَا مُتَّسِعُونَ »^(٦)

« يَنْأَيْهَا الَّذِينَ كَانُوا أَسْتَعِنُوا بِالصَّابِرَةِ وَالصَّلَوةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ »^(٧)

(١) رواه عبد الرزاق ، والطبراني . (السيد سابق : مرجع سابق ، ص ٦٦٦) .

(٢) رواه البيهقي ومسلم (السيد سابق ، مرجع سابق ، ص ٦٦٦) .

(٣) الآلة التي يفتح بها الحداد والصانع النار .

(٤) خبرت أى وسمح .

(٥) السيد سابق : مرجع سابق ، ص ٦٦٦ ، ٦٦٧ .

(٦) البقرة : ٤٥ .

(٧) البقرة : ١٥٣ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَرَأَيْتُمُوا أَنْفُرَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)

والمؤمن الصابر لا يجزع لما يلحق به من أذى ، ولا يضعف أو ينهار إذا ألمت به مصائب الدهر وكوارثه ، فلقد وصاه الله تعالى بالصبر ، وعلمه أن ما يصبه في الحياة الدنيا إنما هو ابتلاء من الله تعالى لعلم الصابرين هنا .

﴿وَلَنَبْلُونَكُمْ حَتَّى تَعْلَمُ الْمُجْهِيدِينَ إِنْكَرُوا الصَّابِرِينَ وَنَبْلُونَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(٢)

﴿وَلَنَبْلُونَكُمْ بَشَّى وَمِنَ الْكُوْفَ وَالْمُشْرِقِ وَالْمُغْرِبِ مِنَ الْأَمْسَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَكَاتِ وَرَبِّيْرَ الصَّابِرِينَ ﴿الَّذِينَ إِذَا أُسْبَطُوهُمْ مُصِيبَةً قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِحُونَ ﴾ أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُهَدِّدُونَ﴾^(٣)

﴿لَتُبَلَّوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قِبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَفْرَكُوكُمْ أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَعْصِمُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٤)

والصبر من صفات المؤمنين الحميدة التي أشاد بها القرآن في أكثر من موضع .

﴿... وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ فَكُوكَ رَقَبَةٍ أَوْ إِلْمَعْدَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي سَفَرَةٍ ﴿يَنِيَا ذَا مَقْرَبَةِ﴾ أَوْ مِسْكِبَنَا ذَا مَقْرَبَةِ ﴿لَمْ يَمْكُمْ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أَوْلَئِكَ أَخْبَرُ الْمَبْتَدَأِ﴾^(٥)

(١) آل عمران : ٢٠٠ .

(٢) محمد : ٣١ .

(٣) البقرة : ١٥٦ - ١٥٧ .

(٤) آل عمران : ١٨٦ .

(٥) البلد : ١٨ - ١٩ .

وَالْعَصِيرُ ۝ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَيُخْسِرُ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ظَاهَرُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ ۝^(١)

«لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُؤْلِمَ وَجُوهُكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ظَاهَرَ
بِأَنَّهُ وَالْبَيْمَانُ الْأَنْبَرُ وَالْمَلْتَكَدُ وَالْكِتَابُ وَالثَّبَاعُونَ وَهَذَا الْمَالُ عَلَىٰ حُكْمِهِ
ذُوِّ الْقُرْبَىٰ وَالْبَشَّمَىٰ وَالْمَسْكِينَ وَأَنَّ السَّبِيلَ وَأَنَّ سَبِيلَنَ رَفِيقُ الْرَّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَهَذَا الْزَّكَرَةُ وَالْمُوْقَوْتُ يَمْهِدُمْ إِذَا عَنَهُدُوا وَالصَّابِرُونَ فِي
الْبَلَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَجِئَنَ الْبَاسِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ مَسَدَّعُوا وَأَوْلَئِكَ هُمُ
الْمُتَقْوَنَ ۝^(٢)

والصبر يعلم الإنسان المثابرة على العمل وبذل المجهود لتحقيق أهدافه العملية
والعلمية . فإن معظم أهداف الإنسان في الحياة ، سواء في ميادين الحياة العملية
التطبيقية من اجتماعية واقتصادية وسياسية ، أو في ميادين البحث العلمي ، تحتاج
إلى كثير من الوقت ، وكثير من الجهد حتى يمكن بلوغها وتحقيقها . ولذلك كانت
المثابرة على بذل الجهد ، والصبر على معاناة العمل والبحث من الصفات الظاهرة
الضرورية لبلوغ النجاح ، وتحقيق الأهداف .

والصبر والمثابرة مرتبطة بقوة الإرادة ، فالشخص الصابر قوي الإرادة ،
لا تضعف عزيمته ، ولا تثبط همه مما تم من مصاعب وعقبات . وبقوة الإرادة
يتتمكن الإنسان من إنجاز الأعمال العظيمة ، وتحقيق الأهداف العالمية .

«...إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا إِلَيْتُمْ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَا تَرَكُوا يَغْلِبُوا
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝^(٣)

(١) سورة العصر .

(٢) البقرة : ١٧٧

(٣) الأنفال : ٦٥ .

وإذا تعلم الإنسان الصبر على تحمل مشاق الحياة ، ومصائب الدهر ، والصبر على أذى الناس وعداوتهم ، والصبر على عبادة الله وطاعته ، وعلى مقاومة شهواته وانفعالاته ، والصبر على العمل والإنتاج ، فإنه يصبح إنساناً ذا شخصية ناضجة ، مترنة ، متكاملة ، مستجدة ، فعالة ، ويصبح عصياً على القلق ، وفي مأمن من الأضطرابات النفسية .

الذكر :

إن مواظبة المؤمن على ذكر الله تعالى بالتسبيح والتكبير والاستغفار والدعاء وتلاوة القرآن ، تؤدي إلى تركيبة نفسه وصفاتها وشعورها بالأمن والطمأنينة .

«الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطَمَّنُ فُلُوْبِهِمْ يَذْكُرُ اللَّهَ أَكْثَرَهُ يَذْكُرُ اللَّهَ تَكْمِنُ الْقُلُوبُ»^(١)
«فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَيَحْمِدُوكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
وَمِنْ «أَنَّا يَ أَتَيَ أَلَيْلَ قَسْبِعَ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَكَ تَرْفَنُ»^(٢)
«وَتَنْزِلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ..»^(٣)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «ذكر الله شفاء القلوب»^(٤) . وعن أبي هريرة وعن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا يقدر قوم يذكرون الله إلا حضورهم الملائكة وغضبتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكراهم الله فيمن عنده» ، رواه سلم والترمذى^(٥) .

(١) الرعد : ٢٨ .

(٢) طه : ١٣٠ .

(٣) الأسراء : ٨٢ .

(٤) رواه التهذبى عن أنس . انظر حسن محمد الشرقاوى : نحو علم نفس إسلامي . الاسكتدرية : المطبعة المصرية العامة للكتاب (٩٠، ت) ، ص ٣٠٠ .

(٥) أبو ذكريا محمد الدين بجهى التورى : زهرة المقدين ، شرح رياض الصالحين ، مرجع سابق ، ج ٢ ، الحديث رقم ٢١٦٩/٢ .

وحيثما يداوم المسلم على ذكر الله تعالى ، فإنه يشعر بأنه قريب من الله تعالى ، وأنه في حمايته ورعايته ، ويبعث ذلك في نفسه الشعور بالثقة والقوة ، والشعور بالأمن والطمأنينة والسعادة . قال تعالى :

۱۰۳
۱۰۴

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَتِي وَتَحْرِكْتِي بِي شَفَّاتِهِ»^(١) . ويقول أيضًا عليه الصلاة والسلام : «عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتَلَوْءَ كِتَابَ اللَّهِ فَإِنَّ نُورَ فِي الْأَرْضِ وَذِكْرُ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ»^(٢) .

وذكر الله ، إذ يبعث في النفس الأمان والطمأنينة ، فهو بذلك علاج للقلق الذي يشعر به الإنسان حينما يجد نفسه ضعيفاً عاجزاً أمام ضغوط الحياة وأخطارها ، لا استدله ولا معنٍ .

وَمِنْ أَعْرَضَ عَنِ الْجُنُوبِ فَهُنَّ لَهُ مَعْبُوشَةٌ ضَنْكًا.^(٤)

ان الذكر عبادة من افضل العبادات ^(٤) . قال الله تعالى في فضل الذكر .

١٠ .. إن الصلاة تهـى عن النھـا وـالمنـک ولـذـکـر الله أكـبر ..

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « مثل
البيت الذي يذكر الله فيه ، والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل العي والميت » ،
رواه الشخان ^(٧) .

٢٥٣ : القراءة

(٢) يعلم الإمام الشيرازي في كشف الغمة، تعلق حسن عبد الشرقي: المرجع السابق، ٢٤٩.

^{٢٣} ملخص دراسة دكتوراه في كلية التربية، جامعة عجمان، ٢٠١٣.

• 378 : 46(1)

¹ TIA = Total Incidence of All Ischaemic Attacks; TIA + SA = Subcortical Infarcts.

(٦) انظر منصور على ناصف : *النحو اب Sachs لالأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم* ، مد ٤ ،
الذات : حل الفك ، ١٩٧٥ ، ج ١ ، ص ٣٣٣ ، وجد ٢ ، من ٨٧ .

وفي الواقع إن جميع العبادات ذكر أو تساعد على الذكر . ففي الصلاة يقوم المصلي بتكبير الله ، وتلاوة القرآن ، وتسبيح الله راكعاً وساجداً ، وحمد الله والثناء عليه ، والصلاحة على النبي . ثم يعقب الصلاة الاستغفار وتسبيح الله وحمده وتكبره ، والدعاء له . وكل ذلك ذكر ^(١) . وقد قال الله تعالى عن الصلاة :

«إِنَّمَا أَنْذِلْنَا لِأَنَّا إِلَهُ إِلَّا أَنَا فَلَا يَعْبُدُنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» ^(٢)

وفي الصوم طاعة الله تعالى ، وابتعاد عما يغضبه ، وتعظيم له ، وشكر له على هدايته . وكل ذلك ذكر . وقد قال الله تعالى عن الصوم :

«... وَلَئِنْ سَخِّنُوا أَعْدَادَهُ وَلَئِنْ تُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هُدِّلَ لَكُمْ وَلَئِنْ تُكَفِّرُوْنَ» ^(٣)

وفي الحج يفرغ المسلم للصلاة والدعاء والابتهاج لله والقيام بمناسك الحج . وكل ذلك ذكر . وقد قال الله تعالى عن الحج :

«وَإِذْنَنَّا فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكُرِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ قِبَلَةٍ عَرِيقٍ^٤
لِيَشْهَدُوا مَنْزِلَةً لَهُمْ وَلَدْ شُكُرُوا أَسْمَمَ اللَّهِ فِي الْأَمْرِ مَعْلُومَتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ
رَحْمَةٍ الْأَنْعَمُ...» ^(٥)

وقال تعالى عن رمي الجمار ^(٦) :

«وَإِذْ مَكَرُوا اللَّهُ فِي أَيْمَانِ مَعْدُودَاتٍ...» ^(٧)

(١) سعيد حوى : مرجع سابق ، ص ٢٢٨ - ٢٣١ .

(٢) طه : ١٤ .

(٣) البقرة : ١٨٥ .

(٤) الحج : ٢٧ ، ٢٨ .

(٥) سعيد حوى : مرجع سابق ، ص ٢٢٩ ، ٢٢٨ .

(٦) البقرة : ٢٠٣ .

والمؤمن الذي يريد أن يسير في طريق التقرب إلى الله تعالى لا يكتفى بذكر الله كل يوم أثناء الصلاة فقط ، وإنما يقوم أيضاً بذكر الله كثيراً خارج الصلاة ، وذلك بالإكثار من التسبيح والتكبير والابتهال والدعاء . وإن التقرب إلى الله تعالى عن طريق العبادات وتلاوة القرآن والأوراد والأدعية إنما يصل على تعميق الإيمان في القلب ، وبث الشعور بالأمن والسكينة في النفس .

التوبه :

إن الشعور بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالتعصّب والقلق ، مما يؤدي إلى نشوء أمراض الأمراض النفسية . وبهذا العلاج النفسي ، في مثل هذه الحالات ، بتغيير وجهة نظر المريض عن خبراته السابقة التي سببت له الشعور بالذنب ، فيراها في صورة جديد بحيث لا يرى فيها ما يبرر الاستمرار في شعوره بالذنب وشعوره بالتعصّب ، فيخفف تأثيره لنفسه ، ويصبح أكثر تقبلاً للذاته ، فيزول قلقه وأعراض مرضه النفسي .

ويمدنا القرآن بأسلوب فريد وناجح في علاج الشعور بالذنب ، ألا وهو التوبه . فالتوبه إلى الله سبحانه وتعالى تغفر الذنوب ، وتقوي في الإنسان الأمل في رضوان الله ، فتحف حدة قلبه . ثم إن التوبه تدفع الإنسان حادة إلى إصلاح الذات وتقويمها حتى لا يقع مرة أخرى في الأخطاء والمعاصي ، ويساعد ذلك على زيادة تقدير الإنسان لنفسه ، وزيادة ثقته فيها ، ورضاته عنها ، ويؤدي ذلك إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة في نفسه .

« قُلْ يَعْبُدُونَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَنْتَهُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ بِجِيْعِهَا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »⁽¹⁾

« وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُمْ بَسْتَغْفِرِ اللَّهِ يَجِدُ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا »⁽²⁾

(1) الزمر - ٥٣ .

(2) النساء : ١١٠ .

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ..»^(١)

«إِنَّمَا أَنْتُوَيْهُ عَلَى اللَّهِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ يَجْهَلُهُ ثُمَّ يَتَوَبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَسِيبًا»^(٢)

«فَنَّ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَلَمَّا آتَاهُ اللَّهُ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»^(٣)

«وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِغَايَاتِنَا قَالُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَهْرَافٌ مِّنْ عَمَلٍ مُّنْكَرٍ سُوءٌ يَجْهَلُهُ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنْهَىٰهُ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»^(٤)

«وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ»^(٥)

«وَإِنَّ لَغَفَارًا لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَمُّمْ أَهْتَدَى»^(٦)

«وَالَّذِينَ إِذَا قَعُلُوا فَدِحَسَةً أَوْ ظَلَلُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ لَا يَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصْرُوْا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ○ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَقْرِفَةٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَدِيلِينَ»^(٧)

(١) النساء : ٤٨ .

(٢) النساء : ١٧ .

(٣) المائدة : ٣٩ .

(٤) الأنعام : ٥٤ .

(٥) الأحزاب : ١٥٣ .

(٦) طه : ٨٢ .

(٧) آل عمران : ١٣٥ ، ١٣٦ .

إن إيمان المسلم بأن الله جل شأنه يقبل التوبة ويغفر الذنب ، وأن الله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده ، إنما يدفعه إلى الاستغفار والتوبة ، والابتعاد عن ارتكاب المعاصي أملأ في مغفرة الله ورضوانه . وإذا تاب المسلم توبة نصوحاً ، والترم بطاعة الله وعبادته وبالعمل الصالح ، ارتاح بالله ، واطمأنت نفسه ، وزال عن الشعور بالذنب الذي يسبب القلق واضطراب الشخصية .

وهكذا استطاع القرآن أن يعالج نفوس العرب ، ويحدث تغييراً كبيراً في شخصياتهم بالاستعانة بعدة أساليب :

أولاً : بث الإيمان بعقيدة التوحيد في نفوسهم ، وغرس بذلك التقوى في قلوبهم ، بكل ما يؤدي إليه ذلك من نتائج بالغة الأهمية في تقويم شخصياتهم وسلوكهم .

ثانياً : فرض العبادات المختلفة التي ساعدت على تخلصهم من كثير من عاداتهم السيئة السابقة ، وتحلیهم بكثير من العادات والخصال الحميدة التي ساعدت على تكوين شخصياتهم تكتيئاً سورياً متزناً متكاملاً .

ثالثاً : حثهم على تعلم الصبر ، وهي خصلة تساعد على تحمل مشاق الحياة بنفس رخصية ، وتقلل من احتلالات التوتر والضيق والشعور بالظماء والقلق .

رابعاً : حثهم على المراقبة على ذكر الله مما يشعر الإنسان أنه قريب من الله تعالى ، وفي حمايته ورعايته ، فيغمره الشعور بالأمن والطمأنينة .

خامساً : حثهم على الاستغفار والتوبة مما يساعد على التخلص من القلق الناشئ عن الشعور بالذنب .

سادساً : استخدام مجموعة من الأساليب الفعالة في تعديل السلوك مثل أسلوب التدرج في تعديل السلوك الذي استخدمه القرآن في علاج تعاطي المخدر والربا ، وأسلوب إثارة الدافع بالترغيب والترهيب ، وبالقصص ، وبالاستعانة بالأحداث الجارية ، وأسلوب المشاركة الفعالة ، وأسلوب توزيع التعليم ، وهي

الأُسُلُوبُ الَّتِي شرَحْنَاها بالتفصيل في الفصل الخامس الخاص بالتعلم تحت عنوان «مبادئ التعلم في القرآن» .

بكل هذه الأُسُلُوبِ تَحْمِلُ القرآن فِي علاج نواحي الفَسْدِ فِي شَخْصِيَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَفِي غَرَسِ الْخَصَالِ الْحَمِيدَةِ فِي نَفْوِهِمْ مَا سَاعَدَ عَلَى تَكُونِ شَخْصِيَاتِهِمْ تَكُونِنَا سَوِيًّا مَتَّعِنًا مَتَّكِمَلًا ، وَكَانَ لَهُ أَكْبَرُ الْأَثْرِ فِي إِحْدَاثِ تَغْيِيرَاتٍ بِالْأَنْوَافِ الْأَهْمَى فِي جَمِيعِ نَوَاحِي الْحَيَاةِ فِي الْمَجَمِعِ الْعَرَبِيِّ فِي شَبَهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَفِي الْمَجَمِعِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ .

المَرَاجِع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - إبراهيم سوقى مرسى : الطفوحة في الإسلام ، القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٩ .
- ٣ - ابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان من مصابد الشيطان ، تحقيق محمد حامد الفقى .
بيروت : دار المعرفة ، ج ٢ (د . ت) .
- ٤ - أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري : صحيح مسلم بشرح النووي .
القاهرة : المطبعة المصرية ومكتبتها ، (د . ت) .
- ٥ - أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادى : روح المعانى في تفسير
القرآن . القاهرة : المطبعة الأميرية بيولاق ، ١٣٠١ هـ .
- ٦ - أبو القاسم الحسن بن محمد الفضل الراغب الأصفهانى : كتاب تفصيل النشأتين
وتحصيل السعادتين ، بيروت ، ١٣١٩ هـ (بدون اسم الناشر) .
- ٧ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالى : معارج القدس في مدارج معرفة النفس ،
ط ٢ . بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٥ .
- ٨ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالى : إحياء علوم الدين ، القاهرة : دار الشعب ،
(د . ت) .
- ٩ - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنبارى القرطبي : الجامع لأحكام القرآن .
القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ .
- ١٠ - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن خالب : الأخلاق والسير في مداواة
النفوس . بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٨ .
- ١١ - أحمد بن تيمية : مجموعة الفتاوى ، ج ١٠ ، علم السلوك . إشراف الرياسة
العامة لشئون الحرمين الشرقيين ، السعودية (د . ت) .
- ١٢ - أحمد بن تيمية : العبودية ، ط ٩ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٨٣ .
- ١٣ - أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل . بيروت : دار صادر (د .
ت) .

- ١٤ - أحمد حسين : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . بيروت : دار الشرق ، ١٩٨٠ .
- ١٥ - أحمد محمد جمال : نحو تربية إسلامية . جدة : ثانية ، ١٩٨٠ .
- ١٦ - أحمد محمد فارس : الخاتمة الإنسانية في القرآن الكريم . بيروت : دار الفكر ، (د ، ت) .
- ١٧ - أ. كرسى موريسون : العلم يدعوا إلى الإيمان ، ترجمة محمود صالح الفلكى ، ط ٥ . القاهرة : مكتبة الهضبة المصرية ، ١٩٩٥ .
- ١٨ - إبريلث فروم : الدين والتحليل النفسي ، ترجمة فؤاد كامل . القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٧٧ .
- ١٩ - أسامة محمد الراشى : الإسلام وأمراض العصر . ندوة علم النفس والإسلام ، كلية التربية بجامعة الرياض (مطبوع على الآلة الكاتبة) ، المجلد الأول ، ١٩٧٨ .
- ٢٠ - أنور الجندى : مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في نصوص الإسلام . القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٧ .
- ٢١ - اليهى الحولى : آدم عليه السلام ، فلسفة تقويم الإنسان وخلقه ، ط ٣ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٤ .
- ٢٢ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم : جمع البحوث الإسلامية بالأزهر . القاهرة : الهيئة العامة لشئون المطبع الأموية ، ١٩٧٣ - ١٩٨٩ .
- ٢٣ - الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني الشافعى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٧٨ .
- ٢٤ - الحافظ المنذري : مختصر صحيح سلم . تحقيق ناصر الدين الألبانى ، ط ٣ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٧٧ .
- ٢٥ - الحافظ عياد الدين أبو القداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى : تفسير القرآن العظيم . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية لعيسى الباجي الخلبي وشركاه ، (د ، ت) ، وكذلك : بيروت : دار المعرفة ، ١٩٨٠ .
- ٢٦ - حسين محمد مخلوف : صفوۃ البيان لمعانی القرآن . القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٥٦ .

- ٢٧ - السيد ساين : فقه السنة ، الجلد الأول . بيروت : دار الكتاب العربي ، (د . ت) .
- ٢٨ - الكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول ، ط ٣ ، ترجمة شقيق نسمد فريد .
بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٨٠ .
- ٢٩ - جلال الدين محمد بن أحمد الهمي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : القرآن الكريم ، تفسير الجلالين ، بيروت : دار الكتب الدينية (د . ت) .
- ٣٠ - المنتخب في تفسير القرآن الكريم : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف بمصر العربية ، ط ٧ ، ١٩٧٩ .
- ٣١ - جمال ماضي أبو العزائم : القرآن وعلم النفس . ندوة علم النفس والإسلام ، كلية التربية بجامعة الرياض (مطبوع على الآلة الكاتبة) ، الجلد الأول ، ١٩٧٨ .
- ٣٢ - جولييان روتور : علم النفس الإكلينيكي ، ترجمة عطية محمود هنا ، ومراجعة محمد عثمان نجاشي . الكويت : دار القلم ، ١٩٧٧ .
- ٣٣ - مصطفى الرافعى : الإسلام ومشكلات العصر . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٢ .
- ٣٤ - حامد عبد العزيز الفقى : دراسات في سيميولوجيا النحو . الكويت ، ١٩٧٧ .
- ٣٥ - حسن محمد الشرقاوى : نحو علم نفس إسلامي . الإسكندرية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د . ت) .
- ٣٦ - ديل كارنيجي : دع القلق وابدا الحياة ، ترجمة عبد المنعم الريادى ، ط ٥ .
القاهرة : مكتبة الحاخامي ، ١٩٥٦ .
- ٣٧ - روبرت هاربر : التحليل النفسي والعلاج النفسي ، ترجمة سعد جلال القاهرة :
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .
- ٣٨ - ريتشارد لازاروس : الشخصية ، ترجمة سيد محمد غنيم ، ومراجعة محمد عثمان نجاشي . بيروت : دار الشروق ، ١٩٨١ .
- ٣٩ - ريتشارد م . شوين : علم الأمراض النفسية والعقلية ، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامه . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ .
- ٤٠ - سارنوف أ . مدينك ، هوارد ر . بوليو ، اليزابت ف . لوفتاس : التعلم ، ترجمة

- ٤١ - محمد عاد الدين إسماعيل ، ومراجعة محمد عثمان نجاشي . بيروت : دار الشروق ، ١٩٨١ .
- ٤٢ - سعيد حوى : تربيتنا الروحية ، ط ٢ . القاهرة : مكتبة وحدة ، ١٩٧٩ .
- ٤٣ - سigmund Freud : معالم التحليل النفسي ، ترجمة محمد عثمان نجاشي ، ط ٤ . القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ .
- ٤٤ - سigmund Freud : الذات والغراائز ، ترجمة محمد عثمان نجاشي ، ط ٣ . القاهرة : مكتبة النهضة العربية ، ١٩٦١ .
- ٤٥ - سيد قطب : التصور الفنى في القرآن ، ط ٣ . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٥ .
- ٤٦ - سهل بيرت : علم النفس الدينى ، ترجمة سمير عبد الله . دمشق : دار دمشق للطباعة والنشر ، (٥ . ت) .
- ٤٧ - عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز : مع الطلب في القرآن الكريم ، ط ٢ . دمشق : مؤسسة علوم القرآن ، ١٩٨٢ .
- ٤٨ - شيلدون كاشدان : علم نفس الشواذ ، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة ، ومراجعة محمد عثمان نجاشي . الكويت : دار القلم ، ١٩٧٧ .
- ٤٩ - عباس محمود العقاد : عبقرية عمر . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٩ .
- ٥٠ - عبد الرحمن بن علي المروفي بين الدين الشيعي : تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حدث الرسول صلى الله عليه وسلم . بيروت : دار المعرفة ، ١٩٧٧ .
- ٥١ - عبد الغنى عبود : الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر . القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧٨ .
- ٥٢ - عبد الفتاح جلال : من الأصول التربوية في الإسلام . سریں الیان بمصر : المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي ، ١٩٠٠ .
- ٥٣ - عبد الوهاب حمودة : القرآن وعلم النفس . القاهرة : دار القلم ، ١٩٦٢ .
- ٥٤ - علي عبد العظيم : فلسفة التربية في القرآن الكريم . القاهرة : مجتمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٣ .
- ٥٥ - فخر الدين محمد بن عمر الرازي : كتاب النفس والروح وشرح قواهما . تحقيق

- محمد صغير حسن المقصومي . من مشورات معهد الأبحاث الإسلامية بكراتشي .
 (د . ت) .
- ٥٧ - فؤاد البهى السيد : الأسس النفسية للنمو ، ط ٤ . القاهرة : دار الفكر العربي .
 ١٩٧٥ .
- ٥٨ - محمد بن عبد الله الخطيب التبريزى : مشكاة المصايح ط ٣ . بيروت : المكتب
 الإسلامي ، ١٩٨٦ .
- ٥٩ - محمد إسماعيل إبراهيم : القرآن وإعجازه العلمي . القاهرة : دار الكتاب العربي .
 ١٩٧٧ .
- ٦٠ - محمد البهى : الإسلام في حياة المسلم ، ط ٢ . القاهرة : مكتبة وهة ، ١٩٧٣ .
- ٦١ - محمد الصادق عفيفي : الفكر الإسلامي : مبادئه ، منهاجه ، قيمه ، أخلاقياته .
 القاهرة : مكتبة الخانجي ، (د . ت) .
- ٦٢ - محمد الغزالي : الجانب العاطفي من الإسلام ، بحث في المثلق والسلوك والتصوف .
 القاهرة : دار الكتب الحديقة ، (د . ت) .
- ٦٣ - محمد بن سيرين : منتخب الكلام في تفسير الأحلام ، بهامش كتاب تعطير الأنام
 في تعبير المنام لعبد الغنى النابلسى . مصر ، ١٣٤٧ هـ .
- ٦٤ - محمد جواد مغنية : فلسفة الأخلاق في الإسلام . بيروت : دار العلم للملائين ،
 ١٩٧٧ .
- ٦٥ - محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكم الشهير بتفسير المثار . القاهرة : دار المثار ،
 ١٣٧٣ هـ .
- ٦٦ - محمد سعيد رمضان البوطي : منهج تربوى فريد في القرآن . مجلة الوعي الإسلامي
 (الكويت) ، السنة السابعة ، العدد ٨١ ، أكتوبر ١٩٧١ .
- ٦٧ - محمد شديد : منهج القرآن في التربية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٩ .
- ٦٨ - محمد قطب : في النفس والمجتمع ، ط ٢ . القاهرة : مكتبة وهة ، ١٩٦٢ .
- ٦٩ - محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام ، ط ٣ . القاهرة : عيسى الباجي الحلبي
 وشركاه ، ١٩٦٠ .
- ٧٠ - محمد قطب : دراسات في النفس الإنسانية . بيروت : دار الشرق ، ١٩٧٩ .
- ٧١ - محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، ط ٢ . بيروت : دار الشرق ، (د .
 ت) .
- ٧٢ - محمد عثمان نجاشي : الإدراك الحسى عند ابن سينا ، بحث في علم النفس عند

- العرب ، ط ٣ . بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٠ .
- ٧٣ - محمد عثمان نجاشي : علم النفس في حياتنا اليومية ، ط ١١ . الكويت : دار القلم ، ١٩٨٤ .
- ٧٤ - محمد عثمان نجاشي : الحديث النبوي وعلم النفس . بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٩ .
- ٧٥ - محمد علي البار : خلق الإنسان بين الطبع والقرآن ، ط ٦ . جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٦ .
- ٧٦ - محمد علي التسخنري : التوازن في الإسلام . بيروت : الدار الإسلامية ، ١٩٧٩ .
- ٧٧ - محمد متولى الشعراوى : معجزة القرآن ، جد ١ . القاهرة : كتاب اليوم ، ١٩٨٠ .
- ٧٨ - محمود شلبي : حياة آدم ، ط ٢ . بيروت : دار الجليل ، (٤ . ت) .
- ٧٩ - مصطفى سعيد الحن وأخرون : نزهة المتنين ، شرح رياض الصالح لأبي زكريا يحيى الدين النووي ، ط ٧ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ .
- ٨٠ - منصور على ناصف : الثاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ط ٤ ، القاهرة : دار الفكر ، ١٩٧٥ .
- ٨١ - يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة ، ط ٦ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٨ .
- ٨٢ - يوسف القرضاوى : الرسول المعلم . القاهرة : دار الصحوة ، ١٩٨٤ .

المراجع الأجنبية

1. Adler Alfred: *Understanding Human Nature*. New York: Greenberg Publishers, Inc., 1927.
2. Cannon, W.B.: *The Wisdom of the Body*. New York: Norton, 1932.
3. Jung, Carl G.: *Modern Man In Search of A Soul*. London; Routledge & Kegan Paul, Ltd., 1966.
4. Lindsey, G., Hall, C.S. and Thompson, R.F.: *Psychology*. New York : Worth Publishers, Inc., 1976.
5. Maxwell Maltz: *Psycho - Cybernetics* . New York : Pocket Books, 1960.
6. May, Rollo: *The Meaning of Anxiety*. New York: The Ronald Press Co., 1950.
7. Morris, Charles G.: *Psychology, An Introduction*. 3rd ed., Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1979.

لِلْمُؤْلِف

- الإدراك الحسي عند ابن سينا : بحث في علم النفس عند العرب ، الطبعة الثالثة .
بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٠ (نقد) .
- علم النفس والحياة : مدخل إلى علم النفس وتطبيقاته في الحياة
الطبعة الثالثة عشرة .
الكويت : دار القلم ، ١٩٩٢ .
- علم النفس الصناعي :
الطبعة الرابعة
الكويت : مؤسسة الصباح ، ١٩٩٤ .
- المدينة الحديثة وتسامع الوالدين :
الطبعة الثانية
القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ .
- علم النفس العربي :
الطبعة الثالثة .
القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٠ (نقد) .
- ملامع جريمة القتل :
بالاشتراك مع آخرين
منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية
القاهرة ، ١٩٧١ (نقد) .
- الحديث النبوي وعلم النفس
الطبعة الثانية
بيروت : دار الشروق ، ١٩٩٣ .

مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي

بإشراف الدكتور محمد عثمان نجاشي

- معلم التحليل النفسي :
تأليف سigmund Freud ، ترجمة محمد عثمان نجاشي .
الطبعة السابعة ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٨ .
- الأنا والذو :
تأليف سigmund Freud ، ترجمة محمد عثمان نجاشي .
الطبعة الخامسة ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٨ .
- الكف والعرض والقلق
تأليف سigmund Freud ، ترجمة محمد عثمان نجاشي .
الطبعة الرابعة ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٨ .
- ثلاث رسائل في نظرية الجنس :
تأليف سigmund Freud ، ترجمة محمد عثمان نجاشي .
الطبعة الثالثة ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٨ .

دار الشروق

مَكْتَبَةُ أَصْوَلِ عِلْمِ النَّفْسِ الْخَدِيْث

يشرف على ترجمتها
الدكتور محمد عثمان نجاشي

صدر منها :

- علم النفس الإكلينيكي : تأليف جولييان بب ، روتر ترجمة الدكتور عطية محمود هنا .
أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس وجامعة الكويت .
الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨ .
- علم نفس الشواذ : تأليف شيلدون كاشدان ترجمة الدكتور أحمد عبد العزيز سلامة .
أستاذ علم النفس بجامعة الأزهر وجامعة الرياض .
الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨ .
- الشخصية : تأليف ريتشارد س . لازاروس ترجمة الدكتور سيد محمد غنيم .
أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس وجامعة الإمارات العربية .
الطبعة الرابعة ، ١٩٩٤ .
- التعلم : تأليف سارنوف د . ميدنباك ، وهوارد د . بوليو ، والبيابت ف . لوغانس .
ترجمة الدكتور محمد عاد الدين إسماعيل .
أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس وجامعة الكويت .
الطبعة الثالثة ، ١٩٨٩ .
- الاختبارات والمقاييس : تأليف ليونا ا . تايلر ترجمة الدكتور سعد عبد الرحمن

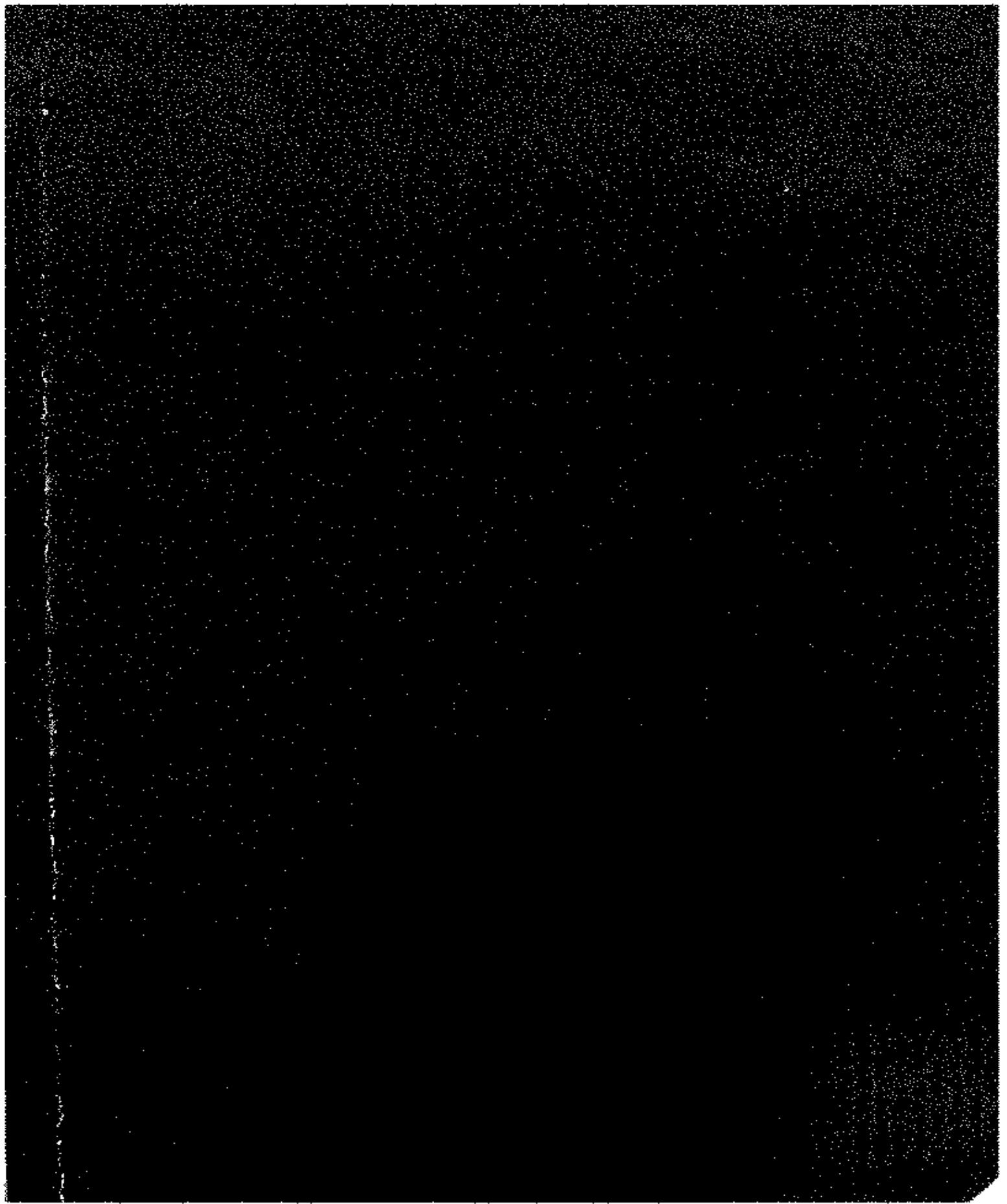
- أستاذ علم النفس بجامعة الكويت
الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨ .
- الدافعية والأنفعال :
تأليف إدوارد ج . موراي
ترجمة الدكتور أحمد عبد العزيز سلامة
 - أستاذ علم النفس بجامعات الأزهر والملك سعود والكويت
الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ .
 - علم النفس الاجتماعي :
تأليف ولیام و . لامبرت وولاس آ . لامبرت
ترجمة الدكتورة سلوى الملا
 - أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة وجامعة الكويت
الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ .
 - طبيعة البحث السينکولوجي : تأليف رئی هایمان
ترجمة الدكتور عبد الرحمن عيسوى
أستاذ علم النفس بجامعات الإسكندرية وبيروت العربية
والإمام محمد بن سعود الإسلامية .
الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ .

دار الشروق

رقم الاینبع : ٤٣ / ٨٢٣٣
I.S.B.N ٩٧٧ - ٠٩ - ٠١٥٦ - ٣

مطالع الشروق

القاهرة، ١١ شارع محمد عبده، مقابل مكتبة الإسكندرية، الفرعون
電話 : ٠٢٥٣٣٣٣٣٣٣ - ٠٢٥٣٣٣٣٣٣٣٣
فکس : ٠٢٥٣٣٣٣٣٣٣٣٣ - ٠٢٥٣٣٣٣٣٣٣٣



To: www.al-mostafa.com